

فِرْقَانُ الْقُرْآنِ

بَيْنَ صِفَاتِ الْخَالِقِ وَصِفَاتِ الْأَكْوَانِ

تَبَايُهَا

صاحب الفضيلة العلامة المدقق المحدث الفقيه الصوفي

الحائز للرشاد والقائم بالارشاد الأستاذ الشيخ سلامه

القضاعي العزامي الشافعي نفع الله بها وبه . آمين

وَلَرُّ

أَحْيَاءُ التَّرَاثِمِ الْعَرَبِي

بيروت - لبنان

فهرست اجمالی

- ۱ کلمة الناشر
- ۲ فرقان القرآن وفهرسته
- ۳ ترجمة الحافظ البيهقي وفهرست كتابه
- ۴ كتاب الأسماء والصفات للحافظ البيهقي

كلمة الناشر

الحمد لله واجب الوجود الذي تنزهه عن الأمكنة والأزمنة والأجزاء ، وجعلها أدلة على إمكان ما اتصف بها من الأشياء ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي رفع أعلام التنزيه للملك العظيم ، وخفض بسواطع البرهان ما تلوثت به العقول في حق الله تعالى من التشبيه والتجسيم ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين (و بعد) فقد نجمت في القرون الماضية بين أهل الإسلام بدع يهودية من القول بالتشبيه والتجسيم والجهة والمكان في حق الله تعالى ، مما عملته أيدي أعداء الإسلام تنفيذاً لحقدهم عليه ، ودخلت الغفلة على بعض أهل الإسلام - والمؤمن غريراً كريم - فقيض الله لهذه البدع من بحارها وهم السواد الأعظم من علماء هذه الأمة ، وقد أتمر سميتهم والله الحمد ، فصارت بفضل جهادهم كالمتحرك حركة مذبوح ، حتى إذا كانت أوائل القرن الثامن أخذت هذه البدع تنتفش إلى أخوات لها لا تقل عنها خطراً على يد رجل يدعى أحمد بن عبد الحلیم بن تيمة الحراني ، فقام العلماء من أهل السنة والجماعة في دفعها ، حتى لم يبق في عصره من يناصره إلا من كان له فرض أوفى قلبه مرض ، ويكفيك فيه قول الامام الحجة تقي الدين السبكي في كتابه « السيف الصقيل » : إنه رجل له فضل ذكاء واطلاع ، ولم يجد شيئاً يهديه وهو على مذهبهم - يعني الحشوية - وهو جسور متجرد لتقرير مذهبه ، ويجد أموراً بعيدة فبجسارته يلتزمها ، فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى ، وإن الله سبحانه مازال فاعلاً - يعني أن العالم قديم بالنوع - وأن التسلسل ليس بحال فيما مضى كما هو فيما سيأتي ، وشق العصا وشوش

عقائد المسلمين وأغرى بينهم ، ولم يقتصر ضرره على العقائد في علم الكلام ،
 له بحروفه . وأطال النفس في تعدى هذا الرجل على الفروع تعديه على الأصول
 وقد رد عليه أيضا علماء فضلاء كجلال الدين القزويني صاحب التلخيص ،
 وقاضي قضاة المالكية تقي الدين أبي عبد الله محمد الاخنائي ، بكتاب سماه
 « المقالة المرضية » والفخر ابن المعلم القرشي بكتاب جليل سماه « نجم المهتدي
 ورجم المعتدي » وتقي الدين الحصني بكتاب سماه « دفع الشبه » في آخرين
 يطول بناذ كرههم ، وقد طبع السيف الصقيل مع تكملة للعلامة المحقق الكوثري
 بمصر ، وهو مع التكملة كاف لمن أراد أن يعرف الرجل وتلخيصه ابن القيم ، كما
 ينبغي أن يعرفنا . ولما راج سوق الجهل في عصرنا هذا قامت شردمة بعيدة عن
 التحقيق قليلة الصبر على الأبحاث العلمية ، وتمحيص المواضيع التي هوش فيها
 المبتدعة ، فنظروا في كتب الرجل نظرة عجيبة فاستحسنوها وطبعوها وأشاعوها ،
 ودعوا إلى ما فيها من البدع وسحوها السنة والسلفية ، وزادوا أمر هذه البدع تعضيدا
 بطبع كتب لبعض من اشتهر في علم الحديث رواية ، وليس له خبرة بعلم
 أصول الدين ، ككتاب التوحيد لابن خزيمة ، وكتاب السنة المنسوب لعبد الله
 ابن أحمد ، فمعظم الخطب واشتد رذة السنة . وكنت أشتبهى أن أرى كتابا لبعض
 أكابر المتقدمين من علماء الحديث ، المتضمين من علم أصول الدين ، والحافظين
 لما كان عليه السلف الصالح في آيات الصفات وأحاديثها المتشابهة ، فيسر الله لنا
 كتاب « الأسماء والصفات » للحافظ البيهقي ، فوجدته كتابا حافلا حوى العقائد
 الصحيحة والنقل عن الأئمة الموثوق بهم ، ورد على المشبهة والقائلين بالنجس
 والمعتزلة القائلين بنفي الصفات ، بالكتاب والسنة وبكلام من اختارهم الله من
 القرون التي جاءت الأحاديث بفضلهم . فأجبت إشاعة هذا الخير بين الأمة ،
 فصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فأجهت على طبعه مع تعليقات نفيسة
 لا يستغنى القارى عنها ، للهجة المحدث المحقق الامتاز الكوثري . وقد تفضل

أستاذي ناشر السنة الفقيه المتكلم ، الصوفي الخبير بعصره ، إمام الطائفتين ،
مقدم الجماعة ، صاحب الفضيلة الشيخ سلامة العزاهي ، بوضع رسالة نافعة في هذا
الكتاب وغيره من أشباهه ، بل من قرأها بانعام أغنته عن المطولات ، وأختت
بيده إلى لب الحق في هذه المسائل الشريفة التي أكثر فيها المبتدعة التلبيس
والتهويش ، أدام الله نفعها ونفعه ، وأطال بقاءه في عافية آمين . والله نسأل
وبنبيه المصطفى نتوسل ، أن ينشر هذا العلم الصحيح بين الأمة ، وأن يجعل
عملنا هذا وسائر أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنه ذو الفضل العظيم ما
نجم الدين محمد أمين الكردي



فَرْقَانُ الْقُرْآنِ

بَيْنَ صِفَاتِ الْخَالِقِ وَصِفَاتِ الْأَكْوَانِ

سَيِّدُ الْيَقِينِ

صاحب الفضيلة العلامة المدقق المحدث الفقيه الصوفي

الحائز للرشاد والقائم بالارشاد الأستاذ الشيخ سلامه

القضاعي العزامي الشافعي نفع الله بها وبه . آمين

وَأَرَى

أَحْيَاءَ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

بِئْرُوت - لَبْنَان

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحان ربنا رب السموات والأرض رب العرش عما يصف الجاهلون .
والحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله . وتبارك وتعالى لا يحصى أحد من خلقه وإن جل مقامه ثناء عليه ، سبحانه هو كما أثنى على نفسه . نحمده على ما من به من الفرقان . ونسأله المزيد من كرمه حتى نبالغ به أعلى فراديس الجنان . مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، بحجاء الوسيلة العظمى والمنة الكبرى علينا خاصة وعلى المؤمنين عامة خاتم النبيين وأفضل الخلق أجمعين . وصل اللهم وسلم وبارك على هذا النور المبين ، والسيد الذي هو عندك أمكن مكين ، سيدنا ومولانا محمد الذي هديت به من الضلالة ، وبصرت به من العمى ، وفرقت به بين الحق الذي كان قد درست معالمه ، وبين الباطل الذي قد طبق الأرض ظلامه ، وعلى آله الأطهار ، وأصحابه الأخيار ، وسائر التابعين لهم بأحسان ، لا سيما حماة شريعته ، والفقهاء في سنته ، وعلينا مهمم واجعلنا بفضلك منهم ، واختم لنا بما ختمت به من الخير لهم إنك حميد مجيد ﴿ أما بعد ﴾ فاعلم أيها الأخ في دين الله ، والرفيق في سبيله الطالب لمرضاته والمهارب من غضبه ، هبت الله على دينه قلبي وقلبك ، وشرح بنور كتابه وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام صدري وصدرك ، أن الله تبارك وتعالى قد أنزل في كتابه على نبيه الأمين وخاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم وبارك وسلم قوله المجيد (هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) أي علامات قربها ، فإن الاشراف جمع شرط - بفتحين - وهو الملاحة . وضح عنه عليه الصلاة والسلام فيما أخرج إمام الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - المتوفى سنة ست وخمسين

ومائتين - في جامعه الذي هو أصبح الكتب بعد كتاب الله تعالى ، كما اتفقت عليه كلمة جمهوراً كبيراً أهل هذا الشأن ، « بعثت أنا والساعة كهاتين » - وأشار إلى أصبعيه الشريفتين المسبحة والوسطى - فكان ذلك من ربنا تبارك وتعالى ونبينا عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام ، حثاً للعباد على الانتباه من غفلتهم ، والاستيقاظ من رقدتهم ، للتأهب والاستعداد لما ينفعهم يوم المعاد ، فنفع الله بذلك من شاء من عباده . وجد سلفنا الصالح رضي الله عنهم في العلم والعمل ، حتى لحقوا بربهم عز وجل ، وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه . أفلا نكون نحن أولى بالتشهير عن ساعد الجد فيما خلقنا لأجله ؟ وقد صرنا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر من هجرة سيد البشر الذي نزل عليه هذا التحذير ، وجاء بهذا النذير ، بلى ، وقد أحدث الله بعد نبيه أموراً وأموراً من أشراط الساعة ، كما أخبر به عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحاح المستفيضة ، وقد أفردت بالتأليف . ومن أجمعها وأنفعها كتاب « الأشاعة في أشراط الساعة » للشريف العلامة السيد محمد بن عبد الرسول الحسيني البرزنجي رضي الله عنه المتوفى سنة ثلاث ومائة وألف ، وقد طبع بمصر فليطلبه مرید الآخرة ، فستعلم إذا قرأته أو ما كتب في أبواب الفتن من صحاح كتب الأئمة المحدثين أنك في آخر آخر الزمان فقد تحققت الأشرط كلها إلا قليلاً ، وهو الأشرط الكبرى ، وكأنك بها وقد فحمتك ، ألم تر إلى ما أصبحت فيه من زمان هاجت فيه بحار الفتن ، وتلاطمت بالبدع المهلكة أهواجها ، وبيع فيه الهدى بالهوى ، والتبس فيه الحق بالباطل ، وسميت الأشياء بغير أسماؤها ، فسمى الثبات على الدين الحق جهوداً ، والخروج على التعاليم الربانية نباهة وتجديداً ، والشك فيما علم بالضرورة من دين الله الحق فلسفة ونبلا ، والانكار للاوليات من اليقينيات حصافة وعقلا ، وانتشرت الفوضى في العقائد والأعمال ، والأخلاق والآداب ، حتى أصبح لكل جماعة ، وأكاد أقول لكل شخص ، ما شاء له الهوى وإن نابذ كل فضيلة ، ومثل كل

رذيلة ، ويكفي في نظره أن يضع لما تمسك به ما أحب من الأسماء ، وإن أجمع على خلاف ما رآه كل العقلاء ، فانه يرى أن لا عقل إلا عقله ، ولا رأى إلا مارآه ، ولو كانت هذه الثورة قاصرة على الطوائف البعيدة عن الانتساب إلى العلم ، والانتماء إلى خدمة الدين ، لهان الأمر بعض الشيء ، ولكنها قد دبت إلى تلك الأوساط التي تنادى بأنها خادمة الدين وحاملة لواء السنة ، والداعية إلى المحجة ، والقائمة عن الله بالحجة ، وكثرت الجمعيات الحاملة للألقاب الخلابية ، المتسترة بستور الأسماء الجذابة ، فاذا دعاك إليها حسن ما تسمع من خبرها المطوى في أسماها ، صرفك عنها ما ترى في مخبرها الذي تتكشف عنه حقائقها المحبوة بين جدران دورها ، وتتم عنه فلتات السنة قاداتها ودعاتها ، وما تسطره بين آونة وأخرى صحائفها ومجلاتها . فمن كل جمع قلة حزب ، ومن كل فرد من الحزب إمام يستفتى ويقضى ، وما أسهل الفتيا عليه ، فانه لا يرى عليه فيها إلا أن يرجع إلى رأيه الخاص ، لا يتحرز من مخالفة إجماع ، ولا يتقيد بما عليه الصالحون من سلف هذه الأمة وأئمتها ، وليت هذه الفوضى اقتصرت على ما هو من المسائل الفرعية والأبواب غير الأصلية ، كالربا والزواج والطلاق ، ولكنها تخطتها إلى صميم الأصول ، ولباب الدين ، والكلام في صفات الله تعالى وأسمائه ، بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، والخوض فيما تشابه من آي الكتاب العزيز ، وفيما أشكل على أمثالهم من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، والله يعلم وأهل العلم يعلمون أن الجبل منهم ، إن لم نقل الكل ، أحط من أن يرقى إلى ما ظهر من علمها ، فضلا عن الدخول إلى باطن سرها ، وقد تزين هؤلاء للعامة بدعوى الانتساب إلى السلف ، والأخذ بالكتاب والسنة ، وساعدهم على رواج دعواهم انتشار الجهل بين الناس ، وعدم علمهم بما كان عليه السلف الصالح ، وقلة تفقهم في أصول الدين وفروعه ، كما هو الشأن عند اقتراب الساعة جدًّا ، وفاقا لما جاء به الصادق المصدوق عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأسمى البركات « لا تقوم الساعة حتى يقل العلم ويكثر

الجهل « وفي الحديث الآخر « لا تقوم الساعة حتى يؤتمن الخائن ويخون الأمين،
ويقبض العلم ويلقى الشح » وفي لفظ آخر « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه
من صدور العباد، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ
الناس رؤساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا ». وسأل سائل النبي
ﷺ : « يا رسول الله متى الساعة؟ فمضى في حديثه ولم يجبه، حتى ظنوا أنه
لم يسمع ما قال، أو سمعه ولكن كرهه، ثم قال عليه الصلاة والسلام: أين السائل؟
قال: ها أنا ذا يا رسول الله، قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال كيف
إضاعتها؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله « وفيه « لا تقوم الساعة حتى
يبعث دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم لا يفتنونكم
ولا يضلونكم » وفي الحديث الآخر « سيكون في آخر الزمان أقوام حدثاء الألسنة
سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية » والرمية فعيلة، بمعنى مفعولة من الرمي، وكل ذلك في الصحاح إلى
أشباهه كثيرة، بحيث إذا أحطت بها خيراً رأيت كأن النبي ﷺ مع أهل
كل زمان يحاضرهم ببيان ما هم عليه من فساد، وينصحهم بأمن النصائح وأغلاها
بما ينجيهم من ذلك الفساد، وينقذهم يوم التناد، فجازاه الله عن أمته خير الجزاء،
ولا عجب فهو المخاطب بقوله تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيماً) ومن ذا الذي يعرف قدر هذا الفضل، وقد استعظمه الملك الكريم الأكرم
الذي هو من كل عظيم أعظم؟ وقد أخرج الامام أحمد في مسند أبي بكر من
مسنده رضى الله عنهما « أنه عليه الصلاة والسلام صلى الصبح ذات يوم واستمر
على جلوسه في مصلاه لا يتكلم ولا يكلمه أحد، حتى إذا كان ساعة الضحى ضحك
واستمر على جلوسه وسكوته اليوم كله، لا يقوم إلا لأداء الفريضة، ويعود إلى
حاله، ففرغ أصحابه الكرام فكلموا أبا بكر رضى الله عنه أن يستخبر لهم عن
الأمر، فقص الحديث. وفيه أن رسول الله ﷺ قال له: عرض على ما هو كائن

من أمر الدنيا وأمر الآخرة » وفي رواية لغير أحمد « إن ربى أطلعنى في يومى هذا على ما كان وعلى ما يكون » فمن ذا الذى يحصى خصائص هذا النبى الكريم ويقدر نصائحه وجهاده وغناؤه وعماءه لمصلحة النوع البشرى كله ، من ذا الذى يقدر ذلك حق قدره ؟ وتالله مابالغ مادحه حيث يقول
فمبلغ العلم فيه أنه بشر * وأنه خير خلق الله كلهم

﴿ فصل ﴾

واعلم أنه ما من بدعة حدثت أو تحدث بعده عليه الصلاة والسلام إلا وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الرد عليها ، والمخرج عنها ، لقوم يفقهون ، أجزل الله حظنا وحظك من الفقه فى دينه ، وآتانا وإياك الفهم فى كتابه ، وكال العلم بما تهدى إليه سنة نبيه . ومن ظن أن أهل العلم فضلا عن سواهم سواسية فى فهم الكتاب والسنة ، فقد ظن خطأ وبعد عن الصواب بعد الشمس عن الأرض ، إلا أنه ليس عليه ضياء . وبيانا لهذا التفاوت حث رسول الله ﷺ حاضرى مجلسه الشريف ، ومقاماته المنيفة ، أن يبلغ الشاهد الغائب . فى صحيح البخارى وغيره « ألا ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع » . فلم يقتصر على الأمر حتى بين لهم عليه الصلاة والسلام سر الأمر وحكمته ، وفى لفظ آخر (نضر الله امرأ سمع منا حديثا فوعاه وأداه كما سمعه ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) وفى لفظ آخر « رب حامل فقه ليس بفقيه » رواه البزار بإسناد حسن وابن حبان فى صحيحه وصححه الحافظ المنذرى - صلى الله وسلم وبارك عليه ما أحسن مارسم ، ولو أن الناس وقفوا عند مارسم ما نسكت الأمة بهذه البدع الشنيعة فى الأصول والفروع ، فانظر إلى قوله الشريف للراوى عنه « كما سمعه » فهو تصريح بالحجر على غير الفقيه أن يخوض فيما رواه بزيادة تفسير أو تأويل ، ولكن يدع الأمر فى ذلك لمن تأهل له ، فما كل من روى يقبل رأيه الذى رأى ، ولا كل

من حفظ اللفظ كان أهـلاً لبيان كُنه المعنى وما يستنبط منه ، وإذا كان ذلك كما وصفنا في كلام رسول الله ﷺ فما ظنك بكلام رب العالمين ؟ وواضح كل الوضوح أن لكل فن مؤهلات ، فمن خاض فيه بدونها كان خطؤه أكثر من صوابه وضرره أقرب من نفعه .

وكان الناس في الصدر الأول على الحدود التي حدّها لهم أعرف الناس بالهدى وطرقه ، وأرحمهم بهم ﷺ ، فعم الخير كل أمورهم علميها وعمليها ، ولما بدأ الناس يبعدون عن عهد النبوة شرعت شرادهم منهم تتخطى الحدود ، فتكلم غير الفقيه فيما روى بما رأى ، وقال في الأمور العامة من لا يحسن أمره الخاصة ، وتحقق ما أخبر به النبي ﷺ من أن الساعة « لا تقوم حتى يتكلم الرويبضة » وهو تصغير رابض والتاء للمبالغة لا للتأنيث ، وهو الرجل الحقير : رابض عن معالي الأمور أي قعد عنها . وقد روى في الحديث تفسيره قيل : يا رسول الله ما الرويبضة ؟ قال : « الرجل التافه ينطق في أمور العامة » وما زال أولئك الشُّدَّادُ يتمصبون لأهوائهم ، ويتبعهم أمثالهم ، وكثير من الناس - كما قال الامام علي رضي الله عنه - همج رعا ع أتباع كل ناعق . وطال العهد حتى صار لكل خلف - بسكون اللام - من تلك الطوائف سلف طالح ، كما لاخلف السلف الصالح ، وقد ثبت في الحديث عرفوعاً « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » رواه عن النبي ﷺ عدة من الصحابة ، وأخرجه ابن عدى من طرق ، وجزم الحافظ الملائي بأنه حديث حسن ، ورواه النووي في أول تهذيبه ، وشرح ما يستنبط منه .

﴿ فصل ﴾

ومما يؤسف له جِدُّ الأُسف أن بعض الحفاظ للسنة وقع في هذا الخطأ الكبير فحاض في تفسير الأحاديث المتشابهة وقال في ذات الله وصفاته ما أنكره

عليه أجلة الفقهاء لهذا الشأن الأعلى . والفقهاء فقهاء فقه أكبر وهو العلم المتعلق بما ينبغي لله وما لا ينبغي له ، وما يتصل بذلك وهو المسمى في عرف المتأخرين بعلم الكلام ، وفقه كبير وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية . ومن الغلط العظيم الذي وقع فيه الكثير من الناس ، فاضلهم ومفضولهم ، أن يؤخذ عن الرجل ما لا يحسنه ، لأن له الأمانة في فن آخر أحسنه ، وكثيراً ما يكون الرجل إماماً في علم الأصول وهو متوسط أو دون المتوسط في علم الفروع ، وبالعكس ، وإماماً في الحفظ ونقد الرجال ومتون الأحاديث والعمل ، وهو في غير ذلك نازل كل النزول ، حتى إنك لتعده فيه من العامة ، وأنت إذا أحكمت الفكر واطلمت على طبقات الرجال وعرفت أحوال أهلها ، رأيت لما قلنا شواهد كثيرة لاتدع مدخلا للشك إلى نفسك في ذلك ، ولو شئنا لتحدثنا إليك عن كثير من أهل العلم كان لهم التقدم الفائق في الفن والفنين والأكثر ، فاذا تكلموا فيما أحسنوا رأيت منهم أئمة سادة ، ونقادة ، وإذا نطقوا في غيره شهدت غباً تدهش له ، وعامية لا ينقضى منها عجبك ، بيد أن هذه الرسالة عجالة نريد فيها الاختصار بقدر الاستطاعة ، ومن هنا تعلم السر فيما قال المصطفى صلى الله عليه وآله « أنزلوا الناس منازلهم » وقد احتج به الامام مسلم ابن الحجاج المتوفى سنة إحدى وستين ومائتين في مقدمة صحيحه على من يروى عن الضعفاء كأنه يسوى بينهم وبين الثقات ، وأصاب رضى الله عنه ، فمن كان إماماً في حفظ الحديث والخبرة بالأسانيد والعمل فليؤخذ عنه ما هو مبرز فيه من الحكم بصحة الحديث أو حسنه أو ضعفه أو وضعه ، أما بقية علوم الحديث دراية كاللغة والصرف والنحو وما إلى ذلك من علوم العربية والفقهاء بقسميه فلا يؤخذ عنه ، فربما كان عامياً أو قريباً منه في بعض هذه الفنون أو كلها ، بل ربما ادعى لنفسه بغير حق التبريز والأمانة في غير ما هو مبرز فيه ، فأفتى وألف ، فلا يفرنك منه ذلك ، وإذا أنت أردت ميزاناً صادقاً تعرف به حقيقة دعوى الرجل فدونك هذا الميزان : ترجع إلى أهل الفن الذى تتكلم فيه فتنظر ما قدر الرجل عندهم

فبشهادتهم تأخذ، فهم الإخصائيون بالفن، والذين يتميز لديهم المدعى من الصادق، ويستحيل في العادة أن يجمع أهل الفن على القدر في رجل حسداً وبعياً، هذا ولا يسقط الرجل عن إمامته فيما فاق فيه تبعيته لغيره فيما لم يحسن، ورد قوله فيه إذا هو افتأت على الكلام فيما ليس له بأهل. وتاريخ الجهابذة حافل بأخذ كل فن عن إمامه، وأهل الاتقان له، هذا تاج الدين السبكي كان الذهبي من شيوخه في الحديث، وشهد له بالحفظ، ولم يكن يتبعه في آرائه الخاصة المنحرفة، وشهد له وعليه، فقال بعد ما أثنى على حفظه «والحق أن شيخنا كان قليل الخبرة بدلوات الألفاظ» ومثل لذلك بما لا نطيل به. وهذا محمد بن إسحاق بن خزيمة المتوفى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، له الإمامة في الحفظ والعلم بالعمل في المتون والأسانيد وفنون سوى علم الكلام، قال فيه الاستاذ الأجل أبو سهل الصعلوكي المجمع على إمامته في الحديث وأصول الدين وفروعه، المتوفى سنة تسع وستين وثلاثمائة، وهو أحد الرواة عنه - حين ألف كتابه الذي سماه التوحيد - : إن شيخنا تكلم في مالا يعنيه. وطعنه الامام فخر الدين الرازي المتوفى سنة خمس وستائة في تفسيره بما لعلنا نقله لك في موضع آخر وإنما أتى هذا الامام المحدث من قبل دخوله فيما لا يحسنه. وفي الأثر «رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره» هذا هو دأب الذين يريدون أن يحبوا سنة نبيهم ويأتوا البيوت من أبوابها، وبفضل الله تعالى ويمين رسوله الكريم توفرت الجماعات المبرزة في الفنون المتعلقة بالدين مباشرة أو بواسطة، واختلفت الدواعي فكثرت الإخصائيون حين امتد رواق الاسلام على المشارق والمغرب، حتى تمحصت الحقائق، وصارت العلوم الاعتقادية والخلقية والعملية لبا بلا قشر، وزبد لا يحتاج إلى مخض ورجعت سهام مكائد أعداء الاسلام في نحورهم، وصار من أجلى الجليات أن حامل لواء السنة في العقائد الاسلامية أبو منصور الماتريدي المتوفى سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وأبو الحسن الأشعري المتوفى سنة بضع وعشرين وثلاثمائة

وشيعتهما ، وفي الفقه الشرعي الأئمة الأربعة ، والمبرزون من أجمعهم ، وفي علم
أحوال القلوب الجنيد المتوفى سنة بضع وتسعين ومائتين ، وأبو القاسم القشيري
المتوفى سنة خمس وستين وأربعمائة ، ومن على شاكتهما . وقد كثر من هؤلاء
الافاضل متقدميهم ومتأخريهم المصنفات بين مطول ومختصر وبين ذلك . وكان
الناس بخير أيام كانوا يرجعون إلى الاقتباس من هؤلاء النجوم ، والاعتراف من
أنهار علومهم العذبة الجارية إليهم من بحار الكتاب والسنة .

أما وقد ديست هذه الرسوم وانتهكت تلك الحرم ، واجتمع في كثير من
أهل هذا العصر المهلكات الثلاث : الشح المطاع ، والهوى المتبع ، وإعجاب
المرء برأيه ، فقد أصبح من الواجب الأكيد ، وللأزم المحتم ، أن أقدم لك أيها الأخ
نصيحة تطرد عنك إن شاء الله هذه الظلم المنتشرة ، وتزيح عن مشام روحك
دخان هذه البدع التي صارت بمدخولها مشتهرة ، وهي - نسأل الله السلامة منها -
كثيرة جدا ، ليس في وسع هذا المختصر استقصاؤها ، فسأذ كر لك أشدها خطرا ،
وأعمقها في إفساد القلوب وسد أبواب الرحمة الإلهية أثرا ، وأكثرها التباسا على
من لم يمارس علوم الكتاب والسنة ، فان دعواتها ينادون الناس إليها باسم الكتاب
والسنة فيما يزعمون ، وأنها طريق السلف الصالح ، ولذلك تسميهم يلقبون أنفسهم
بأنهم السنيون والسلفيون ، وإني باديء بما هو الأهم من ذلك ، وهو ما تعلق بذات
الله تعالى وصفاته ، فان هؤلاء المبتدعة وصفوا الله تعالى بصفات خلقه ، فجوزوا
عليه الجلوس والنزول الحسينين ، والاجزاء كالوجه والعين واليد والرجل الحسيات ،
ونسبوا إليه سبحانه المكان والجهة ، تمسكا بآيات من الكتاب يقرؤون كلماتهم بحرفون
الكلم عن مواضعه ، وتمسحا بطواهر أحاديث كثير منها مما لا يحتاج به ، لما
بينه أهل النقد من عللها ، والصحيح منها أجل وأعلا من أن تحوم حول رفيع
معانيه هذه الأفهام العامية الساقطة ، وماذا نصنع وقد امتلأت هذه النفوس عجبا ،
وصالت أسنتها زراية على الأولين والآخريين ، من أئمة هذه الأمة وأكارها ،

ونبزوهم بما استطاعوا من الألقاب الشائنة ، وليس لهم ذنب عندهم إلا أنهم
فرقوا بين الخالق والمخلوق ، فقالوا بتزويه الله في ذاته العلية ، وصفاته المقدسة
عن كل ما يختص بالاكوان ، وجعلوا القرآن إمامهم في هذا الفرقان ، واستغل
أولئك نفر جهل كثير من أهل هذا العصر بتاريخ هذه الفرق الجاهلة ، فأوهوا
الناس أنهم يمثلون السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم من التابعين لهم بأحسان ،
والتاريخ يشهد والعلم بكتاب الله ينادي أنهم ما مثلوا إلا سلف سوء من أشياخ
المشبهة وأئمة المجسمة ، الذين يفسرون الكتاب بأهوائهم ، ويحملون السنة على
آرائهم ، ويتقولون على معاني كتاب الله ، ويضعون على رسول الله ، يأخذون
بالضعيف إذا وافق منهم هوى ، ويردون الصحيح أو يشككون في صحته إذا كان
حجة عليهم .

﴿ فصل ﴾

أما قولنا إن التاريخ يشهد فيكفيك في بيانه أن تطلع على الكتب المبينة
للفرق بعد النبي ﷺ ، ككتاب الفصل لابن حزم ، والفرق بين الفرق للإمام
المحقق عبد القاهر البغدادي ، والمثل والنحل للشهرستاني ، وعلى كتب الطبقات
كطبقات تاج الدين السبكي ، وتهذيب التهذيب ولسان الميزان كلاهما للحافظ
ابن حجر العسقلاني ، وعلى الكتب الموضوعة في التاريخ العام ، كتاريخ ابن
الأثير وغيره ، فستجدها ناطقة بأن فرقة المشبهة ليست وليدة عصرنا هذا ، بل
لها عرق ممتد إلى زمن التابعين ، وكثيراً ما كانت أستاذهم التي يتحجبون بها عن
العامية وبعض الخاصة ممن سلم صدره ولم يعن بالتفتيش عن أطوارهم ومؤلفاتهم ،
هي التزهد والتقشف والاشتغال برواية الحديث وجمعه حتى إذا عرفوا نبذوا ،
وكان أهل الحق يلقبونهم بالألقاب تكشفهم لمن لا يعرفهم : بالمشبهة لتشبيههم الحق
بمبارك وتعالى بخلقه في وصفه بما هو من خواص الخلق ، وبالمجسمة لقولهم في الله

تعالى بالاتصاف بما هو من لوازم الجسم لزوماً بينما كما ستعرفه إن شاء الله تعالى ،
وبالحشوية نسبة إلى الحشو بسكون الشين ، وهو اللغو الذي لا اعتبار له ، فضلاً عن
أن يكون منسوباً إلى الله وإلى رسوله ، أو مذهباً يدان الله تعالى به . وما زال أهل
الحق لهم بالمرصاد . وهم الكثرة من علماء هذه الأمة في كل زمان بحمد الله
تعالى . يناظرونهم حتى يفحموهم ، ويسردون في الطبقات تاريخهم ، ويصنفون
المصنفات في الرد على مقترياتهم . اقرأ ترجمة مقاتل بن سليمان المتوفى سنة
خمسين ومائة في تهذيب التهذيب ، فستجد شهادة إمام الأئمة أبي حنيفة رضي
الله عنه . وهو من هو في علم أصول الدين وفروعه ، والآخذ عن بعض الصحابة
وأكابر التابعين . تجمد هذا الإمام الأعظم شهد على هذا الرجل أنه الذي حمل
إليهم من خراسان بدعة التشبيه ، ولفظه رضي الله عنه : « أتانا من المشرق
رأيان خبيثان : جهنم معطل ، ومقاتل مشبه » . وقال أيضاً : « أفرط جهنم في النفي
حتى قال إن الله ليس بشيء ، وأفرط مقاتل في الأثبات حتى جعل الله تعالى
مثل خلقه » . فانظر كيف سماها بدعة وقال إنها آتية من ناحية بلاد العجم ،
ولم تأتهم من ناحية العرب والبلاد التي هي نهضة الوحي . وانظر إلى إمام دار
الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه كيف اشتد على من قال له : الرحمن على
العرش استوى ، كيف استوى ؟ وعلته الرخصاء أي العرق الكثير وقال :
« ما أظنك إلا صاحب بدعة » وإنما ظنه كذلك لأن سؤاله عن كيفية الاستواء
يدل على أنه فهم الاستواء على معناه الظاهر الحسي الذي هو من قبيل تمكن
جسم على جسم واستقراره عليه ، وإنما شك في كيفية هذا الاستقرار فسأل
عنها ، وهذا هو التشبيه بعينه الذي أشار إليه الإمام بالبدعة ، ويوضحه ما روى
اللالكائي في شرح السنة بالسند أن الإمام قال في جوابه هذه العبارة ،
« الاستواء مذكور ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه
بدعة » إلى آخره . فمن رواه « الاستواء معلوم والكيف مجهول » ينبغي أن ترد

روايته إلى هذا المعنى ، يعنى أن الاستواء معلوم الورد فى الكتاب ، فيرجع إلى قوله فى الرواية السابقة «الاستواء مذكور» وقوله : والكيف مجهول . أى لا تعلم له ماهية بالمعنى المتعارف ، ولا يعقل له وجود فيما يتعلق بجانب الحق جل وعلا ، فيرجع إلى قوله فى تلك الرواية « والكيف غير معقول » لا أن هناك كيفاً وصفة لذلك الاستقرار لكنها لا تعلم ، فان أصل الاستقرار والتمكن لا وجود له ، فضلاً عن صفته ، ومن ظن بالامام سوى هذا فقد غلط ، كيف لا وقد ثبت النقل عنه أنه سئل عن حديث النزول فقال « هو نزول رحمة لا نزول نقلة » ومن ذكر ذلك عنه أبو بكر بن العربى . وكان رضى الله عنه لا يعجبه من المحدث ان يحدث العامة بهذا الحديث وأشباهه مما يوقعهم فى ورطة التشبيه ، وله رضى الله عنه فى هذا وجه وجيه ، ونظر سديد . ويؤيده من السنة ما روى مسلم فى صحيحه عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه سأل صلى الله عليه وسلم عن حق الله على عباده وحق العباد عليه تعالى الحديث ، وفيه « أفلا أخبر الناس » ؟ يعنى العامة فقال صلى الله عليه وسلم « إذا يتكلموا » فقد منع صلى الله عليه وسلم « العالم من تعليم بعض العلم ، إذا لم يكن لمتعلم يحسن فهمه ويتأوله على غير وجهه ، فانه حينئذ يكون ضلالاً له ، ووبالاً عليه . ووقع نحو هذه القصة لأبى هريرة رضى الله عنه أخرجها البخارى رحمه الله تعالى بطولها . وكذلك قال الامام الأجل أبو عبد الله الشافعى رضى الله عنه « آمنت بما جاء عن الله على مراد الله . وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد رسول الله » يعنى رضى الله عنه لا على ما تفهم العامة من المعانى الحسية الجسمية . ونقل ابن الجوزى فى كتابه « دفع شبه التشبيه » عن الامام أحمد رضى الله عنه نحوه من هذا ، فرد أبلغ الرد على المنتسبين إليه الناسيين له ما هو براء منه ، وهذه الفئة ولع شديد باقتراء الأباطيل ونسبتها إلى أكابر أئمة هذه الأمة ، ولو استقرت القرون منذ نجت هذه البدعة لرأيت فى كل قرن إلى زمانك هذا من هذه الطائفة فلولاً تشاغب وتموه وبأزائم جيوشا من أهل

السنة بحق تدافع وتُبَيِّن ، بين مناظر يجادل عن الحق في المجالس الخاصة والعامّة ،
وهؤايف يزِيل ظلمات شَبههم بنور الحجج المعقولة المنقولة حتى تركوا من هذه
المؤلفات القِيمة لطالب الهدى ثروة لا تنفد ، وكنوزا لا تبيد . على الأبد ،
ومن هذه الكنوز الفائقة وتلك الثروات العظيمة ، كتاب الامام الحافظ الثقة
الحجة المبرّز في علم الحديث رواية ودراية ، علم الفقهاء أبي بكر أحمد بن الحسين
ابن علي البيهقي المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة . كثر في زمانه رضي الله عنه
الخوض في أسماء الله تعالى وصفاته بما لا يليق بجنابه عز وجل ، فألف كتابه المسمى
« بالاسماء والصفات » قال الامام تاج الدين السبكي : لا أعلم له في بابهِ نظيراً .
وصدق رضي الله عنه فإنه عمد فيه إلى جمع الأحاديث التي تعلقت بها المبتدعة
من المشبهة والحشوية ، فبين ما لا يصح الاحتجاج به منها بذكر ما فيه من علة ،
وأزال الاشكال عما صح من متشابهها ، وضم إليها ما ناسبها من آيات الكتاب .
وأضاف إلى ذلك ما قال أكابر العلماء من قبله . فجزاه الله عن دينه وأمة نبيه
ﷺ خير الجزاء ، كأنه رضي الله عنه قصد بكتابه هذا غسل العار الذي ألحقه
الحافظ ابن خزيمة بأهل الحديث ، فإنه ألف كتاباً سماه « كتاب التوحيد » ، وليته
اقتصر فيه على جمع الأحاديث المتشابهة ، ولكنه فسرها بما لا يصح أن يعتقد في
الله تعالى ، ولا يقول به المحققون من سلف ولا خلف ، وقد طعنه الامام فخر الدين
الرازي طعنة أردته قتيلاً ، حيث قال رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى (ليس
كمثل شيء) : واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه
الآية في الكتاب الذي سماه بالتوحيد ، وهو في الحقيقة كتاب الشرك ، واعترض
عليه ، وأنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات ، لأنه كان رجلاً مضطرب
الكلام ، قليل الفهم ، ناقص العقل اه . ثم ساق كلامه وهو كلام لا يقوله مؤمن
محقق نافذ البصيرة في المعرفة بربه ، ولذلك ضربنا عن نقله ولثلاً يتشوش به
ضعيف ، ثم قال الامام الفخر رضي الله عنه : وأقول هذا المسكين الجاهل إنما وقع

في أمثال هذه الحرافات لأنه لم يعرف حقيقة المثلية وعلماء التوحيد حققوا الكلام في المثلية ، إلى أن قال : وإن هذه الكلمات التي أوردتها هذا الانسان إنما أوردتها لكونه كان بعيداً عن معرفة الحقائق ، فجرى على منهج كلمات العوام ، فاغتر بتلك الكلمات التي ذكرها ، ونسأل الله حسن الخاتمة « اه
ومن قرأ توحيد ابن خزيمة عذر هذا الامام فيما قال ، وقد أسلفنا لك أن الأمامة في الحفظ والعلم بالعدل في متون الأحاديث وأسانيدها لا تقتضى الامامة المطلقة في كل فن ، وذلك ظاهر لا يحتاج إلى بيان ، فلا ينبغي أن يقتدى به إلا فيما هو إمام فيه ، ومن خالف هذه القاعدة لم يسلم له دينه في أصول ولا في فروع ، فنصيحتي لك إذا أردت السلامة لنفسك أن تكون في عقائدك على ما دونه الامامان أبو منصور الماتريدي وأبو الحسن الأشعري ، فانه هو ما يهدى إليه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، من غير ميل إلى جانب إفراط أو تفريط ، وأن تكون في الفروع على مذهب أحد الأئمة الأربعة رضى الله عنهم ، وأنت إذا انتصحت بهذه النصيحة ولم تحذ عنها كنت على طريق الصحابة والتابعين لهم بأحسان ، فان من سميننا لك من الأئمة هم سالكوها والناشرون لها ، والذابون عنها والداعون إليها ، ونسبة الاتباع إليهم إنما هو لذلك فقط . لا لأنهم مبتدعوها حاشاهم من البدع ، وكيف وهم الذين أطفأوا نيران البدع ، وأحيوا نور السنن ، ولولاهم وعلماء أتباعهم لكان الناس اليوم على غير ما جاء به المصطفى ﷺ ، فشكر الله سعيهم ، وجعل محيبتنا ومماتنا على سبيلهم ، إنه الجواد الكريم .

﴿ فصل ﴾

قرأ علينا ولدنا التقي النقي العالم العامل المحب للسنة نجم الدين ابن شيخنا شمس العارفين وقطب الواصلين ، قدوتنا إلى الله تعالى ، الشيخ محمد أمين ، هذا الكتاب « كتاب الحافظ البيهقي » فاذا هو في بابه نادر المثال ، رفيع الموضوع

بل موضوعه أرفع المطالب وأسننها ، فإنه في الأسماء العلية والصفات المقدسة
الربانية ، وقد زينه بالآيات والأحاديث المصطفوية ، على صاحبها أفضل صلاة
وأجل تحية ، ونوره بكلمات المحققين من سلف هذه الأمة الصالح ، وحمله السنة
السنية ، الذين هم على الصراط المستقيم ، فرغب في طبعه بهذه الديار المصرية ،
حباً في العلم ، ونشراً للسنة ، وإحياء لمذهب السلف الصالح ، وليعلم من لا خبرة
له بتاريخ البدع ومروجيها أن ما انتشر في زماننا من القول بالجهمة والأعضاء
والحركة في حق ربنا تبارك وتعالى ، إنما هو قول سلف المبتدعة ، ومن اغتر
بزخرف قولهم من المحدثين الذين لم يبرعوا في معقول ، ولم يقفوا عند منقول ،
نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، فحمدنا الله على هذا التوفيق ، ورغب
إلينا ليف من أهل العلم أن نضع على هذا الكتاب تعليقات توضحه ، فلم نره
في حاجة كبيرة إلى ذلك ، بعد الذي تفضل بوضعه عليه العلامة المدقق والفهامة
المحقق ، الأستاذ الكبير الشيخ محمد زاهد الكوثري ورأينا أن أولى ما نقدمه
بين يدي هذا الكتاب ، وأحرى ما تتوجه إليه العناية ، هي رسالة نبين فيها
وجه إطباق المحققين من سلف أهل السنة وخلفهم ، على صرف آيات الاستواء على
العرش والوجه والعين واليد وما شابهها من الآيات والأحاديث عن الظاهر المتبادر
لأذهان العوام وعدم ذلك من المتشابه بلا خلاف بين متقدميهم ومتأخريهم ،
في أن المعنى الظاهر الحسي الذي هو من لوازم الأجسام غير مراد لله ورسوله قطعه
ولاشك أن هذا منهم رضى الله عنهم إجماع على التنزيه ، غير أن أكثر المتكلمين
لم يتكلموا في تعيين المراد ، واكتفوا بتفويضه إلى الله ورسوله ، وهل يسمى ذلك
تأويلاً أولاً ؟ رأيان للناظرين ، والكثيرين ممن بعدهم تكلموا في تعيينه على ما تقتضيه
اللغة التي نزل بها القرآن على ما سيأتيك تفصيله إن شاء الله تعالى .

و ينتجز القول في هذا المطالب الأعلى وما يتبعه في مقدمة ومقصد وخاتمة .

فالمقدمة في أمور لا يستغنى طالب هذا المطالب الأعلى عن معرفتها قبل

الاشتغال بتحصيله ، والمقصد في الفرق بين الصفات المختصة بالخلق والصفات المختصة بالحق ، على ما يرشد إليه الكتاب العزيز ، ويهدي إليه القرآن الحكيم والعقل السليم ، فان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والخاتمة في بيان معنى الايمان والكفر ، وفيها يتبين لك أن التوسل والتشفع والاستغاثة بالنبيين عليهم الصلاة والسلام ، والصالحين رضى الله عنهم ، بعد وفاتهم ، مع اعتقاد أنهم مفاتيح الرحمة وأسباب الخير ، والفتاح لها بهم هو الله وحده ، ليس شركا ولا كفرا ، ولا حراما ولا مكروها ، بل هو سبيل المؤمنين ، وطريق عباد الله المرضيين . وسميها « فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الاكوان » والله نستعين على تيسير ما أردنا به النصيح للامة ، وإياه نسأل متوسلين إليه سبحانه بأكرم خلقه عليه ، وأحبهم إليه ، سيدنا ومولانا محمد نبي الرحمة وبجميع المرضيين عنده سبحانه ، أن يجعل ذلك العمل خالصا لوجهه الكريم ، وسببا للفوز برضاه الدائم العميم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

المقدمة

وفيها فصول تلتقى لك أضواء على هذا المقصد الأسنى الذي هو تمييز ما للخالق من الصفات ، على ما يدل عليه كتاب الله تعالى ، ويهدي إليه الفهم الصحيح فيه ، والله نستعين على تنزيل هذه المعاني العليا إلى المستوى الذي لا يعلو على العامة ارتقاؤه ، ولا يخفى على الخاصة ضياؤه

﴿ فصل ﴾

ينقسم الشيء باعتبار قبوله للاتصاف بالوجود أو العدم إلى أقسام ثلاثة :
ممتنع لذاته ، ويمكن لذاته ، وواجب لذاته ، ومن السهل عليك أن تفهم ذلك ، فان اتصاف الولد بالوجود قبل أن يوجد أبوه ممتنع أو مستحيل أو غير جائز ، كيف

سئلت من هذه الالفاظ فقل . فالمعنى واحد . واتصافه بالوجود بعد وجود أبيه ، وقبل أن يرزقه أبوه ، ممكن ، أو جائز أو غير ممتنع ولا واجب ، وكذلك هو بعد أن يولد ، إلا أنه قبل أن يولد ممكن لا يزال في العدم ، و بعد أن يولد هو ممكن قد كساه الوهاب حلة الوجود ، وجميع ما تراه أو تحس به من هذه الموجودات العلوية والسفلية هو من هذا القسم أى (الموجودات الممكنة) وأما واجب الوجود الذى لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء له ، ولا يقبل وجوده الزوال ولا الانتفاء بوجه ، فلا يكون إلا واحداً وهو الله جل جلاله ، على ذلك قامت البراهين ، وامتلاً بها كتاب الله ، كما أركزها فى الفطر السليمة ، وأقرها فى العقول المستقيمة واهب الكائنات ذواتها وصفاتها وحاجاتها ، تبارك وتعالى . إنك لا تنفك ترى أشخاصاً من النبات والانسان والحيوان توجد بعد أن لم تكن ، وأشخاصاً منها تنعدم بعد أن وجدت ، فالحكم عليها بالامكان لا يحتاج منك إلى تأمل ، وهو ما يسميه أهل العلم بالبديهى ، وأما ما شاهدت دوامه فى العوالم العلوية والسفلية كالنجوم والجبال ، فتستطيع أن تعرف نزولها عن ذروة الوجوب واستقرارها فى حضيض الامكان دائماً أبداً ، متى عرفت هذه النظرية الواضحة ، وهى أن مادة هذه العوالم كلها يستحيل عليها أن تكون موجودة إلا وهى موصوفة بالبساطة ، أو التركيب والمراد بالبساطة فى هذا المقام عدم قبول الشئ للانقسام لصغر حجمه جد الصغر ، وبالتركيب كونه بحيث يقبل الانقسام ، سواء كانت أجزاءه من عنصر واحد أو عناصر ومتصفة بالعلو المكاني كالنجوم أو التسفل كالارض وبالطول والقصر وبالأضاءة والاطلام إلى غير ذلك من الصفات المتقابلة وكل صفة من هذه الصفات فهى معرضة لأن تزول وتحل محلها الصفة التى تقابلها ، وما كان عرضة للزوال فهو ممكن ، وما لا يتأذى وجوده إلا متصفاً بالممكن فهو ممكن لا محالة ، ومن ذا الذى يقول وهو من أهل العقول إن المادة لا تتبدل صفاتها ؟ وهذه المعامل قائمة ، فكيفك بقبول هذه الصفات لتتبدل والتحول برهاناً ساطعاً على إمكان هذه الصفات ، وما استحال

وجوده بدون الممكن كان ممكناً بدهاءة ، ومن أحكام الممكن أنه إذا وجد كان حادثاً ، أي موجوداً بعد العدم ، إذ لو لم يكن كذلك بل كان موجوداً بلا ابتداء لوجوده لخرج عن دائرة الامكان إلى الوجوب ، كيف وقد فرضناه ممكناً ، فكل ما تشخص وتعين من أفراد المادة فهو حادث بلا نزاع بين من يعتد به من كل من يحترم عقله ، ويزن أفكاره بالميزان المنطقي الصحيح ، وإذا قد بان لك أنك وما يدخل تحت حواسك منه ما هو ممكن بالبدهاءة وما هو ممكن بالنظر الصحيح ، أمكنك أن تلمح نور وجود واجب الوجود جل علاه بالنظر الجلي ، فان جميع الممكنات جملة وتفصيلاً ليس وجودها من ذاتها ، وإلا وجب لها الوجود ، ولا من معدوم ، فان المعدوم فاقد الوجود ، وفاقد الشيء لا يعطيه بالضرورة ، فلا بد أن يكون واهب الوجود لها موجوداً سواها ، والموجود الذي ليس هو بممكن إنما هو واجب الوجود ، لا يشك في ذلك من أوتي حظاً من الحكمة ، ونال نصيباً من الفلسفة الصحيحة ، ومن أجل ذلك قالت الرسل للأمم عليهم وعلى أتباعهم الصلاة والسلام (أفى الله شك فاطر السموات والأرض ؟) وقال الخلاق العليم ينبيه العقول إلى هذه القضية التي هي أوضح من الشمس ، وهي أن ترجح وجود الممكن على عدمه بلا موجود واجب وجوده محال ، قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون) فانظر إلى سياق القرآن هذا البرهان الساطع والدليل الناصع على هذا النظم العجيب ، والأسلوب الآخذ بالباب أولى النهى ، إلى جليلة الحق ، روى مسلم في صحيحه عن جبير بن مطعم أنه قدم المدينة وهو مشرك فاذا رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بسورة الطور قال فأصغيت إلى قراءته حتى إذا بلغ قوله تعالى (أم خلقوا) الخ ، قال رضى الله عنه : كاد قلبي أن يطير ، وأدخل الله على الاسلام ، وأى أسلوب أعجب من هذا ؟ فقد سبق هذا البرهان لأعلى الطريقة التي تدع لنفس السامع مجالاً في التردد ، ولكن على السبيل التي تفهر النفس على قبول الحق قهراً

وتقسرها عن تلاعب الأوهام بها قسراً ، فان الآية قد جعلت حدوث الحوادث
- والحادث ممكن كما أسلفنا - بلا وجود يكون واجب الوجود من الأباطيل التي
بطلانها في حيز الظاهر المكشوف الذي ينكر على من قال به إنكاراً . فان (أم)
في الآية الكريمة بمعنى بل ، وههزة الاستفهام ، وهو هنا إنكارى بمعنى النفي . والله
الحجة البالغة على خلقه ، فان الناس يعلمون أنهم ما كانوا شيئاً مذكوراً ، ثم كانوا
وجود المعدوم بلا سبب موجود محال بداهة وكون المعدوم أو وجد نفسه أظهر في الاستحالة
وأبعد في الامتناع ، وواضح أن من لا يملك وجود نفسه لا يستطيع أن يعطى
الوجود لسواه ، وعسى أن يكون قد بان لك إن شاء الله أن جميع الممكنات
الموجودة سواء كانت ذوات أو صفات فقيرة كل الفقر في جميع أطوارها ، وكل
تقلباتها ، إلى من تعالى وجوده عن الامكان ، وجلت صفاته عن النقصان .
ولا يستخفك أولئك الذين تعبدتهم المادة وأضاعت ظلمات الشهوات
أفهامهم ، فانكروا الملك القدوس واجب الوجود . فليسوا من العلم الصحيح
بهذه النظرية في كثير ولا قليل . فانهم أخذوا على أنفسهم أنهم لا يؤمنون إلا
بما به يحسون . وقصروا لفظ العلم على ما يدرك بالحواس ، فأنى لهم وهذا شأنهم
أن يظفروا بمعرفة من تعالى عن الحواس ، وتقصد عن مشابهة المادة والماديات
التي انقطعوا إليها ، وما عرفوا إلا قليلاً من ظواهرها ، على اتساع معاملهم ،
وكثرة أبحاثهم . رأوا الكائنات المادية تجري على نظم محكمة ، وقواعد مضبوطة
يعبرون عنها بالنواميس . حتى إنك لتسميهم يقولون : إن الطبيعة لا تلتقي شيئاً
جزافاً ، فاستدلوا بهذا النظام العجيب المدهش لاساطين المفكرين على إنكار
واضعه جل جلاله : ولو كان الجزاف سائداً في الكون لكان المنكر شيء من
الشبهة ، أما وهم المعترفون بالنواميس ودقتها ، والنظم وإحكامها في الكون كله .
من أصغر شيء وأحقره ، إلى أكبر شيء وأعظمه ، فقد اندحرت كل شبهة ،
وقام أسطع البراهين لا على وجود الخالق فحسب ، بل على كمال رحمته وحكمته

وعنايته ، إلى غير ذلك من صفات مجده الأعلى ، وكاله الأسنى ، ولهذا تسمعه سبحانه يقول : (صُنِعَ اللهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) (مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ) فوجود الممكنات ناطق بوجود واهبه ، وإكمال وجودها وتوابعه صارخ بجلال كماله ، وعظيم حكمته ، ومناد بشدة ظهوره وسطوع نوره ، حتى لهو عند أهل الأنظار السديدة ، والأفكار الرشيدة ، أظهر من الشمس ، وأبين من كل ما يُحس ، بل الكائنات كلها ظلمة وهو نورها ، فانها به كانت ، وبه تبقى ، فهو موجدها وقيومها ، فان وجود ذواتها وصفاتها لا يستفاد إلا منه وحده .

﴿ فصل ﴾

فان كنت ممن يصارعه الشك وتغالبه الأوهام ، من ناحية توقف بعض الممكنات على بعض ، كتوقف الولد على الوالد ، والنبات على البذر والحراث ، والعناصر الخاصة ، والبيئة المناسبة ، وتوقف الأمطار على ما يصعد البخار من البحار ، وما إلى ذلك مما تتوقف عليه الأمطار ، وتوقف الكهرباء في إظهارها ، والاتفان بها على الأمور المبينة في علم الطبيعة ، فتظن أن هذه الأمور المتوقف عليها هي أسباب عقلية لما بعدها ، فاعلم أنك جفوت العلم ونبوت عن الفلسفة الصحيحة ، ونكبت عن الجادة في فهم الحقائق على ما هي عليه ، وتوضيح الأمر الذي يزول به الالتباس ، وينقطع به عن الناظر الوسواس ، أن تعلم أن المتوقف عليه على أقسام (فمنها) ما يكون من قبيل الشروط العقلية كوجود الموصوفات ، يتوقف عليه وجود صفاتها القائمة بها (ومنها) ما هو من قبيل الشروط العادية ، ككون المحس بالبصر على صفات خاصة ونسبة خاصة ، من المبصر ، يتوقف عليه الأَبصار توقف المشروط على شرطه العادي (ومنها) ما يكون من قبيل المعد وهو ما يتوقف عليه وجود الشيء ، لكن ينعدم عند وجود الشيء ، كالخطوة

الأولى ، فان الخطوة الثانية يتوقف وجودها على وجود الأولى ، وليست شرطا ولا سببا في وجود الثانية ، فان وجودها لا يكون إلا بعد عدم الأولى (ومنها) ما هو سبب في الوجود ومفيض له ولا يصلح الممكن كائنا ما كان لهذا الفيض وتلك السببية ، فانه لذاته لا يقتضى الوجود بل إذا أفيض عليه فهو لا يملكه لنفسه ، فكيف يفيد غيره ، بل لا يصلح لهذه السببية إلا واجب الوجود العلى الأعلى ، قدس وتعالى ، فكل الممكنات التى يتوقف عليها كائن من الكائنات ، فهى من قبيل الشروط أو المعدات ، وليست من سببية الوجود فى شىء ألبتة . فأتقن يارعاك الله هذا المقام حق إتقانه ، ولا يصدنك عن الامعان فيه كما ينبغى ، من لا يصبر على تحقيق الحق ؛ فيجانب الهدى ويسير وراء الهوى ، وأنت لو دقت النظر لعرفت أنه ما أوقع الماديين فى هذه الهوة السحيقة ، والمهلكة العميقة التى هى إنكار رب العالمين ، إلا اعتقادهم السببية العقلية للوجود فيما ليس بسبب ، وإنما هو شرط أو معد ، فنسبوا الأمر إلى غير أهله ، ومنعوه أهله ؛ وهو الحق تبارك وتعالى الدائم الوجود وفاض الجود وتوابعه على كل وجود . ولتقرير هذه الحقيقة العليا جاء فى التنزيل (كل شىء هالك إلا وجهه) فالشىء فى هذه الآية هو الموجود ، وكل موجود سواه سبحانه فهو مملوك غير مالك ، ولا لوجوده حال اتصافه به . فهو من حيث ذاته هالك بالفعل . والكلية فى الآية على هذا التقرير لا يستثنى منها إلا ما استثنى الآية ، وهو الحق جلت ذاته ، وتعالى صفاته ، ولك أن تقول فى الآية : إن الهالك بمعنى القابل للهلاك وإن لم يقع هلاكه بالفعل ، فتكون الآية مقررنة لنفى وجوب الوجود عن جميع الكائنات : ماضيا وحاضرا وآتيا ، ومثبتة لامكانها ، فان ما وجب وجوده لا يقبل الزوال كما مر ، ولا يقبل الهلاك إلا الممكن ، وعلى هذا التقرير فعموم الآية على ما هو عليه فيها ، لا يخص منه إلا الواحد الوهاب ، وما بقى منها أبدا كالجنة والنار وأصحابهما ، فانما بقاؤه لإرادة الخالق ذلك ، وليس لأنه لا يقبل الهلاك .

والكلام في الآية الكريمة مسوق لاثبات وحدانيته في الألوهية على طريقة برهانية معجزة في إيجازها كمادة القرآن في شأنه كله ، وبسط هذا المعنى الشريف أن يقال : كيف تدعون مع الله إلهاً آخر وتدعونه - أي تعبدونه - من دونه ، والآله يجب له الكمال الأكل ، والكائنات كلها واقعة من النقص في الدرك الأسفل فما رأيتم هلاكه بالفعل فهو ظاهر النقصان ، بدهى الامكان ، لا يحتاج في نفي الألوهية عنه إلى بيان ، وكل ما تظنون دوامه وتتخيلون له عزة البقاء ، فهو قابل للهلاك والفناء ، فأين هو مما تدعون له ؟ فهو بمنزل عن القدم ، فان الموجود الذي له القدم يستحيل عليه العدم ، فانه لا يكون قدماً إلا إذا كان واجب الوجود لذاته ، وما للذات لا يزول ، بل يمتنع زواله ويستحيل انتفاؤه ، فانه لازم من لوازم الماهية لذاتها وانتفاء لازم الماهية لذاتها يستلزم ألا تكون هذه الماهية هي نفسها ، لأنها لو كانت هي نفسها لتبعها هذا اللزوم ، فلوصح انتفاؤه لصح أنها ليست هي إياها ، وهذا معنى قولهم إن انتفاء لازم الماهية يؤدي إلى سلب الشيء عن نفسه ، وكيف تسلب الذات عن ذاتها ، هذا مالا يعقل ، ولهذا تسميهم يقولون سلب الشيء عن نفسه محال بالبداهة ، فكل شيء سواه هالك ، والهالك لا يكون إلهاً ، فلا إله إلا الله ، فأحينا اللهم عليها وتوفنا عليها ، واجعلها آخر صحائفنا بفضلك آمين - وبعد فلا تحسبن أيها الطالب للحقائق أن هذا من الشعر أو الخطابة ، وإنما هي الحقيقة ناصعة ، والحكمة مبرهنة ، فان من الممكن ما هو موجود بالبداهة كما سبق غير مرة ، ووجود الممكن يعلن وجود الواجب قطعاً ، ولا يهولنك ما يموء به أولئك القائلون على العلم كذباً وزوراً ، إنه هدام إلى إن المادة وحركتها لا ابتداء لهما ، وبهما كان هذا الوجود كله الجارى على أتم نظام وحكمة .

فأي علم هذا الذي يفترون عليه هذا الضلال المبين ، أهو العلم التجريبي الذي لا يعنون إلا إياه ، ولا يدينون إلا له ؟ فمتى شهدوا ذلك ؟ وبأي تجربة وصلوا إلى هذا المعنى ؟ وأين أعمارهم وأعمار الجاحدين من أسلافهم في جنب عمر الأرض

التي هم عليها ، فضلا عن هذه المجموعات الشمسية ، والعوالم السماوية ، فما ظنك
بهذه اللانهاية التي يدعونها للمادة ؟ أليس هذا هو الافتراء بعينه على هذا العلم
المستغيب من ظلم المنتسبين إليه ؟ بلى والله ، وسمع القرآن كيف يقول (ما أشهدتهم
خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) أم هو العلم الذي استنبطته العقول
من البراهين القاطعة ؟ فليت شعري أي عقول هذه وقد اتفقت كلمة الأ نظار
الصحيحة منذ نشأتها إلى كهولتها على أن مالا يزمه العدم كاجتماع النقيضين فهو
ممتنع الوجود لذاته ، وأن مالا يلزمه لذاته وجود ولا عدم ، لا يرجح وجوده على عدمه
إلا واجب الوجود لذاته ، ولم يكن ينكر واجب الوجود تعالى فيما غير من الأزمنة
البعيدة ، إلا أفراد معدودة من المندسين بين أهل العلم ، كانوا سخرية أمهم ، وضحكة
من يسمع بهم من أهل الطبع السليم ، والنظر المنطقي القويم ، أما الآن فقد
كثر هذا الصنف من أشباه الناس ، وحازوا لقب الفلاسفة والباحثين والعلماء
والدكاترة والأستاذين ، فاعتبر بهم من انخدع بالألقاب فكفر تقليدا كما كفر
أولئك جهالة وعناداً (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) (ومن
لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) - وبعد - فالذي ينبغي أن يستقر عليه
عقدك ، ويحل المكان المكين من نفسك ، هو أن المادة لا يلزمها لذاتها إلا الامكان
لا وجود ولا عدم ، ولا حركة ولا سكون ، ولا بساطة ولا تركيب ، وما يشاهد فيها من
ذلك فليس هو لها من ذاتها ، وإنما هو من فعل الذي أبدعها وأعطاه ما هي عليه
من الصفات ، جل وجوده وتعالى جوده ، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، وليس
عدم مشاهدة الشيء دليلاً على عدمه ، فضلاً عن أن يجعل برهانا على امتناعه ،
وغاية ما يدعيه الباحث في المادة أنه لم يشاهد عدمها ولا سكون ما رآه منها بمنظاره ،
فليكن صادقا في هذه الدعوى ، فأما أن يستدل بذلك على عدم جواز السكون
أو العدم عليها فذلك مالا يرضاه الانصاف ، وما تلفظه الفلسفة الصحيحة ،
والبراهين القاطعة لفظ النواة ، وما تكشف للباحثين من النواميس الكونية مما

هدت إليه التجارب ودلت عليه الاختبارات ، فلا نزاع فيه للمؤمنين المحققين ، وهم يقولون به لا كما يقول أولئك العميان من أنها الفاعلة لهذا الوجود ، بل على أنها من قبيل المعدات والشروط العادية ، ومنها ما يكون من قبيل الشروط العقلية والفاعل الحقيقي للوجود وتوابعه ، إنما هو الله وحده لا شريك له ، واجب الوجود وفاض الجود ، سبحانه وتعالى عما يقول الجاهلون به علواً كبيراً ، بل حقق بعض متأخريهم أن المادة تنعدم ، وأنه ثبت ذلك لديه بتجارب له أجراها ، ونحن في غنى عن تصحيح هذا الرأي ، فان قوة البرهان على إمكان ماسوى الخلاق العليم تغنى الحكيم عن تجربة هذا المحرب

وربما تسامح بعض أهل العلم فسمى هذه النواميس أسباباً ، ولا يعنى بها إلا ما بيننا لك ، وربما اغتر بعض المنسوبين إلى العلم بنسبة السببية إليها ، فظن استحالة وجود الخوارق فأنكر كرامات الأولياء ، وقد تجره العصبية لرأيه ، أو الجهالة بمرتبة هذه النواميس ، إلى محاولة إنكار كثير من معجزات الأنبياء عليهم جميعاً وعلى آلهم الصلاة والسلام ، ومن آثار هذه الغلظة ما اجتراً عليه بعض البارزين في أنظار العامة من أنه لا معجزة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا القرآن ، وقد يؤمنون ببعض تلك الآيات وينكرون انشقاق القمر ونحوه ، ويتأولون كتاب الله بما يردده العلم الصحيح لدى أهل التحقيق ، ويأباه النقل المستفيض عن الثقات ، بل المتواتر تواتراً معنوياً عند المتبحرين في العلم بطرق الأحاديث الشريفة ، والسيرة النبوية المنيفة ، على صاحبها وآله أزكى الصلاة والبركات : وقد أغنى سبحانه (وله الحمد كما هو أهله) عباده المستبصرين فخرق هذه النواميس المعروفة مراراً لا تحصى ، فأيد الأنبياء بالآيات ، وذكر كثيراً منها في كتابه المجيد ، ولا سيما خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ﷺ ، حتى قال الامام أبو عبد الله الشافعي رضي الله عنه (ما أوتى نبي من الأنبياء آية إلا أوتى فيها محمد ﷺ مثلها أو أكبر منها) فليل له فأن مثل إحياء الموتى لعيسى عليه

الصلاة والسلام ؟ فقال (حنين الجذع له صلى الله عليه وسلم ، أكبر من ذلك فإن الميت كان له عهد بالحياة ، فإذا أحيى فقد رجع إلى حاله الأولى أما الخشبة فهي جماد لا عهد لها بالحياة أصلاً والحنين من فروع الحياة . روى هذا عنه أو مافى معناه الامام الحافظ البيهقي رضى الله عنه * وأكرم سبحانه أوليائه بالكرامات التي تجل عن العبد ، وخلق عيسى من امرأة لم تخصب بيضتها بجرثومة ذكر ، كما خلق آدم أبا البشر من غير ذكر وأنثى ، بل من تراب خالطه ماء ، أليس كل هذا يصيح بلسان فصيح في آذان أهل السمع الصحيح ألا إن ما عرفتم من النواميس ومالم تعرفوا إنما هو محكوم لبارئته لاحكام عليه عز وجل وكيف يحكم الوضع على واضعه ، وتقضى الصنعة على صانعها وهو الذي له القدرة التي لا تحد والارادة النافذة التي لا يتعاصى عليها شيء في دائرة الامكان التي لا يعلم مدى اتساعها الا الفعال لما يريد .

أبها الأخ المستبصر ليكن لك قلب أو ألق السمع وأنت شهيد إلى هذه المسألة كيف جلاها القرآن المجيد في أعذب لفظ وأروع أسلوب ، وأوحز عبارة حيث يقول (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (سُبْحَانَ اللَّهِ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فانظر إلى لفظة إنما في هذه الآيات الأربع التي تلونها وفي غيرها مما لم نذكره فانها ترشدك إلى أن مدار الابداد للشيء على إرادته سبحانه له ، وتكوينه تعالى إياه ، فاذا الشيء كائن كما أراد وكون ، لا على ما تعارف الباحثون من النواميس التي يحكمون باستحالة مخالفتها وأن يكون شيء بدونها .

﴿ فصل ﴾

ومن العجيب أن تسمع هذا الحكم في هذه الأزمان المظلمة من كثير من

المنتسبين للعلم ، فيلهمجون بكلمة النواميس والسنن الكونية ، وربما تكلوا عليك قوله تعالى (وَأَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) ولو شأوا لعلمو أن السنة الالهية التي قضى سبحانه أنها لا تتبدل ، إنما هي نصره لأتباعه وأوليائه في الدنيا والآخرة على أعدائه المعاندين لهم ، ولو قرأت ما قبل هذه الجملة الشريفة لصارحك بهذا المعنى وهي في عدة مواضع من كتاب الله ، وكأها مسوقة لوعده رسول الله ﷺ وأتباعه بالنصر المبين والعز المكين ، ووعيد المعاندين بالخذلان المهين ، والهزيمة الخزية على وفرة عددهم وكثرة عددهم ، وصدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، فله الحمد كما ينبغي له . وأنت إذا أحكمت التدبر في هذا المقام أبصرت بوضوح أن السنة التي حكمت الآيات بأنها لا تتبدل لها ، إنما هي خرق النواميس المعتادة بين العامة ، لأجل أولئك الخاصة ، بالمعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة . هذا النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام أرسله موله وحيداً فريداً وأهل الأرض يهتدون بالعرب والمعجم في المشارق والمغرب كلهم خصوم له ، ولما جاء به ، حريصون على إطفاء النور الذي جاء به بكل ما أوتوا من قوة ، فهل من النواميس العادية والسنن المألوفة والقواعد المتعارفة بين العامة أن ينصر هذا الوحيد الفريد على ذوى الدول الكبرى والصغرى ، هذا النصر الذى تحير فيه أساطين المتفلسفين ، وجعلوا يختلفون في تعليقه الأ كاذب ، كلا ثم كلا ، ما هي إلا السنة الالهية التي لن تجد لها تبديلاً - اقرأ إن شئت أن تفهم (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادُهُمْ إِلَّا نُفُورًا . اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَى فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) فهذه ونظائرها من الآيات الكريمة تنادى أسارى النواميس العادية أن لله سنة غير ما ألفوا ممتازة بأنها لا ينالها التبديل كما ينال السنن التي عرفوا ، وهي نصر المؤمنين الذين صدقوا وإن قتلوا ، وخذلان أعدائهم وإن كانوا أكثر من الرمل والحصى ، ولقد كان أعداؤه

عليه الصلاة والسلام يرمونه بالجنون حين يسمعونه يحدث أن الله ناصره على كسرى وقيصر، ومن دونهما، لأنهم لا يعقلون تلك السنة الإلهية التي لا تتبدل فلا آيات دليل على خرق تلك النواميس المألوفة، فانظر كيف تجعل برهانا على عدمه والقلب إذا انعكس بزخرف هذه الحياة انعكس فيه المبني فأخذ منه عكس المعنى (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)

أراني قد أطلت عليك في هذا الفصل من هذا المختصر فمعدرة إليك أيها المستيقن، فان الجهل بهذه المسألة شديد الخطر جداً، ها أنت ذا ترى ألوف الألوف تتلوها أمثالها من الأجيال المتعاقبة من أهل النصرانية المزيفة، والمسيحية المفتراة المصطنعة على المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام، واليهود القائلين على مريم أمه بهتاناً عظيماً، ما أوقع هؤلاء وأولئك فيما وقعوا فيه إلا أنهم رأوه ولد من أم بلا أب، فقال اليهود - حماه الله مما قالوا : هو ابن زانية، وقال النصارى الجاهلون هو ابن الله. تعالى وتقدس عما يقول الجاهلون به علواً كبيراً، ولو قرأ في صدورهم أن الله يخلق ما يشاء لا يُقيده عز وجل ناموس عادى وقانون مادي، لما آمنوا بالباطل وكفروا بالحق، ولا وقعوا في هذه الفري، وهل أنكر المنكرون ما جاء به النبيون من حشر الأجساد بأرواحها في النشأة الأخرى إلا لجهلهم أن هذه النواميس المعتادة طريق غير لازمة، وسنة غير ملتزمة بحري الفعل الإلهي عليها وعلى ما شاء من سنن سواها، حسبما تقتضيه حكمته العليا وهو العلي الحكيم .

﴿ فصل ﴾

ربما هجس بخاطرك هذا السؤال : إذا كان الخالق على كل شيء قديراً وكانت النواميس المتعارفة غير لازمة للتكوين . وأن تكوين أي كائن كان لا يتوقف في الحقيقة إلا على أن يريد ويفعل ما يريد، فإنه سبحانه هو وحده سبب الوجود والفاعل الحقيقي له، فما سر وضع هذه النواميس إذاً ؟ فاعلم أن جواب هذا السؤال يقذف

بك في بحار أسرار القدر وهي عميقة مُفرقة ، والمَاهرون في الغوص والسباحة إنما يفوزون منها بالدرر القريبة من السواحل ، وهي وإن كانت كثيرة لا تفي بها العبارات ، ولا تسعها الدفاتر ، ولا تحويها إلا صدور الصدور من النبيين عليهم الصلاة والسلام ، والفائزين بالقدح المعلى من أكابر العارفين رضى الله عنهم فهي قليلة بالاضافة إلى ما في علم الله تعالى - أخرج البخارى في صحيحه عنه عليه الصلاة والسلام في قصة موسى والخضر عليهم ما السلام أنه « بينما هما على ظهر السفينة إذ بَصُرَا بعصفور نزل إلى البحر فنقر بمنقاره نقرة أو نقرتين فقال الخضر لموسى هذا مثل ضرب به الله لى ولك ، ما أخذ علمى وعلمك من علم الله تعالى إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره من البحر »

وأين علمنا من علم أكابر العارفين رضى الله عنهم ، بله النبيين عليهم السلام ، ولكننا والفضل لله ولرسوله والعارفين من أتباعه عليه وعليهم الصلاة والسلام ، نضع في يديك من مفاتيح هذه الكنوز والفتاح هو الله تعالى . فاعلم أن بعض ما يتوقف عليه الممكن قد يكون من الشروط العقلية ، أو المعداد العقلية ، ومثال الأول الموصوف مع الصفة ، والثانى الخطوة الأولى مع الثانية ، فاذا أريد إيجاد الألوان والحركات مثلا فلا بد من خلق المتلون والمتحرك قبلها ، وكذا الكلام في الخطوة الثانية إذا أريد إيجادها فلا بد من إحداث الأولى قبلها ، وليس ذلك لقصور في الفاعل جل وعلا بل لنقص في القابل ، فان وجود العرض بدون الجوهر مستحيل عقلا ، فلا توجد حركة غير قائمة بمتحرك ، ولا لون مستقلا عن متلون ولا علم غير قائم بعالم إلى سائر الصفات ، فلا بد لها من الموصوفات ، وتتنور كمال الفاعل مع نقص القابل بالعالم الكبير يلقى على صفار الطلبة من صفار العلوم لنقص في قابليتهم لاقصور عالميته وتعليمه

وكثيراً ما تكون الأمور المتوقف عليها من قبيل الشروط والمعداد العادية وهي جبل ما يدرس في علم الطبيعة وعلم الكيمياء وأكثر ما يعتقد فيه العامة أنه

أسباب للحادث ، وأن الحادث يستحيل أن يوجد بدون كالمشي على الماء والنوص فيه مدة طويلة ، والطيران في الهواء بدون الآلة المعروفة وحدث الأجنة بدون تلقيح ، إلى غير ذلك ، فكل ذلك في دائرة الممكن ، غير أن العادة الإلهية جارية فيه على نواميس خاصة تعرف بالتجارب ، وإنما كان ذلك كذلك في هذه النشأة الدنيوية ليكون مظهراً عظيماً من مظاهر الجود الإلهي الذي لا حد له . وبيانه أنه إذا جمعت قوانين لاستخراج ما يحتاجه الإنسان من خزائن الغيب الإلهي ، ومخازن القدرة الربانية وهداهم الفضل الصمداني بالتجارب إلى معرفتها ، كان وضع تلك القوانين من العزيز الحكيم ، وإجراء الأمر عليها في الأعم الأغلب من الجواد الكريم ، بمنزلة وضع مفاتيح خزائن الكرم في يد المحتاجين فبربك عليك هل رأيت أكرم من غني حميد يضع مفاتيح خزائن النفائس التي لا تحصى في أيدي الفقراء المحاويج ؟ فما استفتحوا فتح لهم ومن لم يفعل فلا يلومن إلا نفسه ، وليس ذلك إلا الرب الأكرم (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) فما بينك وبين أن يخرج الله لك من خيرات أرضه إلا أن تتبع أصول فن الفلاحة الذي هدى الله إليه العباد بالتجارب ، ثم كان بعد علمها مدوناً وما بينك وبين زوال ما نزل بك من الأمراض إلا أن تسلك ما وضع الحكيم العليم لأزالتها من الأدوية التي هدى العباد إليها بالتمرن ، ثم كانت بعد ذلك علم الطب ، وإذا شئت أن يهبك الله من الحيوانات التي عندك ما تحتاجه أو تتجمل بأقنائه سلكت الطريق التي وضعها الله لاستنتاج الحيوان ، وكذلك إذا أردت الولد تزوجت وهلم في كل ما تريده وضعت لك الطرق إلى استفاضته من العزيز الوهاب ، ولو أن الناس لم يجر الأمر معهم على ما وصفنا لما عرفوا كيف يستفتحون خزائن الجود ، ويستمطرون سحائب الفضل ، فالحمد لله الذي دل بأحسانه على إحسانه ، فهذه واحدة أو ما أنا إليها إيماء ، وفي استقصائها عوض

عريض لا يجهله هذا الوجيز ، وإليك أخرى وهو ربط هذه الكائنات بعضها ببعض من الكوكب الاعلى إلى المخلوقات الدنيا ، ليكون من هذا الربط الدليل الانور على وحدانية بارئها ، وأنه أكبر من أن يكون له شريك . وشرح هذا على التفصيل بحوج إلى مجلد ضخيم ، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إلى مجلدات ، والذي أستطيع أن أقوله لك هو أن هذا العالم من أفقه الاعلى إلى حضيضه الادنى ، على كثرة أنواعه ، وخروج أفراد الأنواع عن عد المعادين ، قد وضع من الارتباط بحيث يكون كالجسم الواحد ، لكل جزء من أجزائه وظيفة لها دخل في وظيفة المجموع كله ، ولتقريب هذا عليك أقول : أنت ترى الأرض يخرج منها النبات وتحتبىء في باطنها المعادن والمياه ، ويعيش عليها الانسان والحيوان ، وتحمل البحار وتجرى فيها الأنهار ، فلو أن الشمس زالت من الوجود لذهب هذا الخير كله وأوجله ولو أضعفت في التبصر رأيت في مجموع هذه المخلوقات تعاوناً عاماً ينجيك بوحدة تنطق بأفصح لسان : ألا إني صنع لرب واحد ، فتبحر في علم الكواكب وأوضاعها وفي علم أعضاء الأتسان ووظائفها وحاجتها إلى ما حولها ، وفي علم الحيوان والنبات وعلم العناصر والكهرباء وانتفاع الكل بما في الكل ثم افتح مع قلبك فستسمع هذا النداء بوحداية خالق هذه الأشياء ، وأنه لا يصلح للالوهية سواه ولا تليق هي إلا به جل علاه .

ودونك ثلاثة وهي استشعار هذا النوع الانساني المقصود من الخليقة كلها ، وكيف لا وقد خاق له كل شيء (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) أي من إحسانه وجوده ، استشعار هذا النوع بمزيد احتياجه إلى كل شيء مما حوله وما فوقه ، وما تحته ، وفاقه بعضه إلى بعض ، فيرتقى من شعوره بحاجته إلى الكائنات إلى الاحساس بشدة فاقته إلى من أوجده وأوجدتها ، ومكنه فيها وله سخرها ، فيتشرف بكل العتبل إليه والانتقاد لرسله ، فيسجد بذلك سعادة الأبد ، فإنه إذا لم يستشعر

احتياجه كان كما قال جل قائلًا (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ) وما أروع ما قال القرآن الحكيم في هذا المعنى وما أبلغه وأثراه لمن أجال فيه فكره وأحسن تدبره ، وذلك قوله تعالى (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فانظر كيف حذف مفعول التذكير لأن المتذكرين مختلفون جسد الاختلاف في استعداداتهم ومعارفهم ضيقاً ومسعة ، وقلة وكثرة ، فلاحالة يتفاوتون فيما يتذكرون فمن متذكر باحتياج كل من الزوجين إلى الآخر فاقفة بعض الممكنات إلى بعض ، فهي إلى الواجب الذي أوجدها أشد حاجة ، وأعظم فقراً ، ومن آخر يلح النقص في كل شيء لحاجته إلى زوجه فيتذكر غنى الخالق المطلق وانفراده بالكمال الأتم فيبصر من خلال زوجية الأشياء جلال وحدانية رب الأرض والسماء ، ومن ثالث ينظر إلى أن الشيء قد خلق له زوجه الذي يكمل به ، فيتذكر كمال رحمة هذا المنعم ، وإحسانه إلى كل شيء بكل شيء . إلى غير ذلك . وقد نهيناك بالقليل على الكثير ، فاستزد بحثاً بزك الله علماء ، وليس ما كتب في تفسير الذكر الحكيم على كثرته بمستوف درر بحاره التي لا يعلم مداها إلا الذي أنزله ، ولذلك روى عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في وصف القرآن العظيم : هو الذي لا تنتهي عجائبه ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق - أي لا يبلى - على كثرة الرد . أي التكرار له . والأثر أخرجه الترمذي وغيره ، وقد روى صرفوعاً وموقوفاً والأصح وقفه ولما في ناموس التزاوج بين الأشياء من الأسرار والحكم التي عرفناك شيئاً منها ، مدح الله نفسه بخلق الأزواج كلها ، مستهلاً بالتسبيح حثاً للعباد على استنباط ما أودع من كنوز الحكم في جميل صنعه ، وأنيق ترتيبه ، وبديع وضعه فقال تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) وفي الآية الكريمة بدائع من آيات إعجاز القرآن فان الناس ما كانوا يعرفون التزاوج إلا في أنفسهم وفي الحيوان ، وقليل من الأشجار ، والآية الشريفة تبدأ بأن الأزواج قد خلقت في النبات

كله كما خلقت الأزواج من أنفس الأنسان ، ولم يعرف ذلك للباحثين إلا بعد نزول القرآن بقرون ، فأصبح من المعروف الجلى أن فى النبات كله الأناث والذكرا ن ، والله الطاف عجيبة فى تلقيح بعضها ببعض بالرياح والحشرات وغيرها ، تبارك من لا يحصى ثناؤه . ودلت الآية على أن الله قد جعل أزواجا مما لا يعلمه الناس حين ينزل القرآن ، وقد علم الباحثون من أهل هذا العصر فى علم الكهرباء أن فيها موجبا وسالبا بينهما ما بين النبات والحيوان من التزاوج والتجاذب ، وعليه يتم استنتاج منافع هذه الكهرباء التى ملأ الله بها هذا العالم من الخير بما لا يحصى . ولهذا الكتاب فى كل زمان آيات تتكشف على أهله ، وكلما تقدم الانسان فى بحث الكائنات واستبطن خفاياها ، قدم لهم القرآن عجائب آيات تلو آيات ، تشرح قوله تعالى (قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) وفى السفر الجليل الذى ألفه صاحب السعادة النطاسى البارع عبد العزيز باشا إسماعيل فى معجزات القرآن الطبية أصدق شاهد على ما نقول ، وكذلك ما كتبه سواه من إخوانه ويكتبونه فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية ، وغيرهم من المهرة فى فنون أخرى وما يكون بعد ذلك مما لا يعلمه إلا الله هو من تحقيق قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فله الحجة البالغة بهذا الكتاب العزيز الذى أنزله معجزة كبرى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم باقية ما بقيت الدنيا ، تمضى الأعمار بعد العصر وهذه المعجزة باقية على جدتها ، وفى الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام « ما من نبي إلا أوتى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » يعنى عليه الصلاة والسلام ما من نبي إلا أعطاه الله من الآيات ما به تقوم الحجة على أمته ، ويهدى الله به منهم من يشاء ، كقلب العصاحية . وغيره لعمري ، وكأبراء الأئمة ، وإحياء الموتى لميسى ، وإنما كانت الآية التى خصصت لها من بينهم ، هذا الكتاب المعجز بأسلوبه ونظمه وجمعه لعلوم الأولين

والآخرين ، وقصه من أنباء ما قد سبق ، وإنبائه بأخبار ما بعده ، إلى غير ذلك من وجوه إعجازه ، فقد تكفل الله بحفظه ، فهو باق على الدهر ، يُحاج كل جيل ويقارع كل قبيل ، وليس حادثة ينقضى شخصها ويبقى ذكرها ، فلهذا رجا عليه الصلاة والسلام أن يكون أكثر النبيين تابعا يوم القيامة لبقاء حجته الكبرى ماثلة في كل زمان يأتي بعده بعينها وشخصها ، لا بدكرها وخبرها ، فلا يزال في كل زمان يظهر لهذا القرآن آيات لم يُشرق نورها إلا على أهلها ، وقد صنفت كتب كثيرة في بيان وجوه إعجاز القرآن ، ومن أحدثها عهدا وأجمعها فائدة ، وأجلها بيانا ، وأوضحها برهانا كتاب إعجاز القرآن لدرة تاج الأدب ، مصطفى صادق الرافعي ، نعمده الله برحمته وأفاض عليه وأبل إحسانه ، وجزاه على ما قام به من هذه الخدمة الكبرى خير جزاء ، وتالله ما بالغ سعد باشا زغلول رحمه الله تعالى إذ قال في تقرّظ هذا الكتاب « كأنه تنزيل من التنزيل ، أوقبس من نور الذكر الحكيم » فنصيحتي لكل مسلم أن يقرأ هذا الكتاب ويكرر القراءة ، ويطيل فيه الأمان والتأمل ، وقد تفضل بطبعه ملك مصر الراحل فؤاد الأول أسبغ الله عليه رحمته ، وقد أوشكت نسخ الطبعة الثالثة أن تنفذ فترجو أن يوفق الله لاعادة طبعه الملك المعظم فاروق الأول ، أطال الله بقاءه في عافية ، أسوة بوالده الماجد ، وهو بحمد الله محب للخير مسارع إلى بدله ، أدام الله توفيقه .

﴿ فصل ﴾

قد بان لك إن شاء الله مما مر بك في الفصول السابقة ، أن البرهان القاطع ناطق بأن ما وجد و يوجد من الذوات والصفات لا يهبه الوجود وتوابعه إلا واجب الوجود لذاته ، العلى بسلطانه على كل موجود ، فجوده سبحانه هو السبب الحقيقي وهو جل وعلا الفاعل المتصرف والموجد ، فكل شيء سواء أطلق عليه العلماء اسم السبب أو العلة فلا يريدون به إلا السنن التي جرت العادة الإلهية أن يخلق

الفعل عقب حصولها ، ولذلك تسميهم يقولون إنها أسباب عادية . قال المولى سعد الدين التفتازاني في مباحث العلة آخر المقصد الثاني من المقاصد له رضى الله عنه مانصه (تنبيهه) لما كان الموجد عندنا هو الله تعالى وحده كان معنى العلة من الممكنات ماجرت العادة بخلق الشيء عقبيه . وقد ظهر لك أيضا أن الله تعالى أن يحرق هذه العوائد متى شاء فلا يأتي بالمسببات عقب تلك الأسباب كتخلف الأحرار عن النار كما فعله مع خليله إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم . وأردوا به كيدا فجعلناهم الأخرين) أو يأتي بالمسببات بدون هذه الأسباب المعتادة ، كما خلق عيسى من مريم من غير أن يمساها بشر ، فإنه الفعال لما يريد ، يخلق ما يشاء سبحانه ، وقد سلف لك أيضا أن جريان العادة الإلهية على هذا النحو المتعارف إنما هو لحكم بالغة اقتضاها جوده جل شأنه ، وقد سبقت الإشارة إلى بعضها ، فينبغي أن تستفيد من كل هذا أمورا - الأول - دوام استفناحك لجوده بالأخذ في الأسباب التي جرت عاداته أن يعطيك بعدها مسبباتها مع اعتماد قلبك عليه لاعليها فان ترك تلك الأسباب حماقة منك ، والاعتماد عليها جهالة منك بالمعنى الحقيقي ، ولهذا تسميهم يقولون : الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل ، قال صلى الله عليه وسلم لمن سأله : أأعقل فأقوى أم أتوكل على الله ؟ « اعقلها وتوكل » وظاهر عليه الصلاة والسلام في أحديين درعين ، واعتقل الرمح ، وتقلد السيف ، وأخذ الزاد وأمر بأخذه في الاسفار صلى الله عليه وسلم ، وبذلك جاء كتاب الله وشرعت صلاة الخوف - الثاني - أن لا تيأس من فضله إذا تعسرت عليك هذه الأسباب ، وأن تقبل عليه بكل قلبك فله تعالى بالمتوكلين عليه العاكفين ببابه من اللطاف ما لا يحصييه كتاب ، ولا يحصره حساب - الثالث - أن لا تندم إذا أخذت في الأسباب ولم يحصل ما أردت بل املا قلبك بأن اختياره لك في المنع خير لك من اختيارك في العطاء . وكل أمر من هذه الأمور الثلاثة يحتاج تمام بيانه إلى مؤلف مستقل ، لكننا في هذه

الرسالة إنما تشير إشارة ونوع إلتماع ، فعليك بكتب القوم .
مطلب في إبطال الاعتذار بالقدر - وقد أوجز وأعجز رسول الله ﷺ في بيان هذه
المسألة حيث قال : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي
كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإذا فاتك شيء فقل قدر الله
وما شاء فعل ، ولا تقل لو فأن لو فتفتح عمل الشيطان » أخرجه مسلم وغيره ، وأخرجه
البخارى في صحيحه مرفوعا : « سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أنه لن يدخل أحدا
الجنة عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه
ورحمته » ولما قيل له عليه الصلاة والسلام : أفلا تتكلم على كتابنا وندع العمل ؟
قال : « لا ، اعلموا فكل ميسر لما خلق له » ورضي الله عن هؤلاء الأصحاب
الكرام ما أغزرهم فقهها وأعمقهم علما !! فقد قال قائلهم حين سمعوا هذا : ما كنا إذ
سمعنا هذا الحديث بأشد اجتهادا منا قبل أن نسمعه . فهكذا يكون الفقه في الدين ،
فان من علم أن أخذه في الطاعة ومواظبته عليها علامة أنه سبقت له من الله الحسنى
لم يدخر وسعا في التمسك بها ولم يأل جهدا في البعد عما ينافيها ، ومن تيقن أن
أسباب الخيرات هي من القدر سارع إليها . وقد ثبت أن قائلنا قال يا رسول الله اليس
المرض من قدر الله ؟ قال « بلى » قال فقيم الدواء ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « الدواء
من قدر الله » فالكسل عما وضع الله من السنن احتجاجا بالقدر جهل بما يقتضيه
اعتقاد القدر وفهمه كما ينبغي ، والتهاك على الأسباب بدون اعتماد على خالقها وخالق
مسبباتها مالك الأمر كله ضعف في اليقين ، وتباعد عما يقتضيه العلم بجلال العزيز
الحكيم - وبعد - فالمسألة طويلة الذيل بعيدة الغور ، والذي أنصح به لكل مؤمن أن
يعلم أن القدر سابق وأن ما كتب له أو عليه غير معلوم له ، وأن أسباب الخير والشر
في الدنيا والآخرة قد أرشده الله إليها وأعلمه بها على لسان الرسول الصادق
المصدوق عليه الصلاة والسلام ، وما وضعه في العقول ، وأن الخير قضى بسببه والشر
يجب بطريقه ، فليشمر في السعي في طرق الخير التي أمر بها ، وليتبعه عن سبيل

النشر التي نهى عنها ، معتمداً في إنجاح مساعيه كلها على فضل الله وجوده ، وهو سبحانه لا يجيب أمل أمل ، ولا يرد دعاء سائل ، وإذا وفق لطاعة فليدكر نفسه بأن الفضل كله لله حتى يزيل نور هذا الايمان ظلمات ماعسى أن تتدنس به النفس من عجب بعمل أو من به ، وليكره هذه الذكرى حتى يطفى ماؤها العذب نيران هذه الرعونات النفسانية ، وإذا وقعت منه معصية فليدكر قصوره وتقصيره ، وليعترف لربه من صميم قلبه بأنه مسيء غالط ، وليسارع إلى المتاب ولا يحتج لنفسه بما سبق من قدر ربه ، فان حسن الاعتذار للواحد الغفار ، وسرعة المتاب من الاوزار هو سبيل المصطفين الأخيار من النبيين والصديقين وأهل البصائر أجمعين . انظر إلى نبي الله أبي البشر آدم عليه الصلاة والسلام حين قال الله له ولزوجته (ألم أنهكما) هل احتجاً ل أنفسهما ؟ حاشاهما بل قال (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية . وقال رسول الله نوح عليه الصلاة والسلام (رب اغفر لي ولوالدي) وقال الخليل **ﷺ** (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) وقال الكليم (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي) وضح عن سيد المرسلين عليه وعلى آله الصلاة والسلام « يا أيها الناس استغفروا لله وتوبوا إليه فوالله اني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين - وفي رواية - أكثر من سبعين مرة » وقال الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله علمني دعاء أدعوه به في صلاتي ، فقال عليه الصلاة والسلام « قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم » أخرجه البخاري . ومن الناس إلا هؤلاء السادة ؟ ففيهم المؤمن خير أسوة . أما التمسح بالقدر عند المعصية فهو طريق إبليس اللعين ألا تراه قال (رب بما أغويتني) الآية .

فان قلت : أليس قد احتج أبونا آدم بالقدر حين لامه الكليم كما أخرجه البخاري ؟ قلنا : بلى ولكن كان ذلك منه عليه الصلاة والسلام في دار التشریف لإني دار التكليف وبعد صدق المتاب والاعتراف للملك الوهاب لامع الاعتراف

على مخالفة الواحد القهار، والأديب اللبيب يعطى كل مقام حقه . وللكلام بسط
ليس هذا موضعه . ولا يظن ظان أن اعترافه بذنبه لمولاه وتوبته إليه مع سبق
قدره سبحانه هو محض مجاملة منه لربه ، وإنما هو الحق الذي يجب أن يعترف
به لمولاه من صميم فؤاده ، فانه رفع المؤاخذة عن عبده حين يكون العبد لا دخل
له في الذنب . كأن كان مجنوناً أو مكرهاً ، أو لا يزال في ضعف الصبالم يبلغ الخنث
الأتراهم أجمعوا على أن شروط التكليف : البلوغ والعقل . وأن شرط المؤاخذة
الاختيار ، أما وقد أعطاه الشعور وخلق فيه الإرادة والقدرة ، وأعطاه المكنة
والاستطاعة ، وعرفه كيف الاحتيال لدفع الشر والامتناع من الشيطان ، فقصر
فيما أمر فقد توجهت عليه المسؤولية ، وقد فتح له باب المتاب ووعدته بالمغفرة
عند الاستغفار ، فاذا أطاع هواه ولم يفعل فلا يلومن إلا نفسه .

— فان قلت — ألا جعل الكل موقفين ؟ قلنا : ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء ، وإذا قلت في المخلوقين : ما على المحسنين من سبيل ، أفلا يكون ذلك
منك في خالقك أولى ؟ وبك أخرى ؟ والله أسرار في تقسيم الخلق إلى ما انقسموا
إليه من طائع وعاص ، ومؤمن وكافر ، وغنى وفقير ، وصحيح ومريض ، وعزيز
وذليل ، ورعاة ورعايا ، إلى غير ذلك ، لا يحيط بها إلا هو جل جلاله ، ولو
انكشف بعضها فضلاً عن جميعها لعلم من كوشف أن الحق كله لله ، وفضل عنه
كل ما يحتاج به لنفسه ، ولكن دون أسرار القدر حجب ، فنب مستبصراً ، وسلم
لربك مخلصاً ، وخذ حذرک مما يُغضبه ، وآتيم عقلك فيما يحاوله ، فقام الألوهية
في اتساع العلم وعلو الحكمة ، وكمال القدس ، وإحاطة الرحمة ، أجل من أن تحيط
بمبادئ كماله العقول الكبرى وإن اتسمت ، ولهذا اختصر لنا الطريق وقيل
لنا (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) ولا تسمع هذه العجالة بأكثر من ذلك ،

﴿ فصل ﴾

(في فضل الايمان بالغيب وحكمته ، وعظم نقص من لم يتصف به)

اعلم أن السير وراء الوهم واتباع الوسواس ، مضلة عظيمة لهذا النوع البشري وإنما سبيل النجاة من التناقض ، والفوز بالكمالات في العلم والعمل هو إتيان البيوت من أبوابها واستفتاح الخزائن بالمفاتيح التي وضع الله لها . فعلم المادة والماديات يستفاد من الحواس والتجارب ، وعلم ما وراء المادة وما علا عن خصائصها يستفاد بالبراهين العقلية الصحيحة المنطقية ، والأدلة النقلية الثابتة عن المعصوم ، ولكل حاسة من الحواس وظيفة في الأفادة لا تتعدها ، فالألوان والأضواء والأشكال تعرف بحاسة البصر . والأصوات وصفاتها تدرك بحاسة السمع ، وهكذا في سائر الحواس . فمن حاول أن يعرف اللون بالسمع أو الصوت بالبصر انقضى عمره ولم يعرف من ذلك شيئاً . ومن طلب معرفة من تعالى عن أن يدرك بالطف الحواس فضلاً عن كثيفها من طريق هذه الاحساسات ، ولم يسلك طريق البرهان ، ورفض الإيمان إلا بما يرى أو يلمس ، فقد انحط عن درجة الانسانية العليا ، إلى دركة البهيمية السفلى ، وفي هؤلاء يقول القرآن الحكيم (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين) فقول من يدعى الثقافة : أنا لا أصدق بالله وملائكته لأن هذا شيء ما رأيته ، ولا يدخل تحت التجارب في المعامل ، هو قول (كسرابٍ بقيةٍ يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) وليس يبتني على حكمة ، ولا يمت إلى فلسفة صحيحة ، وإنما هو محض العناد للحقائق وصرف الجحود للحق تعمداً ، وهو كقول من يقول : أنا لا أصدق بوجود الأصوات لأن عيني لا تراها ، ولا أؤمن بالألوان والأشكال لأن سمعي لا يحس بها ، فمثل هذا القائل يعتبر في نظر العقلاء معتلاً مختلاً ، والحكيم معه على إحدى سبيلين . إما أن يهمله إهمال العالم إلقاء الدرس على البهائم لأنها ليست بأهل أن تفهمه ، أو يتنزل إلى محادثته لئلا يغتر به غيره من الذين لم يتلوثوا بجراثيم مرضه ، فيقول له : ليس بالسمع تدرك الألوان ولا بالبصر تدرك الأصوات ، حتى يكون ذلك دليلاً على إنكارها ، وكذلك

الأمر تماماً فيمن قال : لا أؤمن بالله لأنه لا تدركه حاسة من حواسنا ، فيقال له إن ربك فوق محيط هذه المحسّات كلها ، وقد وهبك قوة أخرى هي الحاكمة على تلك المدركات ، وهي العقل ، وبها تعرف ما علا عن الحواس . وأنت لا تشك في أنك عاقل ، فهل تدرك عقلك بأحدى هذه الحواس ؟ كلا ، وأنت تفرح وتخزن وتلتذ وتتألم ، وتجوع وتعطش ، أفترى هذه الصفات أو واحدة منها بهذه الحواس التي تأتي أن تؤمن بما لم تدركه بها ؟ كلا ثم كلا ، وكما أن قوة البصر عند الظلمة لا تدرك شيئاً مما تقع عليه فإذا جاء الضياء أدركت ، كذلك قوة العقل إذا تكاثرت عليها الشهوات والأوهام تعطلت عن أداء وظيفتها ، فإذا استعملت مصباح البرهان واستضاءت بضياء القرآن تكشّف لك الحق جلياً ، وقام لك البرهان على الرحمن مقام العيان للأكوان ، فأمنت بالغيّب مستبصراً وانبتقت عن هذا الايمان الأعمال الصالحة تترأ ، وكنت حينئذ قد جانبت الاعتساف ، وحييت بروح الأناصاف ، وتحليت بفصائل أفاضل نوعك ، وصح لك أن تدخل في الذين استثناهم الله تعالى من الرّد إلى أسفل سافلين حيث قال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غيرٌ ممنونٍ) فالإيمان بالحق المقدس عن المادّة وصفاتها انصياعاً لما سطع من البرهان وإن كان تصديقاً بما لم تراه عين أو تلمسه يد ليس جرياً وراء الأوهام ولا دخولاً في عداد العوام بل هو فضيلة الحكيم المنصف وميزة الإنسان الذي تسنم ذرّوة الشرف ، وخصيصة أهل الثقافة الحقة غير المزيّفة ، وانخلو من هذا الايمان عياداً بالله تعالى مراغمة للأدلة وانحرافاً عن الحجج الحقة ، ليس إلا انحداراً إلى منزلة الانعام ، وإطفاء لنور وظيفة القوة العاقلة ، التي هي أكبر مميزات الانسان ، وانغماساً في حماة الأوهام وخروجاً عن حدود العلم الصحيح ، وغرقاً في الجهل الذي هو أقبح قبيح . ولقطع أعدار المتعلمين ترى القرآن العظيم مملوءاً بأساطع البراهين على ما يدعو إليه الخلق أجمعين فكان للعقول الكاملة بمنزلة النور للباصرة ، وللمجموعة

البشرية بمنزلة الأرواح للأجسام ، ولهذا سماه الله نورا في قوله (فَأَمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا) وصدق الله ، فان هذا القرآن يخاطب منك عقلك
ويستنهض فكري ، ولا يذكر الدعوى حتى يردفها بالبرهان الأعلى ، وينوع الأدلة
ويورد الحجج بالأساليب الرائعة ، التي يخرج المنطق الصحيح أمامها ساجدا إعظاما
لشأنها ، وإكباراً لأمرها ، وسماه روحا في قوله سبحانه (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) فان به الحياة السعيدة لهذا المجتمع البشري كله ما أخذوا بأدابه
وتمسكوا بأهدابه . وللخبير المنصف على ذلك أصدق الشواهد إذا كان مطلعا
على حال الأمة الاسلامية أيام اقتدائها بكتابتها وتمسكها بدينها ، ومن عجيب
عناية هذا الكتاب العزيز بثقيف العقول بالبرهان عقب البرهان ، وإخراج
الناس من حيز العامة إلى مقام الخاصة بالأتيان بالدليل بعد الدليل ، والسير في
طريق البرهنة ، من عجيب عنايته بذلك أنه لم يكتف بسوق البراهين فيما هو من
باب الألهيات والنبوات ، والبعث بعد الموت ، بل ساق الدليل فيما هو من باب
الآداب . انظر إلى قوله (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ) إلى قوله (فَأِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) وانظر إلى تعقيب ذلك بذكر دواء داء
الغضب ، وتحلية أمر هذا الدواء بحلو وعده الصادق الجميل ، حيث يقول (وما
يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) بل سلك طريق
الاستدلال فيما أخبرهم به من كذب خلطائهم من أهل النفاق في الاعتذار حيث
قال (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) ومن المعجز المدهش في أسلوب هذا
الكتاب لمن أنعم فيه مستبصراً أنه يسوق غوامض المعاني الالهية وعوالم
الصفات الربانية وسواطع الأدلة الحكيمية على طريق لا يمكن للبليغ مهما علا في
البلاغة كعبه أن يسلكها فانها أسلوب ينتفع به العامة والخاصة ، يأخذ منه العامة
قسطا من العلم لا بأس به ، ولا يشوش عليهم مداركهم . وينال منه الخاصة لب
الحكمة ، وخالص المعنى العملي ، وكذلك دأبه في علوم الكائنات التي مست

حاجة البشر إلى بثها . وليس هذا المختصر بموضع تفصيل ذلك ، وينير لك شيئاً من ذلك ما كتبه الطبيب الشهير عبد العزيز باشا إسماعيل في مجلة الأزهر تحت عنوان (الاسلام والطب الحديث) وما كتبه الطبيب المعروف الحاج محمد وصفي في مجلة هدى الاسلام وغيرهما من الأفاضل الباحثين عن أسرار هذا الكتاب العزيز قديماً وحديثاً ، ولهذا افتتح الله مدائح المتقين بوصفهم بالايان بالغيب ، ولم يقبل الايمان حين المكاشفة إذا بلغت الروح الخلقوم ، وهجم العيان عليها ، وحين نزول البأس بالملكذبين من المنذرين (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بل اتسعت العناية الالهية في هذا القرآن المجيد فجعل في براهينه لمن يريد أن يستبصر براهين تشبه براهين العلوم التجريبية كعلم الطبيعة والكيمياء والكهرباء ، تمام المشابهة . ومن درس تلك الكتب فهم ما أقول . ومن لم يقرأ فيها فاني أحدثه عنها .

تجد الكتاب قبل أن يسوق لك النظرية الكلية يذكر لك الجزئيات التجريبية لأول من تكشفت عليه مساتير هذا العلم فمن بعدهم ، فيقول وضع العالم فلان السائل الفلاني في جهاز شكله كذا ، وصب عليه من الحمض الفلاني فصار كذا ، فينتج من ذلك نظرية كذا ثم جاء بعده فلان ففعل كذا وهلم . وحاصل ذلك الرجوع بطالب العلم إلى التجارب المشاهدة ، واستخلاص النتائج منها قواعد كلية ، وربما أتى صاحب الكتاب بالنظرية فأتبعها بالتمرينات الجزئية ، وعزاها إلى مجربها . وكذلك أنزل هذا القرآن على خاتم النبيين عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام إلى هذه الأمة الأخيرة ، وقد خلت من قلبها أمم ، وأرسلت إليهم أنبياء ، وقد خلت لله فيهم سنن ، فاذا أنت ألقى السمع وأنت شهيد إلى هذا الكتاب المجيد ، وجدته يأتيك بالعلوم العليا ويدعمها بالبراهين الآخذة بلب كل حكيم ، ويردك ذلك بقصص الأمم الماضية ، وشرح السنن الخالية التي كانت منه مع الملكذبين والمصدقين ، التي شوهدت ثم حفظها التاريخ وشاع خبرها

عند المخاطبين أو أهل العلم من جيرانهم ، و يعد أو يوعد ، و يبشر أو يندر ، ثم يتبع ذلك بالجزئية التي شاهدها الأمة أيام التنزيل ، أليس هذا هو الذي يسمونه اليوم بالطرق الحديثة ، والبراهين العلمية ، سلكه القرآن قبل أن توجد هذه الأسماء وواضعوها ؟ اقرأ إن شئت (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ) الآية ، ثم اتل تاليتها فإذا هي تقول (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنِيتِنِ اتَّقِنَا) يعنى المسلمين والكافرين في غزاة بدر وقد شاهدها المخاطبون ، نصر المؤمنون غير ذوى عدد ولا عدد على الكثرة ذات العدد والعدد الكثيرة وهم لا يعرفون لذلك سببا إلا نصر الله وتأييده ، ولذلك واجههم بقوله (والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) وقرأ قوله تعالى (وعدم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لَكُمْ هذه) أى مصالحة الحديبية (وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين) ومن هذا القبيل قوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) (ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين) (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) إلى قوله (فاعتبروا يا أولى الأبصار) وأما قص أخبار الأولين بعد ذكر البراهين المنطقية أو قبلها أو أثناءها فهو فى القرآن كثير جداً مُجملاتارة ومنفصلاً أخرى ، على حسب ما تقتضيه مقامات الخطاب ، فانظر فى سورة الأعراف كيف أقام البرهان على وحدانيته وكمال قدرته فى قوله : (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض) الآيات إلى قوله : (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) ثم أتبع ذلك بسننه الجزئية التي شوهدت وشاع خبرها عند أهل العلم من أهل الكتاب وكثير من العرب فقال تعالى : (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) القصة إلى آخرها (وإلى عاد أخام هوداً — وإلى عمود أخام صالحاً) إلى آخره (ولوطاً إذ قال لقومه) الآيات (وإلى مدين أخام شعيباً) إلى أن قال (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) مشيراً إلى أن القرى معروفة لهم ، ثم ساق قصة موسى وفرعون وبنى إسرائيل وما فيها من العبر . وقال فى

سورة الحجر بعد ما ساق الأدلة الكونية (وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ) إلى أن ذكر ما أجراه من النقم على المكذبين من قوم لوط وأصحاب الأيكة ، حتى قال (وإِنهَما لِبِإِمامٍ مَبِينٍ) أى طريق مقصود مسلوک بين عند المخاطبين . وقال فى سورة أخرى فى آخر ذكر قوم لوط (وإِنکُم لَتَمُرُّونَ عَلَیهِم مَّصْبِحِينَ وَبِاللَّیْلِ أَفْلا تَعْلَمُونَ) وقال فى سورة العنکبوت فى تلك القرى التى أخرجها الله بذنوب أهلها وعنادهم للحق الذى جاءت به رسله (ولقد ترکنا مِنها آیةً بَیِّنَةً لِّقَوْمٍ یَعْلَمُونَ) وكذلك الأمر فى سورة یونس وسورة هود علیهما السلام بدأ الأولى بسواطع البراهین علی وحدانیتة فى الألوهیة ورسالة رسوله وما اتصل بذلك وبشر وأنذر ، ثم أردف هذا كله بقوله (واتلُ عَلَیهِم تَبَأَ نُوحٍ) ومضى فى قِصَصِ القِصَصِ ، وكذلك فى السورة الثانیة سرَد الأدلة الکلیة ثم أتبعها بالحوادث الجزئیة .

ومن هداية القرآن البديعة أنه لم يذكر قصص الأمم النائية الواقعة فى المجاهيل ورسلم حتى لا يكون حوالة على مجهول مطلق للمخاطبين ، بل ذكر خبر آباء البشر آدم وإدريس ونوح ، وخبر أبى من بعده من النبیین إبراهيم وقریبه لوط والمرسلین إلى العرب . وبنی عمهم من بنی إسرائيل ، لیكون العلم المتوارث بهم ولو إجمالاً قائماً مقام المشاهدة ، ولم یهمل الإشارة إلى من لم یذكرهم من الرسل ، ألا تراه یقول : (ولقد أرسلنا رُسُلًا مِن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مِن قِصَصنا عَلَیْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقِصُّ عَلَیْكَ) ولا سبیل إلى استقصاء شواهد ذلك فى هذا المؤلف الوجیز —

وإلخلاصة أن من صدق فى طلب الحق وجد فى هذا القرآن المجید بغيته من أى فريق كان ، من فريق التعویل علی البرهان الكلى ، أو من قبیل الذین لا یعولون إلا علی الجزئیات التى شوهدت ، أو الصنف الذین تكفیهم الموعظة ولهذا أقسم الله به فقال (والقرآن الحكیم) ولفت أنظار عباده إلى ما فيه من

الأوصاف العليا ، والمعاني الرفيعة ، والمتع العقلية المتنوعة ، فقال : (يا أيُّها
الناس قد جاءكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور ، وهدى ورحمة
للمؤمنين) . ﴿ تنوير ﴾

إليك سورة كريمة من سور هذا الكتاب العزيز ليس فيها إلا هذا الصنف
من البراهين الحسية والأدلة التي شوهدت حقائقها في العوالم الخارجية وهي التي
يطلق عليها الكهناويون اليوم الأدلة العلمية ، وهي سورة القمر ، ابتدأها الله تعالى
بآية سماوية كبرى ، لا يحوم حول سناها الوضاء غبش من شك ، ولا غلس من
شبهة ، قد رآها المخاطبون بأعينهم ، وشاهدوا ضياءها بأنفسهم ، في مجمع ينتظم
أكابر المعاندين الجاحدين ، وخلص المؤمنين المنصفين ، وهي انشقاق القمر
في ليلة أضحيان .

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما وغيرهما من المحدثين عن عدة من أصحاب
رسول الله ﷺ أن كفار أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، وأن
تكون هذه الآية انشقاق القمر ، فدعا ربه فانشق القمر فلققين وهم ينظرون ،
فقال ﷺ : أيها الناس اشهدوا ، ثم عاد كما كان بعد ما اتضحت آية القمر
وضوح الشمس . فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ، وأما الذين في
قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم . فقال قائلون منهم إن محمداً سحر
أعيننا ، وقال آخرون لن نستطيع محمد أن يسحر مجلسنا فلن نستطيع أن
يسحر المارة من أهل الآفاق خارج مكة فارقبوهم فسلوهم . فتحروا فسألوا
المارة في تلك الساعة رأوا في القمر شيئاً وهم يمشون على نوره ؟ فاتفقت كلمة
الكل أنهم رأوا القمر قد انشق بفرقتين ، ثم عاد كما كان ، فقال الذين لجوا في
عتو ونفور : ما حكي الله في قوله (اقتربت الساعة وانشق القمر) . وإن يروا
آية يُعرضوا ويقولوا سحرٌ مُستمرٌ) فلم ينكروها ولكن تأولوها عملاً يقبله
منصف ولا يرتضيه إلا صاحب هوى ، ولذلك أردفه بقوله سبحانه (وكذبوا واتبعوا
(٤ — فرقان)

أهواءهم) وإنكار الآية الساطعة إن دل على شيء فليس يدل إلا على فساد في نفسية المنكر، برذيلة هوى غطت فضيلة الانصاف. قال الامام الفقيه المحدث ابن عبد البر « قد روى هذا الحديث - يعني حديث الشقاق القمر بدعائه صلى الله عليه وسلم حين سأله إياه - جماعة كثيرة من الصحابة ، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ، ثم نقله عنهم الجرم الغفير إلى أن انتهى إلينا . اهـ

ولا يرتاب منصف أن هذه الآية الكبرى لا يكاد يعد لها شيء من آيات النبيين عليهم الصلاة والسلام ، وربما أعمى الهوى - والهوى يعنى ويصم - المغرقين في التعصب للباطل فشكك فقال: لو حدثت لشاهدها جميع أهل الأرض ولدونها تواريخ أهل الغرب إلى أمثال هذه الهديانات التي تندفع عن العاقل بأدنى تأمل ، فإن أطوال البلاد مختلفة ، بل الصحو والغيم في البلاد ذات الطول الواحد بل في البلد الواحد مختلف جد الاختلاف ، وأهل المراصد إنما يرقبون ما تهدي إليه القواعد العامة الفلكية . أما آية إلهية خارجة عن النواميس المألوفة والضوابط المعروفة ، فإنه لن يشهدا إلا طالبوها غالباً . وكم من كسوف ليلى أو طلوع لكوكب مذنب يحدث ولا يدري به إلا القليل من أهل ناحيته ، وربما لم يشعر به إلا من عرف القواعد من القاعدة نفسها لا من مشاهدته

إن آيات ربنا بينات * لا يمارى فيهن إلا الكفور

ومن الناس من قل علمه بتفسير كتاب الله فتأول (وانشق) على معنى سينشق، وهو تأويل إن أفاد فليس يفيد إلا جهل قائله بالسنة الصحيحة ، بل المستفيضة التي كادت تبلغ حد التواتر ، بل قال بعض العلماء بتواترها تواتراً معنوياً ، وغفلته عن سياق الآيات الكريمة كما بين ذلك حذاق المفسرين رضي الله عنهم . ولست أظنك تأبه بقول من يقول طعنا على هذه الآية الكبرى : إن ذلك يخالف نواميس الكون ، بعد الذي بيناه في الفصول السابقة مفصلاً في أمر هذه النواميس . ثم انطلقت السورة الكريمة تسرد من هذه البراهين السابقة من الله

تعالى التي أوحست وشوهدت في الماضين ، وقد حفظها العلم ووعاها التاريخ ،
تفصيلا عند علماء أهل الكتاب ، وإجمالا عند سواهم ، فذكرت خمس قصص على
أبداع هداية وأروع دلالة ، ثم التفتت فقالت لهذه الأمة (أ كفاركم خير من
أولئكم) ثم أردفت ذلك بوعيد مستقبل قريب تحققت مشاهدتهم له فيما بعد
نزول السورة الكريمة ، وهو في قوله تعالى (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) فتحقق في
غزاة بدر والحمد لله على سطوع حجته ، ونسأله الهدى لسلوك محجته وحسن الخاتمة .
وهذه أخرى من كرائم سور هذا الكتاب الكريم تنحو هذا النحو ، وهي
سورة الشعراء ، فكما يقص صاحب الكيمياء مشاهدات السابقين في هذا العلم
واحدا بعد واحد ، ليسرى على ضوء أبحاثهم ، قص تعالى وله المثل الأعلى في هذه
السورة سبع قصص لسبعة أنبياء عظام ، أرسلوا إلى أمم ضخام ، فكانت العاقبة
لمن صدق المرسلين ، وكانت الخيبة للمعاندين ، ثم قال بعد كل هذا (وَإِنَّهُ
لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) الآيتين . ثم لم يدعها بلا دليل
بل استدل على أنه تنزيل منه سبحانه ، وليس من عند هذا الداعي الأمين ،
بقوله تعالى (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) ومن الظاهر
المكشوف لأعدائه المعاصرين له ، وأحبابه ومن بعدهم من العارفين بتاريخه ، أنه
لم يخالطهم وكان أمياً لم يتل قبل القرآن من كتاب ولا خطه يمينه ، فصلى الله
وبارك على هذا النبي ، ما أسطع ضياء شمس رسالته . وجل هذا القرآن المجيد
ما أوضح وأكثر أدلته . ولنقسر القلم عن السير فيادين هذا القرآن فسيحة
وروائعه تحفى الأقلام دون استقصائها ، ولنرتق بك إلى المقصد من هذا المؤلف
فخبا مضى من هذه المقدمات ما يجعل الكلام معك فيه واضحا بينا إن شاء الله ،
فلتكن منك على بال .

المقصد

(في الصفات المختصة بالخلق والصفات المختصة بلحق على ما يهدي إليه القرآن الحكيم ويشهد به العقل السليم) .

تمهيد

اعلم علمك الله العلم النافع أن العلم بما في هذا المقصد أعز العلوم وأسناها وأن مسأله أنفس المطالب وأرقاها، والجهل بها شديد الخطر عظيم الخطب فانه يفضى بصاحبه إما إلى كفر تكون نهايته الوقوع في عذاب الله بلا نهاية، وإما إلى بدعة شنعاء تنزل بصاحبها عن أوج درجات العلماء بالله إلى حضيض دركات المتخبطين في ظلمات الأوهام، وهل نبت الاشرار بالله تعالى في هذه الانسانية إلا من بنور الجهالة بهذه المطالب العليا؟ وهل انشعب القول باتصاف الله تعالى بالولادة تارة وانحاذ الولد أخرى إلا من التلوث بجرائم هذه العقائد المزيفة؟ وهل تفرع القول بحمل الآيات المتشابهة والأحاديث النبوية المشككة على المعنى الظاهري الذي تفهمه الجهلة إلا من عدم الاحاطة بأصول هذا العلم الأسمى المنبثة في هذا القرآن المجيد، والمفروسة في الفطر التي لم تصب بمرض التقليد، لشيوخ الهوى الناكبين عن طريق الهدى المتكلمين فيما لم يحيطوا بعلمه، فتأولوه على غير وجهه، وأخذوا يسترون جهالاتهم عن أتباعهم من العامة بدم علم الكلام والمتكلمين من أهل السنة، شكر الله تعالى سعيهم، واستراحوا إلى ما نقل عن السلف الأولين كالشافعي وأحمد وأضرابهما من ذم الكلام وأهله، ومن لى بأن يعرف هؤلاء وأشياهم أن الكلام كان يطلق في تلك العهود السابقة على ما يأتي به أهل الأهواء من الطعن في القدر وإنكار الشفاعة في عصاة الموحدين، وخلق الجنة والنار، والصراط والميزان، والحوض وأخذ الكتب بالإيمان أو الشبائل، وغفران الله مادون الشرك لمن يشاء، وكانحوض في صفات الله وجعلها كصفات

البشر ، فوصفوه بالمكان والجهة والنزول والصعود المتعارفين للأجسام ، إلى أشباه ذلك من بدع المعتزلة والكرامية وغيرهما ، وأول من صنف في الكلام من أهل الأهواء وأصل بن عطاء شيخ المعتزلة ، وتابعه على ذلك أكابر شيعته ، ومن أجل هذا اشتد النكير من أئمة أهل السنة على الكلام والخائضين في الكلام ، والقارئون في كتب أهلهم ، وهم يريدون ما أتى به أهل الأهواء على اختلاف نحلهم في مجالسهم ومصنفاتهم . ولما اشتد ساعد البدع وانتشر ضررها في الناس بمشغبة دعواتهم وانتشار مؤلفاتهم الموبوءة بين العامة ، اضطرب أهل الحق للكلام في رد هذه البدع بعقد مجالس المناظرة معهم والتصنيفات الجامعة لما بينه القرآن من أصول الدين ، وأوضحته السنة ، وقررت العقول المستنيرة ، وكشفت لعوار تلك البدع ، وإزاحة الظلم التي لبس بها أهل الهوى عن وجه الهدى الذي جاء به الكتاب العزيز . وصار الكلام بعد ذلك يطلق إطلاقاً آخر ويراد به معنى سوى المعنى الأول الذي أنكرته الأئمة . هذا الأطلاق الثاني هو إطلاقه على ما جاء به المحققون من أكابر أهل السنة من الحجج الدامغة لأباطيل الكفار ، وشبهه المبتدعة من أهل الإسلام ، وأصبح علم الكلام لا يراد به إلا هذا ، وكثرت فيه التصانيف من المتقدمين والمتأخرين ، فانتبه أهل الأهواء جهل العامة بالفرق بين هذين الأطلاقين ونقلوا لهم كلمات الأئمة في ذم الكلام وأهلهم ، ليصدوهم عن كتب أهل الحق النافية للتجسيم ولوازمه عن رب العزة ، كما يقتضيه كتاب الله سبحانه كما سنفصله في هذا المقصد إن شاء الله . وليس ببدع ما يسلكه مبتدعة عصرنا من ذلك ، بل هي طريقة مسلوكة قديماً لأسلافهم الأولين ، ودونك مقال في هذا المقام إمام أئمة أهل السنة ومقدم الجماعة علماً وحالاً وقالاً ، والمجمع على مكانته العليافي الفضل من الموافق والمخالف ، الأستاذ الأجل أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري صاحب الرسالة التي سارت بين أهل الفضل مسير الشمس ، وأزالت عن طريق أهل الحق كل لبس ، في رسالته التي بعث بها إلى علماء المشارق والمغرب السماء

«شكاية أهل السنة بحكاية مانا لهم من المحنة» قال فيها رضى الله عنه بعد أوراق مانصه «فإن قالوا إن الاشتغال بعلم الكلام بدعة ومخالفة لطريق السلف (قيل) وأخذ في الجواب إلى أن قال: الاسترواح إلى مثل هذا الكلام صفة الحشوية الذين لا تحصيل لهم، وكيف يظن بسلف الأمة أنهم لم يسلكوا سبيل النظر، وأنهم رضوا بالتقليد؟ حاش لله أن يكون ذلك وصفهم. ولقد كان السلف من الصحابة رضى الله عنهم مشتغلين بما عرفوا من الحق، وسمعوا من الرسول ﷺ من أوصاف المعبود، وتأملوه من الأدلة المنصوبة في القرآن وأخبار الرسول ﷺ في مسائل التوحيد. وكذلك التابعون وأتباع التابعين لقرب عهدهم من الرسول ﷺ، فلما ظهر أهل الأهواء وكثر أهل البدع من الخوارج والجهمية والمعتزلة والقدرية وأوردوا الشبه، انتدب أئمة أهل السنة لمخالفتهم والانتصار للمسلمين بمبينة طريقهم، فلما أشفقوا على القلوب أن تخامرها شبههم، شرعوا في الرد عليهم، وكشف فسقهم، وأجابوهم عن أسئلتهم، وحاموا عن دين الله بایضاح الحجج، ولما قال الله تعالى (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) تأدبوا بأدابه، ولم يقولوا في مسائل التوحيد إلا بما نبههم الله سبحانه عليه في محكم التنزيل. والمعجب ممن يقول ليس في القرآن علم الكلام، والآيات التي في الأحكام الشرعية العملية معرفة معدودة، والآيات التي في الأحكام الاعتقادية ودلائلها تجدها تزيد على ذلك العدد وترى بكثير، وفي الجملة لا يجحد علم الكلام إلا أحد رجلين: جاهل ركن إلى التقليد وشق عليه سلوك أهل التحصيل، وخلا عن طريق أهل النظر، والناس أعداء ما جهلوا، فلما انتهى عن التحقيق بهذا العلم نهى الناس ليضل غيره كما ضل. أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة فينطوي على بدع خفية يلبس على الناس عوار مذهبه ويعمى عليهم فضائح طويته وعقيدته، ويعلم أن أهل التحصيل من أهل النظر هم الذين يهتكون الستر عن بدعهم، ويظهرون للناس قبح مقالاتهم، والقلاب - يعني مزيف النقود - لا يجب من يميز

النقود . وانخلل فيما في يده من النقود الفاسدة لا في الصراف ذي التمييز والبصيرة ،
وقد قال الله تعالى (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) انتهى
ما أردنا نقله من هذه الرسالة القيمة لهذا الخبر الجليل ، وقد نقلها كلها التاج
رضي الله عنه في الجزء الثاني من طبقاته ، وأولها من صفحة خمس وسبعين ومائتين
من النسخة المطبوعة بمصر لأول مرة ، وكفاك بقول هذا الامام الحجة دليلا على
ما أسلفنا . نعم إن كثيرا من فضلاء أهل هذا الفن قد اضطروهم لجأج خصوم السنة
ودعاة البدعة ، إلى التوسع في البحث فدخلوا في متاهات ليس الجمهور في حاجة
إلى التورط في دخولها . وفيما دل عليه كتاب الله غنية أي غنية ، وبيان هو خير
بيان ، ولذلك لا نقذف بك إلى هذه اللجج ، بل نسلك بك الجادة التي اختطها
للناس هذا الكتاب العزيز ، ونريك كيف أبان القرآن صفات المخلوقات التي
لا يصح أن يتصف بها العزيز الحكيم ، وأوضح الصفات المختصة بالحق ولا يجوز
أن تكون من أوصاف المخلوقات ، فإنه كما هو قرآن جمع لهذه الامة علوم الأولين
والآخرين ، هو فرقان فرق بين الهدى والضلال ، وبين الرشيد والغي ، وبين
ما ينبغي للرب وما هو وصف العبد ، فالحمد لله الذي أنزله قرآنا عربيا تبيانا لكل
شيء ، لا بد للناس منه في اعتقاداتهم وأعمالهم أحوج ما كانوا إليه ، فأنهم كانوا
من قبل نزوله في ضلال مبين ، طالت عليهم الفترة من الرسل فساد الفساد وعم
الجهل ، وبدل علماء السوء من أهل التوراة والأنجيل دين الله الذي أنزله إليهم ،
وتحكروا في عقول العامة حتى حجروا عليهم التفكير فيما يلقون إليهم . وأوهموهم أن
الدين فوق العقل ، ولم يستطع علماء الآخرة منهم أن يجاهروا بالحق الذي يعلمونه .
هذه حال أهل الكتابين ، فما ظنك بالعرب والفرس وأهل الهند والصين ، أخذت
منهم الوثنية كل مأخذ ، وسلك بهم الهوى من الضلال كل مسلك ، فما هو إلا أن
فتح الكريم الوهاب أبواب رحمته الكبرى فبعث هذا النبي الأمي بهذا الكتاب
العربي هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وهو كما أخرج الترمذي من

حديث أمير المؤمنين - علي رضي الله عنه في وصف القرآن العظيم قال: « فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء - أي لا تنحرف الأهواء عن الحق مادامت تصاحبه - ولا تلتبس به الألسنة - أي لا يشتبه على الألسنة - بغيره لقوة ظهوره وشدة تميزه عن كلام الناس بنظمه وأسلوبه وحفظ الله إياه ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه » الحديث ، وقوله فيه يخلق بضم اللام وفتحها مع فتح الياء أو بضم الياء مع كسر اللام من أخلق وكله بمعنى يبلى كما سبقت الإشارة إليه في المقدمة .

﴿ فصل ﴾

اعلم أن الحكمة التي هي بمعناها الصحيح وهي الحق المحض ولب العلم الخالص والتي الانحراف عنها أو التحريف فيها خروج عن الجادة ودخول في الباطل . الحكمة التي هذا وصفها هي ما جاء به القرآن المجيد ، ونطق به الخبر الصحيح ، عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وهي أن لهذا العالم كاه عاليه وسافله ، شاهده وغائبه . لطيفه وكثيفه . ربا واحداً لا شريك له وإلهاً فرداً لا نظير له ، وهو الأول لا ابتداء لوجوده الأعلى ، وسائر كلالته العليا ولا انتهاء . المقدس عن البساطة والتركب المنزه عن الاعضاء والأجزاء ، المتعالى عن الحدوث والامكان ولوازمهما ، المبرأ عن الاحتياجات ، الغنى كل الغنى عما سواه ، الحى بداته لا بروح تحله ولا بسبب يقتضيها ، المحيى لما شاء كما يشاء ، النافذ الارادة ، التام القدرة على ما يريد . لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ، علم كل شيء قبل أن يكون شيء ، علماً أزلياً كسائر صفاته المقدسة . وليس علمه عن كسب ولا تجربة وهو السميع البصير ، جل سمعه عن الحاجة إلى الأعصاب والأصمغة والآذان ، وتعالى بصره عن الحدقة والاجفان

أنزل منه كتبه على رساله فضلامنه ورحمة ، كان ولم يكن شيء غيره ، ثم فطر هذه الكائنات مناً منه بها عليها . وأبدعها على صفات تدل عقلاءها على أنها حادثة ممكنة ، وترشدهم إلى انفراد مبدعهم بالكمال الاعلى ، فكان من على اقتداره أن جعل الحجة منهم عليهم ، والدلالة عليه سبحانه فيهم لازمة لهم ، وخلق العقول وألهمها التفكير فيما لديها وما بين يديها ، وأكمل حجته وأبان محجته بأرسال المرسلين وختمهم عليهم الصلاة والسلام بأوضحهم بياناً وأفصحهم لساناً وأجمعهم كتاباً وأظهرهم صواباً نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فبلغت حجته سبحانه غايتها ، وظهر برهانه أظهر من كل ظهور لاسيما بهذا الكتاب المبين ، فانه يأمر العقول بالنظر ، ويهيب بالأفكار أن تتحرك ويصيح بالجامدين على التقليد بأبائهم فيما ورثوا من الجهل أن يستبصروا فيقول (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) ويستلفت إلى ما هو أقرب من السماء والأرض وهو النفس فيقول : (أو لم يتفكروا في أنفسهم) ويزيد في البيان فيقول : (إن في السموات والأرض لايات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) يعني أنه سبحانه قد جعل فيما ذكر أمارات واضحة ودلائل ناطقة يحاجتها إلى الخالق الحكيم ، وانفراد هذا الخالق بالكمال الأتم فلا يصح أن يُعبد سواه ، ولا يرجى الخير إلا منه ، ولا يدفع الضر إلا هو : فان الآيات جمع آية وهي العلامة والأمانة والدليل ، وقد جعلها من الظهور بحيث لا يمنع من فهمها إلا انصراف العقل عن النظر إليها ، وتلوث النفس بجرائم التشكك فيها الذي لا مبرر له ، والعتاد بغيا وتكبرا ، وهذا هو السر في قوله تعالى (للمؤمنين - لقوم يوقنون - لقوم يعقلون) فالعنى أن من أراد أن يؤمن بهذا الهدى وطلب اليقين بهذا الحق ، وأعطى العقل حظه من النظر الصحيح ، وجد في السموات والأرض وما ذكر في الآيتين ما يُبلغه ما يريد ، ويُدله على أن هذه الكائنات

مُحَدَّثَةٌ مَخْلُوقَةٌ ، وَأَنَّ الْمَفْرُودَ بِخَلْقِهَا وَالْمُسْتَحَقَّ لِعِبَادَتِهَا هُوَ ذَلِكَ لِلرَّبِّ الْوَاحِدِ الْمَجِيدِ . - وَيَسْبِحَانِ اللَّهَ مَا أَعْجَبَ إِرْشَادَ هَذَا الْقُرْآنِ !! يَرَى التَّفَاوُتَ بَيْنَ الْعُقُولِ فَفِيهَا الْقُوَى عَالِي الْجَوْلَانِ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، الْقَادِرُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَلَى اسْتِخْرَاجِ مَا لَا يُحْصَى مِنْ دُرَرِ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ بَحَارِ هَذَا الْمَلَكُوتِ فَيَطَّلِقُ لَهُ النَّظَرَ فِي الْآيَاتِ إِطْلَاقًا كَمَا فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَلَوْنَاهَا . وَمِنْهَا الْمَتَوَسِّطُ وَدُونَ الْمَتَوَسِّطِ فَيَضَعُ فِي يَدِهِ مِنْ تِلْكَ الْآيَاتِ مَا يَكُونُ لَهُ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا إِلَى الْمَطْلُوبِ .

فَانظُرْ مَعِيَ - بِصُرْكَ اللَّهِ - إِلَى صَرَائِحِ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَتَلَوْنَاهَا عَلَيْكَ (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَاتٍ لِلنَّاظِرِينَ) وَالْبُرُوجُ : الْكَوَاكِبُ الْعَظِيمَةُ (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُوْزَوْنًا) فَتَأَمَّلْ فِي قَوْلِهِ « مَدَدْنَاهَا » فَهَذَا الْمَدُّ فِيهَا مَعَ كَوْنِهَا كُرَّةً مِنْ أُبْدَعِ مَا يَبْدَلُ عَلَى حِكْمَةٍ مِنْ وَضْعِهَا لِمَعِيشَةِ هَذِهِ الْبَشَرِيَّاتِ عَلَيْهَا ، وَتَبَصَّرْ جِدَّ التَّبَصُّرِ فِي قَوْلِهِ فِي النَّبَاتِ (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُوْزَوْنًا) وَلَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَفْهَمَهُ حَقَّ فَهْمِهِ حَتَّى تَتَّبَحَّرَ فِي عِلْمِ الْمَمْلَكَةِ النَّبَاتِيَّةِ وَتَقْرَأَ مَا كَتَبَ فِي النَّبَاتِ وَأَجْزَائِهِ وَمَقَادِيرِ الْعُنَاصِرِ الَّتِي تَفْسُقُ إِلَيْهِ عَلَى مَا يَنْاسِبُ كُلَّ نَوْعٍ مِنْهُ . وَلِلْفَاضِلِ الشَّيْخِ طَنْطَاوِيِّ جَوْهَرِيٍّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَأَشْبَاهِهَا مِنْ تَفْسِيرِهِ الْمَطْبُوعِ يَدُّ طَوَّلِي فِي بَيَانِ بَعْضِ هَذِهِ الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا يَحِيطُ بِتَمَامِهَا إِلَّا الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . فَارْجِعْ إِلَيْهِ إِنْ أَحْبَبْتَ اقْتِنَاسَ هَذِهِ الْفَوَائِدِ الشَّرِيفَةِ . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) فَاقْسِمْ بِالَّذِي أَنْزَلَهَا إِنْ الْمَجْلَدَاتُ الْكَثِيرَةَ الضَّخْمَةَ لَنْ تَنفِي بِتَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى التَّفْصِيلِ ، بَلْ وَلَا بَعَثْ مَعِشَارَهَا ، فَانْهَ شَرَحَ الْمَكُونَاتِ كُلَّهَا وَبَيَانَ الْحُكْمِ الَّتِي لَا تَحْصَى فِي تَخْصِيصِهَا بِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ صِفَاتِهَا وَمَقَادِيرِهَا ، وَأَوْقَاتِهَا وَأَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَإِضَاءَةَ الْمَضَى مِنْهَا ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَضْبِطُهُ الْعَدَدُ وَالْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ لِهَذَا الْكَلَامِ الْعَزِيزِ أَنَّ الْوِزْنَ يَمِيزَانِ الْحِكْمَةَ لَيْسَ قَاصِرًا عَلَى النَّبَاتِ فَحَسْبُ ، وَلَيْسَ مَا فِي الْكُونَ كُلِّهِ هُوَ كُلُّ مَا فِي قَدْرَتِنَا ، بَلْ مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْكُونَ إِلَّا

ونحن قادرون على جعله أضعافاً مضاعفة ، غير أن عنايتنا اقتضت أن لا تبر زمن على جودنا إلى فضاء هذا الوجود إلا ما تحده الحكمة ويقتضيه علمنا الأعلى ، ورحمتنا التي لا تحده . قال الامام المحقق ناصر الدين البيضاوي في تفسيرها « وما من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه أضعاف ما وجد منه ، فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره ، أو شبه مقدراته بالأشياء المخزونة التي لا يهوج إخراجها إلى كلفة واجتهاد « وما ننزله » من يفاع القدرة « إلا بقدر معلوم » حدثته الحكمة وتعلقت به المشيئة ، فان تخصيص بعضها بالاجساد في بعض الأوقات مشتملاً على بعض الصفات والحالات ، لا بد له من مخصص حكيم » . انتهت عبارته رضى الله عنه - واليفاع - بفتح الياء المثناة من تحت والفاء المخففة : المرتفع وأشار به إلى أن التنزيل هنا ليس من باب المكان كما يخطر للواهمين وإنما هو من علو مقام المعطى جلا جلاله .

﴿ فصل ﴾

ثم الآية الكريمة بعد هذا تعطيك مسألة من علم التوحيد ، بل مسائل هي من أهم مسائله وهي أن كل مقدر بقدر ومحدود بمحدود ، فهو حادث ممكن ، لا بد له في وجوده واختصاصه بقدره الذي هو عليه من فاعل موجود واجب ، أعطاه وجوده وخصه بالقدر الذي هو عليه ، وما من شيء في المالم إلا وهو ذو قدر معين في ذاته ومكانه وزمانه وصفاته ، من صغر وكبر ، وطول وقصر ، وخفة وثقل ، ونور وظلمة ، وارتفاع وانخفاض ، ولطافة وكثافة ، وسيلان وجمود ، وحرارة وبرودة ، وحركة وسكون ، وما يستتبع هذا من أشكال وألوان ، وطعوم وروائح ، وصعود ونزول ، وأمكنة وجهات ، وقرب وبعده ، إلى سائر خصائص المادة مما لم نذكره وبين في علم خصائص المادة ، فكل ذلك تنطق الآية الكريمة بأنه مختص بال مخلوقات يتعالى عن الاتصاف بشيء منه ربها وخالقها ، فان

كل ذي قدر فهو مخلوق ، إذ الخلق يدور في اللغة على معنى التقدير أو الإيجاد على قدر معين ، ولذلك يقول تعالى : (الله خالق كل شيء) ومعناه أن كل شيء له قدر مخصوص كما ترون ، وذو القدر المخصوص ينادى على نفسه بأنه حادث ممكن مخلوق لا بد له من خالق فأنا خالقه لا خالق له سوى ، فالقرآن ينادى بأن الجسمية ، ولوازمها هي من دلائل الحدوث ولوازم الإمكان ، وهذا هو بعينه ما قرره علماء العقول ، وفضلاء أهل علم الكلام ، بل كل ذي قدر ولو صغر جداً بحيث لا يبلغ أن يكون جسماً ، فهو داخل فيما حكمت عليه الآية أنه مخلوق للقادر الحكيم . ولم يكتف القرآن حتى صرح بهذه اللوازم تفصيلاً لمن تدبره مستدلاً بها لعباده فقال : (والسماء رفعتها) (والأرض وضعها) فهذا يبين لك أن الارتفاع والانضاع الحسيين كما يشاهد في السماء والأرض هما من صفات الحوادث الممكنات لا بد لهما من فاعل وأنه فاعل ذلك فهو الرفع الخافض ، وما هو من دلائل الحدوث يستحيل أن يكون وصفاً للواجب المتعالي . وكذلك قال سبحانه (الله الذي رفع السموات) (وهو الذي مد الأرض) أي خفضها وجعلها بحيث تصلح للمشي في مناسكها قال (وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) ثم ذكر انقسام الأرض إلى أجزاء مختلفة وانصاف ثمار الجنات والزرع بتفاضل بعضها على بعض في الأكل ، وأنه هو فاعل ذلك ومجزئته ومقسمه ، كما أشار في آية أخرى إلى أنه مجزئ جسم الإنسان إلى أجزاء ، وجاعل لكل منها وظيفة ، فقال (ألم تجعل له عينين ولساناً وشفقتين) واحتج على الإنسان بوجوده على القدر المخصوص وتجزئته إلى الأجزاء المسببة المعدولة عما يجوز عليها من الصفات إلى ما هي عليه من الحسن والنظام وتركيبه . فقال : (يا أيها الإنسان ما غرك ربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك) فالعقول تفهم ببدياهتها أن الانقسام إلى الأجزاء لا سيما إذا كانت مسواة ، والتركيب من الجوارح والأعضاء لا بد له من موجبه مقسم مركب ، ولذلك

احتج الله به على ابن آدم ، ومحال أن يحتج الله على الحدوث بوصف ثم يكون هذا الوصف في ذاته عز وجل ، فمن قال بتركب ذات الله من الأجزاء وحمل اليدين والعين والأعين والوجه واليدين الواردة في كتاب الله في وصف الله والقدمين والساق في الحديث على الأعضاء والأجزاء، وحمل العلو الوارد في وصفه تعالى على العلو الحسي المكاني ، والنزول على مثل ذلك، وأن ذلك مقتضى الكتاب والسنة ، وأنه بذلك يكون سلفيا ، فما فهم الكتاب ولا السنة ولا تابع السلف الصالح ، فهذا كتاب الله يرد عليه أبلغ رد، وما أبدع ما قال ناصر الدين القاضى البيضاوى في تفسير قوله تعالى: (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) ونصه بعد ما ساق الجملة الشريفة «متصل بقوله (ولئن سألتهم) أى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولداً فقالوا : الملائكة بنات الله ، لعله سماه جزءا كما سمي بعضا، لأنه بضعة من الوالد ، دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته » اهـ ، فانه تعالى لو جاز عليه الانقسام أو صح عليه الصغر أو الامتداد لكان مقدراً ، وقد علمت أن كتابه سبحانه ينادى بأن كل مقدر حادث مخلوق ، فيكون ممكنا ، والممكن يستحيل أن يكون خالقا وموجداً ، وقد ثبت أنه الخلاق فيجب أن يكون متصفا بوجوب الوجود وتوابع هذا الوجود الواجب من الكمالات العليا ، فوجب أن يكون متزهاً عن التركب وقبول الانقسام ، وكل ما هو من خصائص المادة والأجسام ، بذلك نطق كتاب الله لقوم يسمعون ، ونادت بهذا آياته من ألقى إليها السمع وهو شهيد . وعلى ذلك أطبق أهل السنة الذين لم يصابوا بما أصيب به أهل الهوى من مرض التشبيه والتجسيم الذى أصيب به اليهود من قبلهم ، ووقع فيه النصارى من بعدهم . والعجب أنك ترى إمام المدافعين عن بيضة أهل التشبيه وشيخ إسلام أهل التجسيم ممن سبقه من الكرامية وجهلة المحدثين الذين يحفظون وليس لهم فقه فيما يحفظون ، أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن قسيمة ، يرمى إمام الحرمين وحجة الأئمة الغزالي بأنهما أشد كفراً من اليهود

والنصارى ، فى كتابه الموافقة المطبوع على هامش منهاجه ، لقولهما بالتنزيه ، وهما لم ينفردا به ، بل هو قول المحققين من علماء الملة الاسلاميه من الصحابة فمن بعدهم إلى زمانه - وكانت وفاته فى القرن الثامن - وإلى زماننا، وإلى أن يأتى أمر الله . فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام « لن تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتى أمر الله » وفى بعض ألفاظ هذا الحديث « أنهم السواد الأعظم من أمته » وسيأتى لنا كلام فى خطر الاغترار بهذا الرجل ومصنفاته وشيعته ، ورأى المحققين من الجهابذة فيه وفيهم فانتظر .

﴿ فصل ﴾

واعلم أن بين المقدرات من الجواهر التى هى الأجسام فما دونها وبين المكان والجهة لزوما بينا ، وهو مالا يحتاج عند العقلاء إلى دليل ، فان المكان هو الموضع الذى يكون فيه الجوهر على قدره ، والجهة هى ذلك المكان ، لكن بقيد نسبه إلى جزء خاص من شىء آخر ، فكل جهة مكان ولا عكس ، فالفراغ الذى أنت فيه هو مكانك ، وباعتبار محاذاته لرأس شخص آخر هو جهة تسمى فوقا ، وباعتبار محاذاته لرجله تسمى تحتا ، أو لوجهه أو ظهره أو أقوى يديه أو أضعفهما تسمى أماما وخلفا ويمينا وشمالا . والجوهر هو مقدر لا بد أن يأخذ قدرا من الفراغ على قدره صغيرا كان أو كبيرا ، فأنت ترى من البين الجلى أن بينهما تلازما أى تلازم ، والقول بأحد المتلازمين قول بالآخر ، وبنى أحدهما نفي للآخر . وقد عرفت أن القرآن يستدل فى صراحة بتقدر الأشياء على حدودها ومخلوقيتها، فمن السهل عليك أن تعرف أن القرآن قد قرر بذلك تعالى الحق فى ذاته عن أن تكون مقدره أو ذات امتداد ، أو يجوز عليها الانقسام أو متصفة بكبير أو صغير كما هو للماديات ، وذلك قول يهيب بأهل الفقه فى كتابه أن يعتقدوا تنزهه عز وجل عن الجهة والمكان ، ومن قال غير هذا فقد غلب عليه الوهم وفاته الفهم ، فان نسب إلى

الكتاب العزيز القول بالجهة والمدكان في حق ربنا عز وجل ، أو إلى السنة المطهرة
فقد افتري على كتاب الله وكذب على سنة رسول الله ﷺ ، وأنى من ناحية
جهله وقلة تفقهه في دلائل الكتاب العزيز ، ونزعه عرق العجمة إلى مشابهة اليهود
في القول بالتجسيم والجهة في حق الله تعالى عما يقولون . أو غلبته العصبية لهوى
فيه أو فيمن قلدتهم من أشياخ البدعة . فان كان داعية إلى القول بذلك يعقد له
الدروس ويصنف فيه الكتب وينادى به على المنابر فهو الذي أصيب بالجهل
المركب وهو من أول الداخلين في قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) . قال ترجمان السلف وشيخ المفسرين
الامام الحجة ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : « يعنى بقوله جل ثناؤه
فيتبعون ما تشابه ما تشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات ليحققوا
بإدعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيغ عن محجة
الحق ، تلبيساً منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف
معانيه » ثم ساق بسنده عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة عنه - وهو
أصح الأسانيد فيما يروى عن ابن عباس في التفسير - قال فيتبعون ما تشابه منه
فيحملون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويلبسون فلبس الله عليهم .
ثم ذكر بسنده عن محمد بن جعفر بن الزبير وعن مجاهد نحوه ثم قال : واختلف
أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية ، فقال بعضهم عني به الوفد من نصارى ذران
الذين قدموا على رسول الله ﷺ فحاجوه بما حاجوه به وخاصموه بأن قالوا أأنت
تزعم أن عيسى روح الله وكلمته ؟ وتأولوا في ذلك ما يقولون فيه من الكفر ،
ثم ساق بالسند عن الربيع هذا القول ، وحكى عن بعضهم أن المعنى اليهود الذين
سألوا عن الحروف المقطعة أوائل السور ، وساق قصتهم في ذلك . ثم قال : وقال
آخرون بل عني الله عز وجل بذلك كل مبتدع في دينه بدعة مخالفة لما ابتعث
رسوله محمداً ﷺ بتأويل يتأوله من بعض أى القرآن المحتملة التأويلات ، وإن

كان الله قد أحكم بيان ذلك إما في كتابه وإما على لسان رسوله . ثم ساق بسند صحيح عن قتادة في قوله (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيقتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة) وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية (فأما الذين في قلوبهم زيغ) قال إن لم يكونوا الحرورية والسبئية ، فلا أدري من هم ، ولعمري لقد كان في أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار خبر لمن استخبر وعبرة لمن استعبر ، لمن كان يعقل أو يبصر أن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كثير بالمدينة والشام والعراق ، وأزواجه يومئذ أحياء ، والله إن خرج منهم ذكر ولا أنثى حروريا قط ، ولا رضوا الذي هم عليه ولا ما تؤوم فيه ، بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم ونعته الذي نعته به ، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ، ويعادونهم بالسنتهم ، وتشتد والله عليهم أيديهم إذا لقوهم ، ولعمري لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع ، ولكنه كان ضلالا فتفرق ، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافا كثيرا فقد الأصوا - أي أرادوه وحاولوا رواجه - هذا الأمر منذ زمان طويل فهل أفلحوا فيه يوما أو نجحوا ؟ يا سبحان الله ! كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم ؟ لو كانوا على هدى لأظهره الله وأفله ونصره ، ولكنهم كانوا على باطل أ كذبه الله وأدحضه ، نعم كما رأيتم كلما خرج لهم قرن أدحض الله حججهم . وأكذب أحموتهم ، وأهراق دماءهم ، وإن كنتموا كان قرحا في قلوبهم ، وغما عليهم ، وإن أظهروه أهراق الله دماءهم ، ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه ، والله إن اليهودية لبدعة ، وإن النصرانية لبدعة ، وإن الحرورية لبدعة ، وإن السبئية لبدعة ما نزل بهن كتاب ولا سنهن نبي . ثم ذكر في الفتنة قولين في قوله تعالى (ابتغاء الفتنة) أهى الشرك أم الشبهات ؟ ثم قال : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه إرادة الشبهات واللبس ، فمعنى الكلام إذا فأما الذين في قلوبهم زيغ

عن الحق وخيف عنه فيتبعون من آى الكتاب ما تشابهت ألفاظه ، واحتمل صرفه فى وجوه التأويلات باحتماله المعانى المختلفة إرادة اللبس على نفسه ، وعلى غيره احتجاجاً به على باطله الذى مال إليه قلبه دون الحق الذى أبانه الله فأوضحه بالمحكمات من آى كتابه وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك ، فإنه معنى بها كل مبتدع فى دين الله بدعة فمال قلبه إليها تأويلاً منه لبعض متشابه آى القرآن ، ثم حاج به وجادل به أهل الحق وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات إرادة منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين ، وطلباً لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك ، كائناً من كان ، وأى أصناف البدعة كان من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية أو كان سبئياً أو حرورياً أو قدرياً أو جهمياً ، اه أقول : فهؤلاء وأشباههم من الذين يتعين على الأمة أن تحذرهم خصوصاً من لم يتبحر فى علم العقائد فإنه يلتبس عليه الأمر فيعتقد العقائد البدعية وهو يرى أنها صميم السنة ، ومن أجل هذا جاء فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه تلا قوله تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) الآية ثم قال عليه الصلاة والسلام « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين ساءمهم الله فأحذروهم » أخرجه الشيخان . هذا وإنى أعود فأكرر لك النصيحة مخلصاً والله على ما أقول شهيد فأقول : إن القرآن المجيد لم يدع للمتأمل فيه مجالاً للشك فى أن ما كان من الصفات لازماً من لوازم الجوهر صغيراً كان أو كبيراً هو من دلائل الحدوث ، والحدوث يستلزم الامكان ، وقد سبق لك البرهان فى المقدمة على ذلك ، ألا ترى الله سبحانه وتعالى يقول (وخلق كل شىء فقدره تقديراً) (قد جعل الله لكل شىء قدراً) (الذى خلق فسوى) فكون الشىء على قدر مخصوص يستلزم بوضوح أن له مقدرأ قدره ، فبين القرآن أن مقدر المقدرات إنما هو الله وحده ، وما من شىء من هذه الكائنات إلا له قدر مخصوص ، وكذلك دل مولانا عز وجل عباده على الحدوث بالحركات واختلافها ، والأجزاء للشىء

الحنابلة ببغداد وابن رئيسها « أنكر أحمد علي من قال بالجسم ، وقال إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة ، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذى طول وعرض وممك وتركيب وصورة وتأليف ، والله سبحانه خارج عن ذلك كله ، فلم يجوز أن يسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية ، ولم يجزى في الشريعة ذلك فبطل « اهـ محروفة . ونقل الحافظ ابن الجوزي عن الامام أحمد نحو ذلك في كتابه « دفع شبه التشبيه » وأنت خير بأن نفي الجسمية نفي للجهة والمكان فانهما لازمان لها لذاتها لزوماً مساوياً ، وإذا ثبت اللازم المساوي ثبت ملزومه . لا يشك في ذلك من يعرف معنى اللازم المساوي ، فهو بمنزلة الحدوث للامكان والانقسام عتساويين للزوج .

﴿ فصل في نقول مهمة عن أكابر السلف تجلي لك الامر ﴾

فمنهم الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة تسع وثلاثمائة ، تصرح عبارته في الجزء الأول من تاريخه بان الجسمية تستلزم الحدوث ، وأن خالق المخلوقات يتعالى عنها . وننقل لك هنا عبارته وإن خرج بعضها عن غرض هذا النصل لحسنها ونفاستها . قال رضى الله عنه مانصه : (القول في الدلالة على أن الله عز وجل هو القديم الأول قبل كل شيء ، وأنه هو المحدث كل شيء بقدرته تعالى ذكره) فمن الدلالة على ذلك أنه لا شيء في العالم مشاهد إلا جسم أو قائم بجسم وأنه لا جسم إلا مفترق أو مجتمع ، وأنه لا مفترق منه إلا وهو موهوم فيه الاجتماع والاتلاف إلى غيره من أشكاله ، ولا مجتمع منه إلا وهو موهوم فيه الاقتراق ، وأنه متى عدم أحدهما عدم الآخر معه ، وأنه إذا اجتمع الجزءان منه بعد الاقتراق فمعلوم أن اجتماعهما حادث فيهما بعد أن لم يكن ، وأن الاقتراق إذا حدث فيهما بعد الاجتماع فمعلوم أن الاقتراق فيهما حادث بعد أن لم يكن ، وإذا كان الأمر فيما في العالم من شيء كذلك ، وكان حكم ما لم يشاهد وما هو من جنس

ما شاهدنا في معنى جسم أو قائم بجسم، وكان ما لم يخل من المحدث لاشك أنه محدث بتأليف مؤلف له ، إن كان مجتمعا ، وتفريق مفرق له إن كان مفترقا ، وكان معلوما بذلك أن جامع ذلك إن كان مجتمعا ، ومفرقه إن كان مفترقا ، من لا يشبهه ولا يجوز عليه الاجتماع والافتراق ، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات ، الذي لا يشبهه شيء وهو على كل شيء قدير . فتبين بما وصفنا أن باري الأشياء ومحدثها كان قبل كل شيء ، وأن الليل والنهار والزمان والساعات محدثات ، وأن محدثها الذي يدبرها ويصرفها قبلها أن كان من المحال أن يكون شيء يحدث شيئا إلا ومحدثه قبله . وإن في قوله تعالى ذكره (أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) لأبلغ الحجج ، ودل الدلائل لمن فكر بعقل واعتبر بفهم على قدم بارئها وحدوثها . وكل ما جانسها ، وأن لها خالقا لا يشبهها ، وذلك أن كل ما ذكر ربنا تبارك وتعالى في هذه الآيات من الجبال والأرض والأبل فإن ابن آدم يعالجه ويدبره بتحويل وتصريف ، وحفر ونحت وهدم ، غير ممتنع عليه شيء من ذلك ، ثم إن ابن آدم مع ذلك غير قادر على إيجاد شيء من ذلك من غير أصل . فمعلوم أن العاجز عن إيجاد ذلك لم يحدث نفسه ، وأن الذي هو غير ممتنع ممن أراد تصريفه وتقليبه لم يوجد من هو مثله ، ولا هو أو وجد نفسه ، وأن الذي أنشأه وأوجد عينه هو الذي لا يعجزه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه إحداث شيء شاء إحداثه . وهو الله الواحد القهار . فان قال قائل فما تنكر أن تكون الأشياء التي ذكرت من فعل قديمين ؟ قيل أنكرنا ذلك لوجودنا اتصال التدبير وتمام الخلق ، فقلنا لو كان المدبر اثنين لم يخل من اتفاق أو اختلاف ، فان كانا متفقين فمعناهما واحد ، وإنما جعل الواحد اثنين من قال بالاثنين . وإن كانا مختلفين كان محالا وجود الخلق على التمام والتدبير على الاتصال ، لأن المختلفين فعل كل واحد منهما خلاف فعل صاحبه ، بأن أحدهما إذا أحيى أمات الآخر ، وإذا أوجد أحدهما

أفنى الآخر ، فكان محالاً وجود شيء من الخلق على ما وجد عليه من التمام والاتصال . وفي قول الله عز وجل ذكره (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) وقوله عز وجل (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) أبلغ حجة وأوجز بيان وأدل دليل على بطول ما قال المبطلون من أهل الشرك بالله ، وذلك أن السموات والأرض لو كان فيهما آلهة غير الله لم يخل أمرهما عما وصفت من اتفاق واختلاف وفي القول باتفاقهما فساد القول بالتثنية ، وإقرار بالتوحيد ، وإحالة في الكلام بأن قائله سعى الواحد اثنين . وفي القول باختلافهما القول بفساد السموات والأرض كما قال ربنا عز وجل (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) لأن أحدهما كان إذا أحدث شيئاً وخلقه كان من شأن الآخر إعدامه وإبطاله . وذلك أن كل مختلفين فأفعالهما مختلفة ، كالنار التي تسخن والثلج الذي يبرد ما أسخنته النار : وأخرى أن ذلك لو كان كما قال المشركون بالله لم يخل كل واحد من الاثنين اللذين أثبتوها قديمين من أن يكونا قويين أو عاجزين ، فإن كانا عاجزين فالعاجز مقهور وغير كائن إلهاً ، وإن كانا قويين فإن كل واحد منهما بعجزه عن صاحبه عاجز ، والعاجز لا يكون إلهاً ، فإن كان كل واحد منهما قوياً على صاحبه فهو بقوة صاحبه عليه عاجز ، تعالى ذكره عما يشرك المشركون . فتبين إذاً أن القديم باري الأشياء وصانعها هو الواحد الذي كان قبل كل شيء ، وهو الكائن بعد كل شيء ، والأول قبل كل شيء ، والآخر بعد كل شيء ، وأنه كان ولا وقت ولا زمان ولا ليل ولا نهار ، ولا ظلمة ولا نور إلا نور وجهه الكريم ، ولا ماء ولا أرض ، ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ، وأن كل شيء سواه محدث مدبر مصنوع انفرد بخلق جميعه بغير شريك ولا معين ، ولا ظهير ، سبحانه من قادر قاهر « انتهى .

وهو كما ترى صريح فيما قلنا من تأمله ، وهذا إمام المارفين الثقة الحجة أبو

القاسم القشيري ينقل في كتابه الرسالة عن جعفر الصادق الأمام الأجل وعن
أكابر المتقدمين من العلماء العاملين ، والصوفية الواصلين ، أهل المكاشفات
الصادقة ، قولهم بنفى الجهة والمكان والجسمية وسائر ما يستلزمها أو تستلزمه عن
الحق العلي تبارك وتعالى ، لأن ذلك كله من سمات الحدوث ، وخصائص الممكنات .

﴿ زيادة تبصير وتنوير ﴾

وأنت إذا أنعمت التفقه فيما احتج به الله في كتابه المبين ، وحكاه فيه عن
المرسلين إجمالاً وتفصيلاً ، وجدت ذلك لا تحماً واضحاً . فانظر إلى قوله في أم
القرآن (رب العالمين) أي موجد كل ماسواه ، ومدرجه في الكمال شيئاً بعد شيء ،
كيف عبر عن هذه الأشياء بكلمة العالمين ، وهي جمع عالم ، وهو في هذه اللغة
الفصحى التي اختارها الله لهذا الكتاب المبين : ما به يعلم غيره وجعلت فيه
العلامة ونصب دليلاً عليه . فكأنه يقول سبحانه : لي الثناء الجميل لا يستحقه
سواي لأنني أنا المنعم على كل شيء مما ترون ومالا ترون بوجوده وسائر كالاته
وقد جعلت فيه العلامات والدلائل على حدوثه وقدمي وفنائه وبقائي ، واحتياجه
وإمكانه وغناي ووجوب وجودي وكال جودي . وهذه الأمارات فيه ظاهرة
بحيث تصلح للاحتجاج بها على جميع العقلاء إذا نظروا منصفين . وفكروا
غير معاندين . وما هذه الآيات البينات التي يكون الكل سواء في تعرفها إلا جعل
كل شيء منها على قدر مخصوص ، وحد معين في حجمه وأجزائه ، وشكله ولونه
ومكانه وزمانه وأوصافه التابعة لذلك ، فكل ذلك شهود منها عليها للناظرين
بأنها حادثة ممكنة باحداث واحد حكيم ، ومقدرة بتقدير العزيز العليم ، ومفاض عليها
الخير من الجواد الكريم ، وكذلك قال تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات
والأرض وجعل الظلمات والنور) فقد جعلت الآية الكريمة كون السموات
والأرض والظلمات والنور من المحدثات المجمولات مما لا يخفى على من نظر فيه .

ولذلك لم تمن ببيانه وإنما عنيت ببيان أن الخالق له هو الله وحده، وأن الكافرين المعاندين يعدلون به غيره، أي يجعلونه مساوياً له في بعض الصفات التي لا تنبغي إلا له عز وجل، ولذلك عقب الجملة السابقة بقوله سبحانه (ثم الذين كفروا يربهم يعدلون) وعلى هذا المنوال قوله تعالى لرسوله (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض) والولى هنا بمعنى المعبود، وقول الخليل عليه الصلاة والسلام (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض) وهو منه عليه الصلاة والسلام إشارة واضحة إلى أن ما في هذه العوالم من الجسمية والتركب من الأجزاء واختلاف المقادير والأمكنة قاض عليها بأنها مفضورة مخلوقة عاجزة مستفيدة وجودها وتوابعه، وشاهد لفاطرها ومبدعها بالوحدانية في وجوب الوجود وكال الجود على كل موجود، ومن هذا القبيل قول الكليم عليه السلام لفرعون والملائكة حوله حين تعنت فقال (وما رب العالمين؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) وإنما عددناه متعنتاً لأن في قوله وأخيه عليهما السلام إنما رسول رب العالمين الحجة الكافية والبرهان الشافي، فإن معناه إنما رسول رب هذه الأشياء التي جعلت فيها العلامات الظاهرة والسمات الواضحة، والدلالات البينة على نقصها وعجزها وحدوثها وفاقها وشدة افتقارها في وجودها وما يتبعه إلى رب توحيد في ملكوته وتقديسه عن مشابهتها في سمات الحدوث ودلائل المعجز، فلا يكون جسماً ولا جسمانياً، ومن ذلك النحو قوله عليه السلام حين قال فرعون من ربكم يا موسى (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقول الرسل للمشركين (أفئ الله شك فاطر السموات والأرض) أفلا يكون كل هذا وهو بعض ما في الكتاب العزيز في هذا الموضوع قرائن مانعة من حمل ما ورد في الكتاب والسنة من الوجه ونحوه والعلو والنزول وشبههما على المعاني الحسية الجسمانية، وصارفة له إلى ما يليق بذاته سبحانه مما يتعالى عن مشابهة الأجسام والجسمانيات، ومتنادية بأعلى صوت على من حملها على الظواهر الحسية التي تتبادر للجاهلين من العامة بقلة تفقهه في كتاب الله

وأنحرافه عن الجادة التي سلكها علماء المعقول والفقهاء في المنقول .
بلى والذي أنزل في كتابه العلم وخص العلماء المرضيين لديه بالفهم جل
ثناؤه ، وهكذا اتفق سلف هذه الأمة الصالح وخلفها الموفق على صرف هذه
المتشابهات عن هذه الظواهر المادية ، لاخلاف في ذلك بين أوائلهم وأواخرهم
رضي الله عنهم ، وسعوا من فسر بها تلك الظواهر بالمجسمة والحشوية إجماع منهم
رضي الله عنهم إلى أن ما أتى به هؤلاء من التفسير من اللغو الذي لا يلتفت إليه ،
والحشو الذي لا يعول أهل العلم بالكتاب والسنة عليه ، وسنلم بهذا الموضوع في
الفصل الأخير من هذا المقصد إن شاء الله تعالى فانتظر

تمت

ونختم هذا الفصل بذكر فتوى في هذا الموضوع صدرت من شيخ الاسلام
بحق ورأس المحققين الاعلام أستاذ الأساتذة الشيخ سليم البشري تغمده الله
برحمته وأعلى في الفرائد درجاته . ونص السؤال والجواب نقلا عن كتاب شمس
الحقيقة والهداية في الرد على أهل الضلالة والغواية : للعلامة المحقق والنقي الموفق
الشيخ أحمد بن العلامة الكبير الشيخ علي بدر شيخ معهد بلصفورة وهو رافع
السؤال إلى شيخ الاسلام رضي الله عنهما . قال : « ماقولكم دام فضلكم في رجل
من أهل العلم هنا الذين يوصفون بالتفقه في الدين أظاھر باعتقاد ثبوت جهة الفوقية
لله سبحانه وتعالى ، ويدعى أن ذلك مذهب السلف ، وتبعه على ذلك البعض
القليل من الناس ، وجمهور أهل العلم ينكرون عليه . والسبب في تظاھرہ بهذا
المعتقد - كما عرض على هو بنفسه ذلك - عثوره على كتاب لبعض علماء الهند
نقل فيه صاحبه كلاما كثيرا عن ابن تيمية في إثبات الجهة للباري سبحانه وتعالى ،
وليكن معلوما أنه يعتقد الفوقية الذاتية له جل ذكره ، يعني أن ذاته سبحانه فوق
العرش - بمعنى ماقابل التحت - مع التنزيه ، ويخطئ أبا البركات الدردير رضي

الله عنه في قوله في خريدته

متزه عن الحلول والجهة * والاتصال الانفصال والسفه
يخطئه في موضعين من البيت قوله والجهة وقوله والانفصال . والشيخ اللقاني
في قوله

ويستحيل ضد ذى الصفات * في حقه كالكون في الجهات
وبالجملة هو مخطئ لكل من يقول بنى الجهة مهما كان قدره ، ويستدل أيضا
بتص كتاب آخر غير الكتاب المتقدم ذكره ، وهو تفسير الشيخ الالوسي
المسمى بروح المعاني ، عند قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) مع أن المطلع على
عبارة الالوسي يجده في آخر عبارته ذكر ما يؤخذ منه أنه غير جازم بذلك .
ويستدل على ذلك بمثل قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) (يخافون ربهم من
فوقهم) (إليه يصعد الكلم الطيب) وبقوله **صلى الله عليه وسلم** للجارية التي أراد سيدها
عتقها « أين الله ؟ فقالت في السماء » مع ما هو معلوم لفضيلتكم من أنها كانت
خرساء وأشارت إلى السماء كما هو منصوص في بعض مؤلفات حجة الاسلام الغزالي
رضي الله عنه ، وقد تعرض لذلك السيد محمد مرتضى في شرحه للأحياء .
ويستدل أيضا بقوله **صلى الله عليه وسلم** في حجة الوداع « اللهم اشهد » وأشار بأصبعه إلى
السماء ، ويورد على من ينازعه في ذلك سؤال الكرامية المشهور وهو قولهم إن
فيه عن الجهات الست إخبار عن عدمه . ولا يخفى على فضيلتكم أن الكلام
في مسألة الجهة شهير ، إلا أنه من المعلوم أن قول فضيلتكم سيما في مثل هذا
الأمر هو الفصل ، وأرجو أن يكون عليه إمضاؤكم بخطكم والختم ولا مؤاخنة ،
لازلم محفوظين ولمذهب أهل السنة والجماعة ناصرين آمين . وقوله الكرامية :
نسبة إلى محمد بن كرام . كشداد كما في القاموس

وهذا نص جوابه حفظه الله : إلى حضرة الفاضل الملامة الشيخ أحمد علي

بدر خادم العلم الشريف بيلصفورة :

قد أوصلتم بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٢٥ هـ مكتوبا مصحوبا بسؤال عن حكم من يعتقد ثبوت الجهة له تعالى ، فخرنا لكم الجواب الآتى وفيه الكفاية لمن اتبع الحق وأنصف، جزاكم الله عن المسلمين خيرا « اعلم أيديك الله بتوفيقه وسلك بنا وبك سواء طريقه ، أن مذهب الفرقة الناجية وما عليه أجمع السنيون أن الله تعالى منزّه عن مشابهة الحوادث مخالف لها في جميع سمات الحدوث ومن ذلك تنزّهه عن الجهة والمكان كما دلت على ذلك البراهين القطعية ، فان كونه في جهة يستلزم قدم الجهة أو المكان وهما من العالم ، وهو ما سوى الله تعالى وقد قام البرهان القاطع على حدوث كل ما سوى الله تعالى بأجماع من أثبت الجهة ومن نفاها ، ولأن الممكن يستحيل وجود ذاته بدون المكان مع أن المكان يمكن وجوده بدون الممكن لجواز الخلاء ، فيلزم إمكان الواجب ووجوب الممكن وكلاهما باطل ، ولأنه لو تميز لمكان جوهرآ لاستحالة كونه عرضا ، ولو كان جوهرآ فاما أن ينقسم وإما أن لا ينقسم ، وكلاهما باطل ، فان غير المنقسم هو الجزء الذي لا يتجزأ وهو أحقر الأشياء ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . والمنقسم جسم وهو مركب والتركيب ينافي الوجوب الذاتى ، فيكون المركب ممكنا يحتاج إلى علة مؤثرة ، وقد ثبت بالبرهان القاطع أنه تعالى واجب الوجود لذاته ، غنى عن كل ما سواه ، مفتقر إليه كل ما عداه ، سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير هذا وقد خذل الله أقواما أغواهم الشيطان وأزلهم اتبعوا أهواءهم وتمسكوا بما لا يجدى فاعتقدوا ثبوت الجهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، واتفقوا على أنها جهة فوق إلا أنهم افترقوا فمنهم من اعتقد أنه جسم مماس للسطح الأعلى من العرش وبه قال الكرامية واليهود ، وهؤلاء لا نزاع في كفرهم ، ومنهم من أثبت الجهة مع التنزيه ، وأن كونه فيها ليس ككون الاجسام وهؤلاء ضلال فاسق في عقيدتهم ، وإطلاقهم على الله مالم يأذن به الشارع ، ولا صرية أن فاسق العقيدة أقبح وأشنع من فاسق الجارحة بكثير سيما من كان داعية أو مقتدى به . ومن نسب إليه القول

بالجهة من المتأخرين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تیحیة الحرانی الحنبلی
الدمشقی من علماء القرن الثامن ، فی ضمن أمور نسبت إليه خالف الأجماع فیها
عملاً برأیه وشنع علیه معاصروه بل البعض منهم كفروه ، ولقی من الذل والهوان
مالتی ، وقد انتدب بعض تلامذته للذب عنه وتبرئته مما نسب إليه وساق له
عبارات أوضح معناها ، وأبان غلط الناس فی فهم مراده ، واستشهد بعبارات له
أخرى صريحة فی دفع التهمة عنه ، وأنه لم یخرج عما علیه الأجماع ، وذلك هو
المظنون بالرجل لجلالة قدره ورسوخ قدمه ، وما تمسك به المخالفون القائلون بالجهة
أمور واهية وهمية ، لا تصلح أدلة عقلية ولا نقلية ، قد أبطلها العلماء بما لا مزيد
عليه ، وما تمسكوا به ظواهر آيات وأحاديث موهمة كقوله تعالى (الرحمن علی
العرش استوی) وقوله (إليه یصعد الـكلم الطیب) وقوله (تعرج الملائكة
والروح إليه) وقوله (أمنت من فی السماء أن یخسف بكم الأرض) وقوله (وهو
القاهر فوق عباده) وكحديث « إنه تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة » وفي
رواية « فی كل ليلة جمعة فيقول هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر
فأغفر له ؟ » وكقوله للجارية الخرساء « أين الله فأشارت إلى السماء » حيث سأل
بأین التي للمكان ولم ينكر عليها الإشارة إلى السماء ، بل قال إنها مؤمنة . ومثل
هذه یجاب عنها بانها ظواهر ظنية لاتعارض الأدلة القطعية اليقينية الدالة علی
انتفاء المكان والجهة ، فيجب تأويلها وحملها علی محامل صحيحة لا تأباها الدلائل
والنصوص الشرعية ، إما تأويلاً إجمالياً بلا تعيين للمراد منها كما هو مذهب
السلف ، وإما تأويلاً تفصيلاً بتعيين محاملها وما يراد منها كما هو رأي الخلف ،
كقولهم إن الاستواء بمعنى الاستيلاء كما فی قول القائل :

قد استوى بشر علی العراق * من غير سيف ودم مهراق

وصعود الـكلم الطیب إليه قبوله إياه ورضاه به ، لان الـكلم عرض يستحيل

صعوده ، وقوله : من فی السماء : أي أمره وسلطانه أو ملك من ملائكته موكل

بالعذاب . وعروج الملائكة والروح إليه صعودهم إلى مكان يتقرب إليه فيه .
وقوله : فوق عباده أى بالقدرة والغلبة فان كل من قهر غيره وغلبه فهو فوقه أى عال
عليه بالقهر والغلبة ، كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان ، أى أنه أقدر منه وأغلب .
ونزوله إلى السماء محمول على لطفه ورحمته وعدم المعاملة بما يستدعيه علو رتبته
وعظم شأنه على سبيل التمثيل ، وخص الليل لأنه مظنة الخلو والخضوع وحضور
القلب . وسؤاله للجارية (بأين) استكشاف لما يظن بها اعتقاده من أينية
المعبود كما يعتقد الوثنيون ، فلما أشارت إلى السماء فهم أنها أرادت خالق السماء
فاستبان أنها ليست وثنية ، وحكم بأيمانها . وقد بسط العلماء في مطولاتهم تأويل
كل ما ورد من أمثال ذلك ، عملاً بالقطعي وحملًا للظني عليه ، فجزاهم الله عن الدين
وأهله خير الجزاء . ومن العجيب أن يدع مسلم قول جماعة المسلمين وأئمتهم
ويعتقد بترهات المبتدعين وضلالهم . أما سمع قول الله تعالى (ومن يتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) فليتب إلى الله
تعالى من تلتخ بشيء من هذه القاذورات ولا يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر
بالفحشاء والمنكر ، ولا يحملنه العناد على التمادى والأصرار عليه فان الرجوع إلى
الصواب عين الصواب والتمادى على الباطل يفضى إلى أشد العذاب (من يهتدى
الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجده وليا مرشدا) نسأل الله تعالى أن يهتدنا
جميعا سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد
وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أملاه الفقير إليه سبحانه (سليم البشرى) خادم العلم والسادة المالكية
بالأزهر عفى عنه آمين آمين ؟

وقول الشيخ رضى الله عنه « وذلك هو المظنون بالرجل لجلالة قدره ورسوخ
قدمه » هو حسن ظن من الشيخ حمله عليه قول هذا التلميذ : والذي يطيل النظر
في كتبه وكتب تلميذه ابن القيم - كما فعلنا نحن - لا يرتاب في قوله بالتجسيم والجهة

والتشبيه ولكنه يتبرأ من اسمه » و يقول بالتنزيه ولكنه إنما يقول بلفظه و يتباعد عن القول بمعناه . وليس أحد أعرف بهذا الرجل من علماء عصره ، ولا سيما الورع الحجة المحقق الامام شيخ الاسلام التقي على بن عبد الكافي وقد كان له معاصرا ورد عليه في حياته و بعد وفاته بعدة مصنفات . و دونك عبارة شيخ الاسلام التقي في هذا المبتدع الغوي في خطبة كتابه « الدررة المضية في الرد على ابن تيمية » في قوله بعدم وقوع الطلاق المعلق على وجه اليمين ، وأنه خرق الأجماع بهذا القول ، و كذب على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . قال رفع الله درجته في المهديين ما لفظه « أما بعد فإنه لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ، و نقض من دعائم الاسلام الأركان والمعاهد ، بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب والسنة ، مظهراً أنه داع إلى الحق هاد إلى الجنة ، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع وشد عن جماعة المسلمين بمخالفة الاجماع . وقال بما يقتضى الجسمية والتركيب في الذات المقدسة ، وأن الافتقار إلى الجزء ليس بمحال ، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى ، وأن القرآن محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن ، وأنه يتكلم ويسكت ، ويحدث في ذاته الارادات بحسب المخلوقات ، وتمدى في ذلك إلى استلزام قدم العالم ، والتزمه بالقول بأنه لا أول للمخلوقات فقال بحوادث لا أول لها ، فأثبت الصفة القديمة حادثة ، والمخلوق الحادث قديماً ، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملة من الملل ، ولا نحلة من النحل ، فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاثة والسبعين التي افرقت عليها الأمة ، ولا وقفت به مع أمة من الأمم همة . وكل ذلك وإن كان كفراً شنيعاً مما تقل جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع » اه
وهي رسالة نفيسة أجاد فيها رضى الله عنه الرد عليه و بيان الحق في المسألة وقد طبعت بدمشق . وفي التحقيق الدقيق الذى قام به العلامة الكوثرى في كتابه تكملة الرد على نونية ابن القيم المطبوع مع السيف الصقيل ما يغنيننا عن الاطالة في شرح حال هذا الرجل وشيعته . أجازنا الله وسائر المسلمين من اتباع الهوى ،

وثبتنا على الهدى بجاه نبيه نبي الرحمة عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأنمى
البركات .

﴿ فصل ﴾

ومجمل القول في هذا الباب أن صفات المحدثات على قسمين : القسم الأول
ما يدل على الحدوث والامكان والافتقار والاحتياج من حيث ذاته وما هيته أو
ملزوماته أو لوازمه المساوية كالكون في الجهة والمكان ، وكالصغر والكبر والجسمية
وقبول الانقسام . فهذا مختص بالكائنات لا يجوز أن يتصف الخالق منه بشيء
ثم منه ما يكون القول به في الله كفرا إجماعا ، ككونه والدًا أو مولودًا أو ذا
صاحبة أو له شريك ونحو ذلك من كل ما النقص فيه ظاهر جلي ، ومنه ما اختلف
في كفر القائل به ككونه تعالى في جهة الفوق ينزل ويصعد ، إلى أشباه هذا مما
يحتاج إلى فضل تأمل : على أقوال ليس هذا محل بسطها ، أرجحها أن ذلك ضلال
وبدعة وفسق شنيع ، أشد من فسق الجوارح بكثير ، . وقد يعذر العاصي في الجهل
ببعض ذلك ، وأما من ارتفعت درجته عن العامية فلا يعذر وإنما يميز ، فإن كان
داعية إلى رأيه كان الذنب أعظم والأمر أخطر — عياذًا بالله من ذلك — والقسم
الثاني : ما لا يدل على ما سبق من حيث ذاته بل من حيث نقصه عن الدرجة العليا
في كماله كالوجود والحياة والعلم والارادة والقدرة وأشبهها من كل صفة هي من
حيث ذاتها كمال . فهذا القسم هو للحق تعالى بالأصالة على أكمل درجاته وأبعدها
عن شوب النقص ، وأرفعها عن الامكان ولوازمه ، واجب بوجوده موصوفه تبارك
وتعالى قديم بقدمه باق ببقائه ، أما ما لاخلق منه فهو له بالمرض حادث فيه باحداث
الحق ممكن غير واجب ، على درجة نازلة لائقة بحال الممكن ، بحيث لانسبة بين
ما تصف به الممكن منه وما تصف به الحق جل وعز ، وأين وجود ممكن حادث
قابل للزوال غير مملوك للمتصف به حين اتصافه به من الوجود الواجب الأزلي
الأبدي الذي يجلي عن الابتداء والانتهاء ، ويرتفع عن قبول الانتفاء ؟ وأين
ما للكائنات من العلم الحادث المخلوق القليل الضئيل من علم الحق الواجب المحيط

الأكل ؟ وهكذا سائر الصفات التي هي من هذا القسم فانتفت المشابهة بين وجودنا ووجوده ، وحياتنا وحياته ، وعلما وعلمه ، إلى سائر هذا النحو من هذه الصفات ، وكذلك قال المحققون : إنه لا مشابهة بين هذا النوع من الصفات للممكن وبين الكمالات التي للغنى الحميد الواجب ذاتا وصفات ، إلا في مجرد الاسم ولا اشتراك إلا في اللفظ فقط . وبهذا يبين لك معنى قوله تعالى في صفة ذاته العلية وكمالاته المقدسة (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (هو الحي) (وهو اللطيف الخبير) (إنه هو السميع العليم) (وهو العليم القدير) (لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) إلى أمثال هذه الآيات الشريفة من كل ما دل على انحصار هذه الصفات فيه عز وجل ، وقصرها عليه . ولبعد ما بين حقائق هذه الصفات في الممكن وحقيقتها في الواجب ، قال بعض الفضلاء إن إطلاق الوجود والحياة والعلم ونحوها على ما للممكن ما هو إلا بالمجاز .

﴿ مطلب في بيان وحدة الوجود ﴾

ولذلك أيضا قال كثير من صفوة العارفين بوحدة الوجود ، والكمالات الراجعة إلى جهات الوجود ، كالحياة والعلم ، لا على المعنى الذي تفهمه الزنادقة ، ويدعو إليه الاباحيون ، بل على معنى أن وجود الممكن وحياته وعلمه إلى آخره ، بالإضافة إلى وجود الحق وحياته وعلمه ، وسائر كمالاته يكاد يبلغ حد العدم . والتعريج في تفسير الوحدة على غير هذا دخول في مسالك ضيقة ، وسلوك في مضائق تفضي إلى أخطار تجل من أصيب بها دار البوار ، نسأل الله السلامة . وأرجو بعد هذا البيان لهذين القسمين أن تكون قد تكشفت لك تلك المغالطة التي كثيرا ما توجد في كتب الحشوية ، ويفوه بها بعضهم الآن في مناظرة أهل السنة ، وأن يكون قد افتضح لك أمرها وبان عوارها ، وهو قولهم إن الوجه والعينين واليدين والقدمين والساق صفات كما أن الحياة والعلم والأرادة والقدرة صفات ، وقد

قلتم بها في ذات الله ، فلماذا لا تقولون بتلك الصفات الوجه وماذ كرمعه ؟ (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) ؟ فكما قلتم له علم لا كالعلم ، وقدرة لا كالقدرة ، فقولوا له وجه لا كالوجه ، ويد لا كالأيدي ، ورجل لا كالأرجل وساق لا كالسوق ، ويتوسعون في ترويح هذا الكلام بما شاء لهم الهوى وأشربوا في قلوبهم من التجسيم والتشبيه ، حتى انخدع بهذا الكلام من أهل الفضل من تروج عليه الخيل ، ويفره الزخرف من القول ، ويزيد في رواج هذا الزخرف أن هذه العبارة (له وجه لا كالوجه) توجد من بعض الأكارب المنزهين للحق عن الأجزاء والجسمية كما هو الحق ، وهي من الحشوية مغالطة مفضوحة وباطل مكشوف للناقد البصير ، فإن الوجه والعين واليد والرجل والساق أجزاء وأعضاء وأعضاء لما هي فيه من الذوات ، لا معان وأوصاف تقوم بموصوفاتها ، فإن هي مما ألحقوها به من الحياة والعلم والأرادة والقدرة ؟ وهل هذا إلا كتشبيه العالم بالعلم والابيض بالبياض ؟ وهل تسميتهم لها بالصفات إلا ستر لموقفهم من التشبيه بما لا يسترهم عن ذوى الأنظار النافذة . وتحجب عن سهام النقدة من أهل السنة الراسخين في علم الكتاب العزيز بنسج العنكبوت ، وهو كما علمت لا ينفعهم ولا يدفع عنهم منها شيئاً ، فإن تهرب منهم متهرب - وكثيراً ما يفعلون - فقال : إنا لا نريد بالوجه وأخواته ما هو أجزاء وأعضاء ، بل نريد ما هو صفات حقيقة كالعظمة والملك والبصر والقدرة ونحوها ولكننا لانعين المراد ، قلنا : مرحباً بالراجعين إلى الحق ، وبشرى بالرجوع إلى صميم الإسلام ولب العلم ، والسلفية الحققة ، ولا نزاع بيننا وبينكم فقد انصرفت عن الحشوية ، ولكنهم والأسف ملء فؤاد ناعليهم ، على ذلك لا يثبتون ، وما أمرع ما تراه إلى القول بالتجزئة والتشبيه يرجعون ، فنعوذ بالله تعالى من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

﴿ تنبيه مهم ﴾

إذا سمعت في عبارات بعض السلف إنما تؤمن بان له وجهها لا كالوجه ويداً

لا كالأيدي فلا تظن أنهم أرادوا أن ذاته العملية منقسمة إلى أجزاء وأبعاض . فجزء منها يد وجزء منها وجه غير أنه لا يشابه الأيدي والوجوه التي للخلق حاشاهم من ذلك ، وما هذا إلا التشبيه بعينه ، وإنما أرادوا بذلك أن لفظ الوجه واليد قد استعمل في معنى من المعاني ، وصفة من الصفات التي تليق بالذات العملية كالمظمة والقدرة ، غير أنهم يتورعون عن تعيين تلك الصفة تهييها من التهجم على ذلك المقام الأقدس ، وانتهز المجسمة والمشبهة مثل هذه العبارة ففرروا بها العوام ، وخذعوا بها الأغمار من الناس ، وحملوها على الأجزاء فوقعوا في حقيقة التجسيم والتشبيه ، وتبرؤا من اسمه ، وليس يخفى نقدهم المزيف على صياغة العلماء ، وجهابذة الحكماء ، ويدلك على إرادة السلف ما قلنا مانقله الذهبي نفسه في كتابه الذي سماه « العلو » عن الامام مالك وشيخه ربيعة ونظرتهما أنهم قالوا حين سئلوا عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ (والكيف غير معقول) وكذلك نقل الذهبي بالسند في هذا الكتاب عن أبي عبد الله الحاكم وأبي زرعة اتفاق جميع فقهاء الأمصار من أهل تلك الأعصار أنهم يؤمنون بهذه الصفات من غير كيف ، فانظر كيف نفوا الكيف مجمعين وهو صريح في أنها ليست أجزاء ولا جسمانية فان الاستواء الجسماني والوجه الجسماني وما إليه لا بد لها من الكيف قطعاً ، إذ هو لازم من لوازم ذاتها لذاتها ، ونفي لازم الماهية لذاتها يستلزم نفيها عند جميع المنصفين من العقلاء الذين لم يصابوا بالأهواء . وانظر كيف سموها صفات ولم يسموها أبعاضاً وأجزاء .

والخلاصة أنه يندفع عنك أيها الطالب لمعرفة مذهب السلف الصالح الوهم بأمرين : إجماعهم على نفي الكيف ، بل تصریحهم بأن الكيف غير معقول . والتسمية لها بالصفات ، والمعجب أن الذهبي ينقل ما هو حجة عليه ، يظن أنه حجة له ، وكذلك يفعل ابن تيمية على ذلك . وي زيد على ذلك كأسلافه نقل الطائمت عن الأئمة بأسانيد فيها القائلون بالجسمية والدعاة إليها . وما أوسع (٧ - فرقان)

ما قال الامام المحدث جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة في كتابه الذي صنفه في الرد على جهلة الحنابلة المسمى (دفع شبه التشبيه) حيث قال : « وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرتهم في سبعة أوجه » وعدها إلى أن قال « والسابع أنهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحس ، فقالوا ينزل بذاته ؛ وينقل ويتحول ، ثم قالوا لا كما يعقل فغالطوا من يسمع ، وكابروا الحس والعقل ، فحملوا الأحاديث على الحسيات فرأيت الرد عليهم لازماً لئلا ينسب الامام أحمد رحمه الله إلى ذلك » اهـ والمصنفون الذين ذكروهم هم الحسن بن حامد وتلميذه أبو يعلى محمد المشهور بابن الفراء ، وهو غير الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي صاحب المسند ، وأبو الحسن علي الزاغوني وهو من شيوخ المصنف ، وقد قال فيهم قبل ما نقلناه عنه بورقتين « إنهم صنّفوا كتباً شأنوا بها المذهب » - يعني مذهب الامام أحمد - ورأيهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس « إلى إن قال « ثم إنهم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل » إلى أن قال « ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى » الخ . وهو كتاب لا يستغنى عنه من ابتلى بصحبة مبتدعة عصرنا من هذا الصنف بصرهم الله . وقد مر لك في هذه الرسالة من تلك النصوص الشريفة الصارفة عن الظواهر الحسية إلى المعاني اللائقة بالذات العلية ما فيه المقنع إن شاء الله

﴿ فصل ﴾

(فيما يختص به عز وجل من الصفات الواجبة له على ما يدل عليه القرآن

العظيم ويشهد به كل ذي عقل سليم)

قد سبق القول أن ما عده عز وجل منه ما هو ممكن بالبداهة ، ومنه ما هو ممكن بالنظر الصحيح ، ودللك على براهين العقل والنقل على ذلك من القرآن المجيد ،

وأن ما اختصت به من الصفات ينادى بحدوثها ، وحدوثها يدل دلالة لا لبس فيها على إمكانها ، وأن الممكن لا يترجح وجوده على عدمه ، ولا يبرز من العدم إلى الوجود إلا بمن علا عن دوائر الامكان ، وثبت له وجوب الوجود ولو ازم ذلك الوجود الواجب ، وتقرر أن وجود الممكن مرآة للواجب جل شأنه ، فأول ما يترأى لك في مرايا الممكنات من صفاته عز وجل هو وجوب وجوده . والقرآن الكريم قد أفاد هذه الصفة العلية له عز وجل في مواضع كثيرة جداً بأساليب رائعة متنوعة ، وعبارات تترى إلى القلوب من الآذان بلا استئذان ، فمن ذلك قوله عز وجل (كل شيء هالك إلا وجهه) وقد سبق في المقدمة بيانه مستوفى ، ومن ذلك قوله عز وجل (هو الأول والآخر) وهي جملة معرفة الطرفين ، فهي تفيده أن الأول هو لاسواه ، وأن الآخر هو لا غيره ، ولا يكون ذلك كذلك إلا إذا كان الوجود لازماً له بلا ابتداء ولا انتهاء ، وذلك هو معنى وجوب الوجود . ومن ذلك قوله تعالى (الله خالق كل شيء) والخالقية للأشياء لا تكون إلا وصفا لمن وجب وجوده ، فإن الممكن لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً . ومن ذلك قوله تعالى وهو أظهر وأبهر وأجمع لمعالي الكمالات الربانية ، ونفى سمات الحدوث والامكان عنه (إن الله هو الغني الحميد) وقد زاده تأكيداً حيث قال في آية أخرى (وإن الله لهو الغني الحميد) فجعل الفقر لكل ما عداه ، والغنى كله في أعلى درجاته له دون ما سواه ، تلك كلمة أجمع كل العقلاء عليها وإن تقاصر بعضهم عن العلم بكثير مما انطوت عليه ، فضلوا وأضلوا ، فانها تدل بأجلى بيان على وجوب وجوده تعالى ولو ازم هذا الوجود من القدم والبقاء ونفى سمات الحدوث من الصغر والكبر والكون في الجهة والمكان إلى آخر ما عددنا في الفصول السابقة ، فان للواجب أحكاماً لا تنفك عنه من حيث هو واجب . فمنها القدم والبقاء فانهما لو انتفيا أو أحدهما فكان هذا الوجود ممكناً ، فان ما ليس بقديم هو الحادث ، وقد سبق لك صراحة

أن الحادث لا يكون إلا ممكناً ، وكذلك ما يقبل الفناء ، فان وجوده لا يكون لازماً من لوازم ذاته لذاته ، فيكون ممكناً لا محالة ، وقد ثبت للحق وجوب الوجود فوجب له القدم والبقاء ، ومن أحكام الواجب الوحدة في ذاته بمعنى نفى التركيب عنه ، ونفى الامتداد وقبول الانقسام ، فانه لو تركب تعالى لكان في حاجة إلى الأجزاء التي يتركب منها ، وإلى من يركبه ، وذلك من سمات الحدوث ، والحدوث فرع عن الامكان . وقد دل الكتاب العزيز والعقل الصحيح على أنه واجب الوجود . ولا يكون الحق تعالى صغيراً ولا كبيراً كالأجسام ، ولا يجوز عليه الامتداد ولا قبول الانقسام ، ولا الجسمية ولا شيء مما يستلزمها من المقادير والجهات والأمكنة ، وإلا لتطرق الحاجة إليه ، وكيف وهو الغنى الحميد على الاطلاق . وهذه الكلمة الشريفة ليس فيها ذلك فقط بل فيها أن له الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام في أكل مراتبها وهي المرتبة اللائقة بوجوب وجوده عز وجل . ووجوب الوجود يستدعي وحدانيته عز وجل في الألوهية وخصائصها . ودونك آيتين كريمتين تجمع إحداها صفات الجلال ، والأخرى صفات الكمال التي يجب إثباتها لذي الجلال والاكرام . فأولاهما قوله تعالى : (ليس كمثله شيء) والأخرى قوله عز وجل (وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) فقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) نفت أن يكون له شبيهه على أبلغ وجه بطريق الكناية ، فان معناها المراد : ليس كـهـ شيء ، وليس معناها أن له مثلاً ولا يشبهه المثل شيء فهذا ما تأباه اللفظة كل الأباء . فان العرب تقول : مثلك لا يبخل ومثلك من يجود ، وهي تريد نفي البخل عن المخاطب ، وإثبات الجود له ، ومن لم يتضلع من علم العربية وأسرار بلاغتها ضل في فهم الكتاب العزيز ضلالاً بعيداً . وهو يحسب أنه على هدى مستقيم : وقوله جل شأنه : « وله المثل الأعلى » دل على أنه المتصف بكل كمال يليق بقدس ذاته وجلالة صفاته ، والمثل هنا بمعنى الوصف المعجيب الشأن ، وقد وصف

بالأعلى وهو من علو الرتبة ، وقدم فيه الخبر للإشارة إلى الاختصاص ، وتمم الكلام بقوله في السموات والأرض ، لأيضاح أن اختصاصه بذلك أمر ظاهر في العوالم كلها ، نادى به لسان حالها ، ونطق به مؤمنوا أهلها . وغير خفى أن هذه العبارة التي لا يفي التعبير ببيان منتهى جزالتها وارتفاع بلاغتها ، تدل ذا اللب على اتصافه تعالى بالوجود الواجب ولوازمه من انتفاء الأولية والتعالى عن النهاية ، والتقديس عن سمات الحدوث ولوازم الأماكن : من الحدود والمقادير والأمكنة والجهات والانفراد بما ذكر ، وبالحياة المستغنية عن النفس - بسكون الفناء - والنفس بفتحها ، والعلم الأكل المحيط ، والأرادة النافذة ، والقدرة التامة المقدسة عن الحاجة إلى الآلات ، والحكمة الشاملة والسمع والبصر والكلام المتعاليات عن الجوارح والقيود التي تكون في المحدثات الخ ، ما فصله علماء التوحيد في المطولات . شكر الله سعيهم . وبهذا كله تعلم وفقك الله أن ما اتفق عليه أهل الحق مما أشرنا إليه في هذه الرسالة من وجوب تنزهه سبحانه عن أضداد تلك الكمالات العليا ، ووجوب اتصافه بما دخل من الصفات في المثل الأعلى ، هو ما ينطق به القرآن الحكيم لمن أوتى الفهم فيه من أهل العلم ، فلا يهولنك ما تسمع من تهويش مبتدعة العصر تبعاً لأسلافهم ، بتسمية المنزهين للحق عن الجهة والمكان معطلة وجهمية ، وتلقيب القائلين ببدعتهم بالموحدين والثبتين ، كما لقب المعتزلة أنفسهم بالعدلية ، ولقبوا أهل السنة المحققين المؤمنين بالقدر بضد ذلك اللقب ، فلا يصرفنك النبز بالألقاب إلى الانحراف عن الحق الصراح الذي أرشد إليه كتاب الله وأوضحه أئم إيضاح .

﴿ فصل في الوحدانية وأن دليل القرآن عليها برهاني لا خطابي ﴾

اعلم أن التوحيد الذي جاءت به المرسلون وبينه خانهم عليه وعليهم الصلاة والسلام أتم بيان ، ونطق به القرآن وبرهن عليه أسطع برهان ، هو أنه تعالى واحد .

في ذاته واحد في صفاته ، ولا خالق سواه ولا يستحق العبادة إلا هو ، والكلمة الطيبة لا إله إلا الله تتضمن أقسام التوحيد كلها . وقد أحسن البيهقي بيان ذلك في كتابه الأسماء والصفات . أما وحدانيته في ذاته سبحانه فمعناها أن ذاته العلية لا تتركب من أجزاء مادية ولا عقلية ، ولا من أصول غير مادية ، فلا تحوم حول حماها المقادير والمساحات والأشكال ونحوها ، وقد برهنه القرآن ببيان أن له سبحانه الغنى الأكمل ووجوب الوجود . والتركب في الذات واتصافها بالمقدار ولوازمه يستلزمان الحاجة إلى الغير والافتقار إلى السوى ، وينافيان وجوب الوجود ، ويقتضيان الاتصاف بالامكان ، تعالى الله عن ذلك كله ، فهو واجب الوجود ، وهو الأول والآخِر وهو الغنى الحميد ، وقد مر مفصلاً في الفصل الأول من هذا المقصد وفيما قبله من المقدمة . وأما أنه واحد في الصفات فهو أنه سبحانه لا ثاني له في وجوب الوجود وما يستلزمه من الكمالات العليا اللائقة بمرتبة وجوده الأعلى : من الحياة والعلم والارادة والقدرة وسائر ماص من الصفات ، وبينه بعض الأفاضل كما في شرح الداواني للعضدية ، وحواشيه ، بأن كون الشيء منفرداً في نوع من الأنواع بحيث لا يوازيه فرد من أفراد ذلك النوع فيه ، قاض بكونه أكمل في ذلك النوع بالنسبة إلى سائر الأفراد : المعدوم المطلق في المصدم ، والموجود المطلق في الوجود ، والعالم المطلق في العلم ، وهكذا ، فكون الشيء منفرداً في أمر أكمل وأولى بذلك الشيء ، فكون الواجب منفرداً في مرتبة الوجود أو شيء من متعلقاتها ، أكمل له من أن يشاركه غيره في تلك المرتبة ، والواجب يجب أن يكون في أعلى مراتب الكمال لاستغنائاه الغنى المطلق ، فيجب أن يكون منفرداً في جميع الكمالات ، فيكون واحد كل نوع من الوجود ولوازمه من سائر الكمالات ، فلا يكون له مشارك في وجوب الوجود ولوازمه ، فهو واحد والكل دونه . اهـ . وكان هذا البرهان الشريف مقتبس مما أشار إليه القرآن الكريم بقوله (ليس كمثل شيء) وقوله (وله المثل الأعلى في السموات والأرض)

وهو العزيز الحكيم) وقد مر شرحهما قريبا ،
وإذ قد ثبتت وحدانيته فيما ذكرنا أنه لا خالق سواه ولا رب غيره ، لما مر
أن الایجاد والاحداث يستحيل أن يكونا من الممكن فتعين أن يكونا من الواجب
الذي لا شريك له في وجوب الوجود وتوابعه .

﴿ مطلب ﴾

﴿ في بيان أن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية متلازمان لا ينفك أحدهما
عن صاحبه ﴾

وإذا بان أنه لا خالق سواه ثبت قطعاً أنه لا يستحق العبادة غيره ، فإن
توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية - أي استحقاق العبادة - متلازمان عرفاً وشرعاً ،
فالقول بأحدهما قول بالآخر ، والاشراك في أحدهما إشراك في الآخر ، فمن
اعتقد أنه لا رب ولا خالق إلا الله ، لم ير مستحقاً للعبادة إلا هو ، ومن اعتقد أنه
لا يستحق العبادة غيره كان ذلك بناء منه على أنه لا رب إلا هو ، ومن أشرك
مع الله غيره في العبادة كان لا محالة قائلاً بربوبية هذا الغير ، هذا ما لا يعرف في
الناس سواه ، فإن ما لا تعتقد له ربوبية استحالة أن يتخذ معبوداً ، ولهذا نجد
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن أرسلهم جل جلاله يكتفون في الدعوة إلى
التوحيد بأحدهما ويضعون كلامهما موضع الآخر ، اكتفاء بشدة التلازم
بينهما في العقول ، وأن القول بتوحيد الربوبية هو إقرار بتوحيد الألوهية وبالعكس
وإليك البيان من القرآن والسنة : أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم
وأشهدهم على أنفسهم ، فماذا كانت صيغة العهد بنص القرآن ؟ هكذا (ألسنت
بربكم) ولم يقل بآلهكم ، وجعله سبحانه حجة على من أشركوا به في العبادة
حيث قال (أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك
آبائنا من قبل) الآية . أليس هذا صريحاً في أن أخذ العهد بتوحيد الربوبية
هو أخذ للعهد بتوحيد العبادة ؟ هذا ما لاخلاف فيه بين العلماء من زمن الصحابة

إلى عهدنا هذا ، بله رجلاً كان في القرن الثامن الهجري وشايعة من انخدع بأرائه ،
ماذا قال نبي الله نوح لقومه الوثنيين ؟ فقلت استغفروا ربكم ، وأقام لهم
البرهان على توحيد الربوبية ، لما تقر في عقول الناس أنها لا تعبد غير الله إلا
إذا أشركت هذا الغير في الربوبية ، فإذا انمحي عنها هذا الاشرار تبعه التوحيد
في العبودية . ماذا قال إبراهيم لذلك الذي حاجه في ربه ؟ قال ربي الذي يحيي
ويميت ، وقال عليه السلام لقومه تنزلاً معهم ليهديهم إلى الحق : هذا ربي ، هذا
ربي ، ولم يقل إلهي ، وكان نهاية الحجة أن قال (إني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والأرض) وما هذا إلا توحيد الربوبية المستلزم في كل عقل إذا سلمه
توحيد الألوهية . وقال الخليل عليه السلام أيضاً لعباد الأصنام : (بل ربكم رب
السموات والأرض الذي فطرهن) الآية . أليس هذا إضراباً إبطالياً لما اعتقدوه
من ربوبية الأصنام ؟ وأقام الدليل الحسي عليه السلام على عجز الأصنام بتكسيه
إياها بياناً لعباديتها أنها لو كانت أرباباً كما اعتقدوا الاستطاعت الدفع عن نفسها ،
فإذا بطلت ربوبيتها زالت عن المخاطبين عبادتها ، وذلك جلي لا يخفى والمناقشة
فيه مكابرة . وقال موسى وهارون عليهما السلام : إنا رسول رب العالمين . ولما
سألها قال رب السموات والأرض وما بينهما ربكم ورب آبائكم الأولين رب
المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون . وقال فرعون مرة : ما علمت لكم
من إله غيري ، وقال أخرى : أنا ربكم الأعلى ، ويقول الله لعيسى بن مريم : أنت
قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ فيقول بعد كلام حكاة عنه التنزيل
ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم . فلو كان توحيد الربوبية
لا يستلزم عندهم توحيد الألوهية كما زعم الخراصون لتوجه على المسيح عليه
السلام أن يقال له : ما أديت رسالتنا فانا إنما أرسلناك بتوحيد الألوهية ، ولم
تكلفك ببيان توحيد الربوبية لأنهم مقرون به ، ولكننا نرى الله تعالى قد قبل
عنه هذه الحجة أفلا يكون في ذلك على ما نقول أبين حجة وعنه عليه السلام

في موضع آخر من الكتاب العزيز : وإن الله ربي وربكم فاعبدوه . بقاء
للتفريع والترتب المفيدة للاستلزام ، ويقول القرآن فيما أمر به الرسول الأعظم
تارة : قل أعير الله أخذ وليا؟ أي معبوداً ، وأخرى . قل أعير الله أبني ربا وهو
رب كل شيء؟ وحديث المسألة في القبر الذي يكاد يبلغ حد التواتر المعنوي
مشهور ، وفيه أن الملكين يقولان للبيت : من ربك؟ ولا يقولان من إلهك؟
فاذا أجابهما : « الله ربي » اكتفيا منه في التوحيد بهذا الجواب ، ولم يقولوا له
هذا توحيد الربوبية وهو لا ينجيك ، فأول ما خاطب الله الأرواح قال ألسنت بر بكم
و ا كتفي منهم بالاقرار بوحدانيته في الربوبية ، وأول ما تسأل الموتى في قبورها
من ربك؟ و ا كتفي منهم بالاقرار بأنه ربهم ، أفبعد هذا يتشكك متشكك؟
ولكن الله يهدي لنوره من يشاء

وكذلك رتب القرآن الوازم الفاسدة على نفي الوحدانية في الألوهية بيانا
منه تعالى أن الشركة في الألوهية تستلزم الشركة في الربوبية عند المشركين لا
محالة ، تعالى الله أن يكون له شريك ، فانظر ماذا قال سبحانه (وما كان معه من
إله إذا ذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحانه الله عما يصفون)
ومعناه عند أولى النهي : أنه لو كان معه إله لكان ربا وخالقا ، ولو كان معه ذلك
لذهب الخ وإنما يكون الدليل تاما إذا صحت الملازمة وكانت مسلمة عند المخاطبين ،
ويأبى الله أن تكون حجته إلتامة (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) ومعنى هذا
أن القرآن يقرر أن من أشرك في استحقاق العبادة كان مشركا لا محالة في الربوبية
وكذلك قال تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ولم يقل أرباب لتلازم
الربوبية والألوهية نفيًا وإثباتًا . وتقر برهنا البرهان الشريف : أنه لو كان معه شريك
في الألوهية لكان شريكا في كونه ربا وخالقا ، ولو كان كذلك لكان شريكا
له في وجوب الوجود ، ولو كان ذلك كذلك لفسدت العوالم ، ولما كان لها نظام ،
بل ما كان شيء منها وجود ، فهنا ثلاث ملازمات ، و بيان الأولى منها ما نقرر

في العقول من أن ما كان ربا كان إلهها وبالعكس ، ولا يعرف العقلاء سوى هذا ،
ولولا مشاغبة هذا المجترح لهذه البدعة وفريق الخدوعين برأيه لكان الكلام
في إيضاحها ضربا من العبث . وبيان الملازمة الثانية ما تقدم من أن الممكن لذاته
لا يملك الوجود فضلا عن الایجاد ، فمتى كان الشيء خالقا وموجدا كان لا محالة
واجبا لا ممكنا ، وقد فصلناه فيما سبق وقررناه وكررناه . وأما بيان الملازمة الثالثة
وهي أنه لو تعدد واجب الوجود ما كان هذا النظام ، بل ما كان وجود لكائن
من الممكنات ، فإنه محتاج إلى شيء من البسط ، فافتح قلبك واستمع بالله ثم
انظر معي إلى ما تعرف من الحقائق ولو ازمتها ، فستجد أن الحقائق إذا اختلفت
كانت لوازمها مختلفة لا محالة ، كالحار يلزمه التسخين ، والبارد يلزمه التبريد ،
وإذا وجدت لازما واحدا لحقيقتين فلا يكون لازما لهما من حيث ما اختلفا فيه ،
بل هو لازم لهما من حيث ما اشتركا فيه ، فهو إذاً ليس لازما ، إلا للأمر الأعم
المشترك بينهما ، كالتحرك اللازم للإنسان وغيره من الحيوان ، فهو لازم لهما من
حيث الأمر الأعم وهو الحيوان ، فإن حقيقة الإنسان وسواه من مشاركيه في
الجنس مركبة مما به الاشتراك وما به الامتياز ، ثم اللوازم منها ما يكون لا يخرج
عن الشيء وتسمى عرضية ، ومنها ما يكون لذات الشيء لا لأمر خارج وتسمى ذاتية
فما لزم الحقائق من حيث ما به اختلافها كان مختلفا غير متحد . وقد أراك الله ذلك
فيما خلق ، فترى لكل شخص شكلا خاصا ، وترى للبياض لوازم تخصه ، وللأسود
لوازم تخصه ، ولكل عنصر ولكل مركب خواص تباين خواص الآخر غير أنه ليس
في الممكنات الموجودة من ذوات ولوازم إلا ما هو بالجعل كما قدمناه مفصلا في بحث
الممكنات ، وقررنا هناك أن اللازم في الأغلب عادي ، ومن أجل هذا جاز
التخلف ، ولكننا ذكرنا ذلك هنا لترقى به إلى ما سنلقى عليك وهو أن الواجب
لا يجوز في حقيقته التركيب ، فإن التركيب من لوازم الأمكان كما مر ولا يكون له
شيء بالجعل ، وإلا كان ممكنا بالبداهة ، وقد سبق أن الواجب له الغنى الأتم

فكالاته اللائقة بمرتبة وجوده لا تكون إلا لوازم ذاتية هي له بمقتضى ذاته وموجب حقيقة الخاصة . إذا فهمت هذا وأتقنته حق إتقانه تبين لك أنه لو تعددت ذوات واجب الوجود لكانت مختلفة كل الاختلاف متباينة كل التباين لأنه لا تركيب في حقيقة الواجب ، حتى يكون هناك ذاتي يُشترك فيه ، ولوازم حقيقة الواجب ذاتية ، فيكون لكل واجب لوازم تخصه وكالات هي له بمقتضى ذاته المتباينة لذات الآخر ، ومتى اختلفت الحقائق كل الاختلاف تبعها اختلاف لوازمها وتباينها كل التباين ، ومن كالات الواجب ولوازمه الذاتية العلم والارادة والقدرة كما أسلفنا ، وفعل كل إنما يكون بالقدرة على حسب الارادة ، والارادة على وفق العلم ، ووجود الكائنات ونظامها إنما هو بحسب ذلك ، فلو كان في الوجود أكثر من واجب لتخالفت علومهم وإراداتهم حسب اختلاف حقائقهم ، وهذا اختلاف ذاتي يستحيل معه الوفاق ، ولو كان كذلك ما اتحد هذا النظام الذي تراه ، بل كان مختلفا مضطربا بل لما وجد نظام ، بل لما وجد ، كائن من الكائنات لان السطة على كل ممكن عامة والممكن من حيث ذاته قابل للتأثر والقوى في الواجبين متكافئة متدافعة متشاكسة فأنى يوجد كائن ؟ وهانت ذاتى النظام مؤتلفا غير مختلف ، مرتبطا غير مفكك ، أفلا ينطق ذلك بوحداية واجب الوجود في ذاته العلية وكالاته المقدسة التي لا تصح إلا له بمقتضى ذاته وموجب حقيقة ، بلى ، فتعالى الله عما يشركون . وربما احتاج غير اللبيب في هذا المقام : إلى أبسط من هذا البيان ، لكن مقام هذا الوجيز لا يسمح بأكثر من هذا ، وفيه لدى اللب مقنع إن شاء الله تعالى .

وبما سلف من التقرير تعلم أن هذا الدليل القرآني على الوحدانية برهاني تام لاخطابي إقناعي ، وهو الذى عليه المحققون من فرسان المعقول والمدققين في فهم المنقول ، حتى شننوا على العلامة سعد الدين التفتازانى في قوله بأنه خطابي ، وبعد فلا يخفاء على من تدبر كتاب الله في أن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

متلازمان في نظر العقل والشرع ، فالقول بأحدهما قول بالآخر ، وانتفاء أحدهما في اعتقاد من اعتقد الانتفاء قول منه بانتفاء الآخر ، والبرهنة على أحدهما هو استدلال على الآخر ، والقول بأن المرسلين عليهم الصلاة والسلام ما جاءوا بتوحيد الربوبية لأن الناس كانوا في غنينة عن بيانه ، وما جاءوا إلا بتوحيد العبادة احتجاجاً ببعض الآيات التي لم يحسنوا فهمها ، قول بما تكذبه نصوص الكتاب العزيز ، ودعوى يدحضها العلم بتاريخ المشركين قديمه وحديثه ، ما حكاها الكتاب العزيز من ذلك وما علمه الناس . هؤلاء المفتنون بفتنة السامري من بني إسرائيل أشركوا العجل في عبادة ربهم ، فقال لهم نبي الله هارون بصيغة الحصر (وإن ربكم الرحمن) يعني لا هذا العجل ، فهل يصح منه عليه السلام هذا الكلام إلا إذا كان إشارتهم في العبادة مبنياً على الأشراك في الربوبية ؟ اللهم إن القول بخلاف هذا معاندة للحق ، وانقياد لمحض الهوى ، وصح أن سألناه سألناه عليه الصلاة والسلام عن وصية موجزة كافية لا يسأل بعدها أحداً غيره ، فقال له : بأبي هو وأمي ، عليه الصلاة والسلام (قل ربي الله ثم استقم) فلو كان كما يقول ذلك المفرق بين التوحيدين الذي استُجِلَّت بناء على فتياه هذه دماء لا نحصى ، حقنها الإسلام وحرمها الله ورسوله ، لكانت هذه الوصية غير كافية مؤدية لما جاء به المرسلون ، وحاشاها من ذلك ، كذلك قال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) الآية ، وهذه العبارة في موضعين من كتاب الله تعالى : في سورة حم السجدة وسورة الأحقاف وقد رتب السعادة كلها على الاستقامة المبنية على قول (ربنا الله) دون أن يقول إلهنا ، فهل بعد الله ورسوله لأحد من قول ؟ (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) ومنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى في الخاتمة عند بيان معنى العبادة شرعاً . وإني لعملي ثقة أن هذا البيان كاف إن شاء الله لمن نور الله بصيرته ، ولم يستفحل به داء البدعة أجارنا الله منها وإياكم أهل السنة . وإن أضعاف هذا البيان لا يكفي من أشربوا في قلوبهم حب

الانحراف عن جماعة أهل الحق ، وأغرموا بالتشنيع على جماهير المسلمين
وتكفيرهم ونزأ كبارهم من العلماء العاملين وأهل السنة المحققين ، بأنهم أئمة الكفر
والهادمون للإسلام ، والمنابدون للسنة والقرآن ، والخائنون لدين الله ، إلى
أشبه ذلك مما يعبس له وجه الأسلام ، وتغضب له الحقائق ، ويلقى بذور
الشقاق بين الأمة ، التي وحده الأسلام الصحيح بينها ، وأوصى الأسلام أهله
بالمحافظة عليها - أعنى تلك الوحدة - فنسأل الله الكريم بنبيه العظيم نبي الرحمة
أن يلهم جميع الأمة الرشيد حتى تجتمع ولا تتفرق ، وتتحاب ولا تتباغض .
إنه ذو الفضل العظيم .

﴿ فصل ﴾

﴿ فيما يوهم التشبيه عند العامة من ظاهر الكتاب والسنة ﴾

سبق لك في فصول هذا المقصد أن القرآن يدل صراحة أن كل مقدر
مخلوق ، وأن كل ما في المادة من الصفات كالصغر والكبر وقبول الانقسام
والكون في الجهة والمكان والعلو والنزول والتجزؤ وغيرها مما مر إنما هو من
علامات الحدوث وسمايات الامكان ، وبدينا دلالة الكتاب العزيز على ذلك دلالة
لا اشتباه فيها ولا التباس ، إلا على من نبذ الفهم وأطاع الوهم واتبع الوسوس
أو قلد متبعميها وتقدم أيضاً أن الاتصاف بالخالقية يدل على التنزه عن الامكان
وعن كل ما يستلزمه ، ويقتضى الاتصاف بوجود الوجود وما يستتبعه ، وأرى أنك
كيف يفيد القرآن ذلك على أوضح وجه وأبينه ، فيكون ما أجمع عليه أهل الحق
من علماء السلف والخلف من تنزه الحق عن الجهة وتقديسه عن المكان وتعاليه
عن التجزؤ والتبعيض والصعود والنزول والقرب واليعد والذهاب والمجئ
والحركة والسكون وما أشبه ذلك ، ما أجمع عليه أهل الحق من تعالي الملك
القدوس عن ذلك كله ، ليس هو مما أخذته العلماء من فلسفة اليونان ، كما يشنع به على

القوم ابن تيمية وإنما هو من حكمة القرآن وفلسفة الاسلام لمن فقه في دين الله وأحسن تدبر كتابه كما تقدمت الشواهد على ذلك من الكتاب العزيز مشروحة مبسوطة . وهذا هو السر الذي جعلهم رضى الله عنهم في اتفاق على أن كل ما دل من الكتاب والسنة بظاهرة على ما هو من صفات الجسم وسماه الحدوث ، فهو مصروف عن هذا الظاهر قطعاً ، لا خلاف في ذلك بين علماء الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أهل الفقه في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، سلفاً وخلفاً ، وحجتهم في ذلك في كتاب الله واضحة ، وأدلتهم عليه في آيات القرآن لأئمة ، والبراهين العقلية الصحيحة به ناطقة مفصحة ، وقد أسلفنا منها في هذه الرسالة الشيء الكثير البين فلا نعيده ، فكان ذلك قرائن صارفة لهذه النصوص عن هذه الظواهر ، إلا أن الغالب على أكثر السلف الكف عن بيان المعنى المراد اللائق بالحق تعالى من هذه النصوص ، والامسك عن تعيينه ورعاً وتهيّباً لذلك المقام الأقدس ، لا سيما إن كان اللفظ الشريف يحتمل بمقتضى اللغة معنيين أو أكثر كل منها لائق بالجناب الأقدس ، وكفناً لمن لا يعرف شروط التأويل عن الخوض فيما لا يحسنه ، فإن العامى الجاهل إذا سمع من العالم تأويلاً لكلمة يوجب العلم صرفها عن ظاهرها ، سوغ لنفسه أن يقول بغير علم بما شاء له الهوى في الكتاب والسنة ، فضل ضلالاً بعيداً ، فسدوا الذريعة وحسموا المادة وأوصدوا الباب في وجوه العوام حتى لا يتهجم منهم منتهجم على حرّم الآيات والأحاديث الممنوع على أمثاله ، لعدم اتصافه بالمؤهلات التي يفرق بها بين ما يجوز من التأويل وما لا يجوز منه ، ولذلك كان الكثير منهم يقول « تفسيرها قراءتها » ويقولون : أمرؤها كما جاءت من غير كيف . فقولهم رضى الله عنهم من غير كيف ، ونهيبهم عن التفسير ، صريح في صرفها عن المعنى الظاهري التشبيهي ، الذي يتبادر إلى ذهن العامى ، وإلا فلو كان هذا المعنى مراداً ومعتقداً للسلف كما يصرح به أدعياء السلفية ، لفسروا ولما نهوا عن التفسير ،

ولما نفوا السكيف كما هو واضح ، ولحجة الأسلام الغزالي رضى الله عنه كتاب نفيس فى هذه المسألة سماه « إجماع العوام عن علم الكلام » أفاد فيه وأجاد كعادته جزاه الله خير الجزاء ، لا غنى لمن يريد تحقيق هذا المقام عن مطالعته ومذاكرته .

﴿ فائدة مهمة ﴾

إن أهل العلم مع نقلهم عن أكثر السلف القول بالصرف عن الظواهر وعدم الخوض فى بيان المعنى المراد ، اختلفوا هل يسمى هذا الصرف مع عدم تعيين المراد تأويلاً ، أولاً يسمى ذلك تأويلاً حتى يعين المعنى المراد ؟ وبالتالى قال كثير من أهل العلم ، فانهم رأوا أن التأويل هو بيان المعنى الذى يقصد من الكلام فاذا صرف الكلام عن الظاهر فقط وفوض المعنى المراد إلى قائله لم يسم تأويلاً . والامر فى ذلك هين ، فان الصرف عن الظاهر متفق عليه سمي تأويلاً أم لا ، فتفتن لهذه الفائدة ، فان مما يوهبه المبتدعة لاسيما ابن تيمية ، نقل نفي التأويل عن السلف يلبس بهذا النقل على القاصرين عن معرفة هذه المسألة ، ويوهمهم أن السلف يحملون هذه الالفاظ على ظواهرها ، وحاشاهم من ذلك ، وإنما معنى ما نقل عنهم أنهم لا يعينون المعنى المراد ، مع الصرف عن الظواهر .

﴿ بيان ما دعا الكثير من علماء السلف والخلف إلى تعيين المعنى المراد ﴾

ولما كثر الجاهلون الذين لا خبرة لهم بما أشار إليه القرآن من أصول الدين فى باب التنزيه ، وكانوا قد جمعوا من الحديث ، ولم يكن لهم من الورع ما يحملهم على الكيف عن تفسير هذه النصوص ولا من الفقه فى لغة العرب ما يتنبهون به إلى غير ما يتبادر إلى أذهانهم القاصرة ، اجترؤا على تفسيرها بما ينكره أهل العلم بالقرآن ، وتزيد آخرون فى الرواية لما لا يصح ، اضطر بعض السلف إلى بيان للمعنى المراد على ما يقتضيه اللسان الذى نزل به القرآن ، وتبعهم الكثير من

الخلف ، فان الخطب بالمجسمة والمشبهة كان في أزمانهم أعم وأظم ، وتوسع منهم
ناس في التأويل ، واقتصد آخرون . ومن أحسن ما ينبغي أن يعول عليه في هذا
الباب ، بل أحسنه ما قاله الامام الحجة في المعقول والمنقول سيف الله على المبتدعة
من الحشوية وسواهم « ابن دقيق العيد » رضى الله عنه ، وهو : « أنه إن كان التأويل
من المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف ، وإن كان من المجاز البعيد
الشاذ فالحق تركه ، وإن استوى الأمران فلاختلاف في جوازه وعدم جوازه
مسألة فقهية اجتهادية ، والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين » اهـ . وهذه قاعدة
تنبى عن مزيد فضل واضعها وتضلعه في علم الكتاب والسنة ، وتمكنه من أسرار
هذه اللغة الفصحى التى نزل بها كتاب الله ، فان القول بالتأويل مطلقا بلا قيد
ولا شرط كما يشاء الهوى هو خروج عن المسلة ، ودخول في الكفر والالحاد ،
وأول من ابتدعه فرقة تسمى بالباطنية بدؤا يظهرن فى القرن الرابع ، يزعمون أن
ظواهر الآيات غير مرادة ، فأنكروا كل شىء حتى ما علم من الدين بالضرورة :
وعلى هذا الوتر ضربت الجماعة التى سميت أنفسها إخوان الصفا فألفوا تلك
الرسائل المضافة إلى هذا الاسم ، ودسوا فيها ماشاؤا من الكيد للإسلام وأهله
ثم افترق الباطنية إلى فرق تسمت بأسماء مختلفة ليس هذا محل بسطها ، ومن
أحدثها عهداً فرقة البهائية ، وهم فرقة ينتسبون إلى رجل يقال له مرآزا حسين .
ويلقبونه بالبهاء ، يزعمون فيه ما زعمت النصارى فى عيسى من الألوهية ،
ويكفرون بالقرآن كله ، ويتسترون بالتأويل ، ويزعمون نسخ دين الإسلام
بدينهم الذى ما أنزل الله به من سلطان . وعلى نهج هؤلاء الكفرة سارت فرقة
القديانية إلا أنهم أحذق منهم ضللا وإضللا ، زعموا أن متبوعهم غلام أحمد
القديانى - نسبة إلى قرية بالهند يقال لها قاديان - جاءته النبوة ، وتأولوا ما لا يقبل
التأويل وهو قوله تعالى فى نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام (وخاتم النبیین)
فنعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . وقد ألفت كتب من أكاير الفضلاء

الرد على هذه الفرق ، وإنما سمينا هاتين الفرقتين لوجودهما في عصرنا وارتداد
بعض الجاهلين بمظاهرها ، ونفاقهما . فليعلموا أنهم إذا دخلوا فيهم فقد خرجوا
من الإسلام وإن تسموا بأسماء المسلمين :

ولنعد بك إلى ما نحن بسبيله فنقول : كما أن التأويل بلا قيد ولا شرط
ضلال أى ضلال ، فكذلك الجود على الظاهر وترك التأويل مطلقا فسق وابتداع
وربما أفضى إلى صريح الكفر ، فمن قال في قوله تعالى (ليس كمثله شيء) إن
ظاهرة أن الله مثلا وليس كمثله المثل شيء ، فنقل بظاهرة كما هو ، والصرف عن
الظاهر تأويل ، والتأويل بدعة وكل بدعة ضلالة ، كان مشركا بالله ، كاذبا على
كتاب الله ، خارجا على الإسلام وأهله ، منابذاً للغة القرآن . فالحق الذي لا معدل
عنه هو ما قرره الامام ابن دقيق العيد . ومن تتبع براهين القرآن واستقرأ
آياته العظام ، وجد كثيراً مما تشابه على من ليس في درجته قد صار لديه محكما
وزال عنه التشابه فيه ورأى كثيراً منه من القسم الأول وهو ما كان من
المجاز البين الشائع في لغة العرب ، وعلى قدر الرسوخ في العلم يكون زوال
التشابه أو أكثره عن الكثير من المتشابه . وقد مر نحو من هذا فيما نقلناه عن
ابن جرير في تفسير قوله تعالى (فيتبعون ما تشابه منه) فلا تغفل . ولما كان الراسخون
في العلم متفاوتين لاجرم تفاوتت أنصباؤهم في زوال التشابه عنهم ، وقد جمع كتاب
الاسماء والصفات للأمام الحافظ أبي بكر البيهقي من علم الراسخين ما لم يجمعه
كتاب قبله ، ولذلك ننصح لأهل العلم الذين تأهلوا للغوص على درر الكتاب
والسنة أن يقرأوه ويدعموا مذكراته لاسيما مع التعليقات التي تفضل بوضعها عليه
العلامة المحقق الزاهد حفظه الله . وسندتم هذا الفصل بذكر أمثلة تنبهك على
غيرها إن شاء الله تعالى . قال الله تعالى في عيسى (إذ قالت الملائكة يا مريم
إن الله يبشرك بكلمة منه) وقال (وكلته ألقاها إلى مريم) قد فسرت معناها
الآية القائلة (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) فالكلمة في عيسى عجز
(٢ - فرقان)

مرسل من إطلاق السبب على المسبب ، وقوله تعالى (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) ظاهر أن معناه في حقه وما يتعلق به من أمره ونهيه ، وقوله تعالى في آدم (لما خلقت بيدي) هو كناية عن أنه فاز من عنايته تعالى بما لم يفز به ملك ولا جن . وقوله في آية أخرى في حق آدم (خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) فقد سلك فيه طريق التصريح دون الكناية ، ولكل من التصريح والكناية في الجملتين الشريفتين مقام اقتضاه يعرفه من أنعم التأمل . وقال تعالى : (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) فاسناد النفخ إليه تعالى مجازي فان المباشر للنفخ جبريل عليه السلام وهو المراد بالروح المضاف إليه تعالى للتشريف بدليل قوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) الآيات كما أن قوله تعالى : (ولنجعله آية للناس ورحمة منا) فسر قوله تعالى في عيسى (وروح منه) فان من معاني الروح - بضم الراء - الرحمة . وما أحسن ما أنشد أبو بكر بن العربي في هؤلاء المجسمة المشبهة : -

قالوا الظواهر أصل لا يجوز لنا عنها العدول إلى رأى ولا نظر
بينوا عن الخلق لستم منهم أبداً ما للأنام ومعلوف من البقر
والمحققون من أكابر السلف يسلكون هذا المنهج حيث لا يكون عن التأويل
معدل ، ولا لبقاء اللفظ على ظاهره محل . ودونك كلام ترجمان السلف وإمام
المفسرين أبي جعفر في الاستواء على العرش الذي دندن حوله أدعياء السلف
وأغبياء الخلف ، وتشبهوا به في القول بالجهة والمكان في حق الله تعالى عما
قالوا . ولا أظن منصفاً ينازع في سلفية ابن جرير رضي الله عنه . قال في تفسير
قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) في سورة البقرة وأحال
عليه بعد ذلك تفسير الاستواء على العرش حيث ذكر في القرآن ما لفظه « الاستواء
في كلام العرب منصرف على وجوه : منها انتهاء شباب الرجل وقوته فيقال إذا
صار كذلك : قد استوى الرجل . ومنها استقامة ما كان فيه أو د من الأمور

والاسباب ، يقال منه استوى لفلان أمره إذا استقام له بعد أود - والاولد كالقول
الاعوجاج - ومنه قول الطرماح بن حكيم .

طال على رسم مهدد أبده * وعفا واستوى به بلده

والطرماح بكسر الطاء والراء وشد الميم كسنتار ، ومهدد على وزن جعفر اسم
امرأة - يعنى استقام به . ومنها الاقبال على الشيء بالفعل كما يقال استوى فلان
على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الاحسان اليه . ومنها الاحتياز والاستيلاء كقولهم
استوى فلان على المملكة بمعنى احتوى عليها وحازها . ومنها العلو والارتفاع ،
كقول القائل استوى فلان على سريره يعنى به علوه عليه . وأولى المعانى بقول
الله جل ثناؤه (ثم استوى إلى السماء فسواهن) علا عليهن وارتفع فد برهن
بقدرته ، وخلقهن سبع سموات . والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب
فى تأويل قول الله (ثم استوى إلى السماء) الذى هو بمعنى العلو والارتفاع ، هربا
عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون إنما علا
وارتفع بعد أن كان تحتها ، إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر ، ثم لم ينبج
مما هرب منه فيقال له : زعمت أن تأويل قوله استوى : أقبل أفكان مديراً عن
السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أن ذلك ليس باقبال فعل ولكنه اقبال تدبير ،
قيل له فكذلك فقل علا عليها علو ملك وسلطان ، لعلو انتقال وزوال ، ثم
لن يقول فى شيء من ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله ، ولولا أنا كرهنا إطالة
الكتاب بما ليس من جنسه لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال فى ذلك قولاً
لقول أهل الحق فيه مخالفاً . وفيما بيننا منه ما يشرف بنى الفهم على ما فيه له
الكفاية إن شاء الله تعالى . « فأنت تراه لم يفسر الاستواء على العرش بالجلوس
ولا بالاستقرار بل فسره بعلو الملك والسلطان ، وكذلك فسر العلو فى حق الله
تعالى حيث ذكر من القرآن . وقال رضى الله عنه فى تفسير آية الكرمى « وأما
تأويل قوله (وهو العلى) فإنه يعنى والله العلى ، والعلو الفعيل من قولك علا يعلو

علوا إذا ارتفع ، فهو عال وعلى ، والعلو ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته ، وكذلك قوله «المعظيم» ذو العظمة الذي كل شيء دونه فلا شيء أعظم منه . انتهى .
وقال رضى الله عنه في تفسير سورة النساء «القول فى تأويل قوله تعالى (إن الله كان عليا كبيرا) يقول إن الله ذو علو على كل شيء ، فلا تبغوا أيها الناس على أزواجكم إذا أطمنكم فيما أزمهن الله لكم من حق سبيلا لعلو أيديكم على أيديهن فان الله أعلى منكم ومن كل شيء ، وأعلى منكم عليهن وأكبر منكم ومن كل شيء ، وأنتم فى يده وقبضته ، فاتقوا الله أن تظلموهن وتبغوا عليهن سبيلا ، وهن لكم مطيعات فينتصرهن منكم ربكم الذى هو أعلى منكم ومن كل شيء وأكبر منكم ومن كل شيء » . وقال رضى الله عنه فى قوله تعالى : (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) يقول تعالى ذكره « والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تروه ، وما شاهدتموه فعائنتم بأبصاركم لا يخفى عليه شيء لأنهم خلقه وتدبيره ، الكبير الذى كل شيء دونه المتعال المستعلى على كل شيء بقدرته ، وهو المتفاعل من العلو مثل المتقارب من القرب والمتداني من الدنو » انتهى .

أقول: والعرب الذين نزل القرآن بلغتهم لا يفهمون سوى هذا ، فان العرش سرير الملك الذى يجلس عليه للحكم ، والامتواء عليه هو العلو عليه ، هذا هو أصل الوضع ، ثم كنوا به عن علو الملك والسلطان حتى صار يستعمل فى هذا المعنى بحيث يكون هو المقصود بالاثبات ، فاذا قيل لم يستو على العرش ، كان هذا المعنى هو المقصود بالنفى كما هو الشأن فى المعنى المسكنى عنه وفى المعنى المجازى لا يكون مورد الاثبات والنفى إلا إياهما لا المعنى المسكنى به ولا المنقول عنه كما هو مبين فى محله من علم البيان ، ومن تتبع القرآن هداه إلى ما قلنا ، فان الاستواء على العرش مذکور فى سبع آيات مقترنا بذكر فعل من أفعاله تعالى ، دال على وجوب وجوده وغناه العنى المطلق ، وهو رفع السموات بغير عمد ، أو خالق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، فقد أقام القرآن القرينة اللفظية فى كل موضع ذكر فيه الاستواء

على انه لم يرد ظاهره ، وإنما معناه أنه سبحانه لما انفرد بإيجاد الأشياء كلها توحيده في التصرف فيها ، فكما أنه لا شريك له في الخلق لا شريك له في الملك ، ولذلك ختم بعض هذه الآيات بقوله تعالى : (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) بتقديم الخبر وهو (له) على المبتدأ وهو يدل على الحصر . فانخلق ناظر إلى انفراده بخلق السموات والأرض . والأمر عائد إلى توحيده بعباد الملك . وقد يذكر في غير هذه الآيات خلقه لكل شيء ، ويرد في هذا المعنى بكناية أخرى غير كناية الاستواء على العرش ، كقوله (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، له مقاليد السموات والأرض) وقوله (خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل) أي المدير لكل القائم عنهم بجلب النفع إليهم ودفع الضر عنهم وقوله : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) فانظر ماذا قال بعدها قال : (ينزل الأمر بينهن) وهذه من روادف علو الملك وارتفاع السلطان . وعادة القرآن تصريف الآيات كما قال سبحانه (وكذلك نصرف الآيات) وهو إدارة المعنى الواحد بطرق متنوعة وأساليب مختلفة رائعة . ومن زعم أن القرآن يقول بالعلو الحسي في حق الله فما عرف الله ولا عرف كتابه ، وقد سمعت ما قال شيخ المفسرين الطبري في تفسير اسمه تعالى (العلي) وأنت لو أنعمت في مواقع هذا الاسم الكريم من كتاب الله تعالى لم تجد له إلا ما قال الخبر الطبري وهو قول محقق علماء الملة سلفنا وخلفنا ، فانظر فيما أتو عليك . قوله تعالى في خاتمة آية الكرسي (وهو العلي) بعد ما مر من وصفه بالوحدانية والحياة والقيومية ، وأن كل شيء فهو له ملكا وملكا ، وأنه أحاط بكل شيء علما . وأن السموات والأرض لا ينقل عليه حفظهما ولا يشق عليه . ثم عقب بعد هذا كله بقصر العلو عليه سبحانه . فبربك هل يفهم منه ذو علم إلا علو الاقتدار ، وسمو الكمال الذي لا يجد له مقدار كما أشار إليه الشيخ رضي الله عنه ؟ وقوله تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوى) فهل هذا العلو إلا كمال الواقع بين تسبيح اسمه

تعالى معنونا عنه بالرؤية وبين خلقه لكل شيء وتسويته إياه ، وتقدير المقدرات
وتهيئتها لما خلقت له الخ إلا علو الكمال ؟ وهل يفهم منه علو المكان إلا من
تسفل عن مقام أهل الفهم والعرفان ؟ وأبصر إلى قوله (فتعالى الله الملك الحق)
بعد نفي العبث عن ذاته على أبلغ وجه في الآية قبلها ومع التعبير عن ذاته بهذه
الأسماء العلييا: الله الملك الحق . أخطر بعقل ذي لب أنه جلوس على عرش وارتفاع
مكان ؟ حاشا أن يكون ذلك من أفهام العقلاء . ونموذ بالله من غلبة الوهم على
الفهم وتلاعب الهوى بالذهن .

﴿ بيان أن العلو المعنوي من المجاز الشائع في كلام العرب ﴾

والعلو المعنوي منتشر في القرآن مستفيض في لغة العرب في وصف الخالق
والمخلوق على ما يليق بكل (ولا تنهوا ولا تمحزنوا وأنتم الأعلون) (الأعلوا
على وآتوني مسلمين) (إنهم إن يظروا عليكم يرحمكم) والظهور هنا هو العلو
(إن فرعون علا في الأرض) (وإنا فوقهم قاهرون) (وأن لا تعلم على الله إني
آتيكم بسطان مبين) (وليتبروا ما علوا تقبيرا) (لا تخف إنك أنت الأعلى)
ولما ذاق المشركون حلاوة النصر المؤقت يوم أحد قال قائلهم (أعلُّ هبل) وهو
اسم صنم لهم أجابهم المسلمون عن أمر رسول الله ﷺ بقولهم : (الله أعلى
وأجل) وفي شعر العرب :

ولما علونا واستوينا عليهم * تركناهما مرعى لنسر وكاسر
ولو ذهبنا نستقصي ما في الكتاب العزيز من ذلك وما في كلام العرب لكان
مجلدا ، وأين علو المكان من علو السلطان ؟ وهل العلو في المكان إلا كمال جسماني
عرضي نازل كل النزول عن الكمال الذاتي الأصلي ؟ تعالى الله عما يخطر لخواهين .
وقال الامام أبو جعفر في قوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) إلا هو . فانظر
كيف حمل الوجه على الذات ولم يحك فيه خلافا لمن تقدمه . وقال البخاري في

جامعه في تفسير سورة القصص (كل شيء هالك إلا وجهه) إلا ملكه ويقال :
إلا ما أريد به وجه الله . اهـ ، فقد حمل الوجه على الملك جازماً به . ولا أظن عاقلاً
يرتاب في أن البخارى من خير السلف . وقال البخارى أيضاً في تفسير سورة
هود في قوله تعالى (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) في ملكه وسلطانه . اهـ
كلام البخارى رضى الله عنه .

وقال الله تعالى (والله واسع عليم) فالسعة المتعارفة عظم امتداد الجسم فهل
قال ذلك أحد من السلف ؟ حاشاهم من ذلك . واستمع إلى ما قال الامام الطبرى
رضى الله عنه قال يقول « جل ثناؤه : (والله واسع) الفضل جواد بعطاياه فزوجوا
إماءكم فان الله واسع يوسع عليهم من فضله إن كانوا فقراء (عليم) يقول هو ذو علم
بالفقير منهم والغنى ، لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتدبيرهم اهـ وقال تعالى (وإذا
قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) وقال في آية أخرى (ألا إنه بكل شيء محيط)
هل فهم فيه أحد من السلف إلا إحاطة العلم والاقتدار ؟ فبينوا المعنى وعينوا .
قال الامام الطبرى في تفسير الآية الاولى : يقول جل ثناؤه وإذا ذكر يا محمد إذا قلنا
لك إن ربك أحاط بالناس قدرة ، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته
ونحن مانعوك منهم فلا تهيب منهم أحداً وامنص لما أمرك به من تبليغ رسالتنا .
ثم نقل بأسانيد نحو ذلك عن أحبار المفسرين من التابعين : الحسن ومجاهد
وقتادة . وقال في الآية الثانية : يقول تعالى ذكره (ألا إن الله بكل شيء عليم) مما خلق
(محيط) علماً بجميعه وقدرته عليه لا يعزب عنه علم شيء منه أرادته فيفوته ، ولكنه
المقتدر عليه العالم بمكانه اهـ وقال تعالى (الله نور السموات والأرض) هل فهم
أحد من السلف أنه هو ذلك النور الفاض على الحيطان والجدران المنتشر في
الجو ؟ جل مقام العلماء بالله وكتابه أن يفهموا هذا المعنى الظاهر العامي . قال حبر
الامة ابن عباس فيما رواه عنه الطبرى بالسند الصحيح : الله سبحانه هادى أهل
السموات والأرض . وروى نحوه عن أنس بن مالك ، وروى عن مجاهد أن معناه

المدير ، ورجح الامام الاول وزيف ما عداه ، وقد سمعت ماقاله في معنى الاحاطة
وانها مصروفة الى احاطة العلم والمشيمة والاعتدال ، وليس معناها ما يفهم من احاطة
جسم بجسم والتفافه حوله واشتماله عليه ، تعالى الله عن صفات الاجسام وسهات
الحدوث . وهكذا لو استقرت أقوال السلف من مظانها لرأيت الكثير الطيب
من بيان المعاني اللائقة بالله تعالى على سبيل التعيين ، فمن نقل عدم التعيين
مطلقا عن السلف فما دقق البحث ولا اتسع اطلاعه . وهذا صحيح البخاري بين
أيدينا وتفسير ابن جرير الطبري بين أظهرنا يناديان بما قلنا ، وإنما ذكرنا ما ذكرنا
لك من ذلك على سبيل التمثيل لذلك بما سمعت على ما لم تسمع ، ولا تريد في هذا
الوجيز الاستقصاء ، وعليك بكتاب الاسماء والصفات للحافظ البيهقي وبمراجعة
ماقال العلماء في شروح الأحاديث المشككة وما نقلوه عن أكار السلف في ذلك
فقد قدمنا لك نقل الامام أبي بكر بن العربي عن مالك أنه قال في حديث
النزول : هو نزول رحمة لانزول نقلة ، ولعله رضى الله عنه لم يبلغه الحديث
المفسر له أو لم يستحضره أو بلغه من طريق لا يعتمد عليه ، وقد أخرج النسائي
في سننه عن أبي هريرة رضى الله عنه رفعه « إن الله يمهل حتى إذا مضى شطر
الليل أمر مناديا أن ينادى ألا من سائل فأعطيه » الحديث . فتبين به أن إسناد
النزول إليه تعالى إسناد مجازي ، فالجواز في الاسناد وليس في الطرف ، وليس
ذلك بغريب ففي القرآن العزيز (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) والمعنى إذا قرأه عليك
جبريل بأمرنا ، كما يعلم ذلك من قرأ ما أخرج البخاري عن ابن عباس في بدء
الوحي فقد أزيل الاشتباه في الحديث بهذه الرواية كما تزيل الاشتباه في الآية
الآية الأخرى ، وصح النقل عن حبر الأمة ابن عباس أنه فسر الاستواء بالعلو
ولم يفسره بالجلوس . وقد علمت ماقاله الامام الطبري في معنى العلو ، ونقلنا لك عن
الذهبي نفسه ما يفيد إجماع علماء الامصار أنهم يقولون كلهم بلا كيف ، وشرحنا
معناه بما يزيل عنك الالتباس إن شاء الله تعالى

و بعد - فقد سبقتنا أساطين العلماء رضى الله عنهم فدوتوا فى المنتشبهات
الكتب الكثرية القيمة بين مطول مفيد ومقل مجيد ، فاملاً قلبك بتنزه الله
تعالى عن هذه الظواهر الحسية الجسمية ، ولا عليك إذا لم تصل إلى المعنى المعين
فله أهل ، فرد الأمر إلى أهله ، ويكفيك هذا القدر ، ولا تظن أن ما خفى عليك هو
خفى على غيرك من أكبر أهل العلم ، فقد قدمنا أنه على قدر الرسوخ فى العلم يزول
التشابه . وكان الخبر ابن عباس يقول أنا من الراسخين فى العلم ، يشير إلى أنه
زال عنه التشابه و بان له الأحكام فى كثير مما تشابه على غيره ، فالتشابهات كلها
محركات بالاضافة إلى رسول الله ﷺ حتى الحروف المقطعة فى أوائل السور ، وليس
يخفى عليه من علم ذلك إلا ما لا يحتمله الممكن ولا يطيقه المخلوق ، وإنما هو مختص
بالحق جل شأنه من كنه الذات وحقائق الصفات على ما هى فى علم الواجب جل
جلاله ، فان ذلك إنما هو من خصائصه جل شأنه ، وهذا الأمر مبين فى المطولات .
والخلاصة أن التشابه أمر نسبي والذى يتضح لنا والله أعلم بمراده بعد الاطلاع
على أقوال أئمة المفسرين فى قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) ان الوقف
على الجلالة والقصر فيها موجه إلى نفي العلم بالتأويل الحق إلى الدين فى قلوبهم
زيغ ثم ابتداء الكلام عن الراسخين فى العلم فهم يقولون آمنا به إلى آخر ما حكى
الله عنهم ، مستبصرين فى إيمانهم قد زال عنهم من التشابه على نسبة رسوخهم وسعة
اطلاعهم وما أوتوا من النور الآلى المقتبس من بركة المتابعة للحضرة المصطفوية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وما منهم من أحد إلا له فى العلم مقام معلوم
ولا يبلغ الحد الأقصى إلا سيد المصطفين الأخيار وفوق مقامه الأعلى للرب جل
جلاله من العلم ما لا يليق إلا به عز وجل ، فرحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد
طوره ، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه ، وأن يطهر قلوبنا من الزيغ وأن يثبتنا على الجادة حتى نلتقاه على صراط
مستقيم بجاه نبيه الأمين عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام .

❖ خاتمة ❖

﴿ نسأل الله حسن الخاتمة ﴾

اعلم أنه تعالى منذ أنشأ هذا النوع الانساني لم يزل يتعهد برسله الكرام إقامة لحجته وإظهاراً لمجته ، كما قال سبحانه (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وينزل من كتبه ما يناسب استعداد الأمم ، حتى إذا أوشك العالم على النهاية واقتربت الساعة وترقى استعداد النوع بعث إلى الناس كافة عرباً وعجماء بل إنسا وجنا نوره المبين وحجته الكبرى ونعمته العظمى خاتم النبيين وتمام المرسلين سيدنا ومولانا ونبينا محمداً ﷺ ، وأنزل عليه القرآن الحكيم والفرقان العظيم فيه الشريعة العامة الصالحة لكل زمان ومكان ، وأيده من آياته بما أظهر صدقه ظهور الشمس وتكفل بحفظ كتابه حتى تبقى حجته ظاهرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، واختار له أصحاباً يكفيك في شرفهم أنهم المواجهون بالخطاب في قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ولم يخرج عليه الصلاة والسلام من الدنيا حتى أنزل عليه في حجة الوداع يوم عرفة - وكان يوم الجمعة - قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وكان قد أوتي جوامع الكلم وهي ما يجمع العلوم الكثيرة في الألفاظ الموجزة القليلة ، وذلك ظاهر في كتابه المنزل عليه ، وفي نصائحه التي يرشد بها الأمة . ولما اقترب أجله الشريف أكثر من الخطب حتى لقد روى في الصحيح عن عمر وحذيفة رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام صلى الصبح ذات يوم ثم قام فيهم خطيباً إلى الظهر ، ثم صلى الظهر وعاد إلى خطبته حتى إذا كان العصر صلى العصر وقام خطيباً حتى غاب قرص الشمس . قال حذيفة

رضى الله عنه فما ترك من حادثة تكون بين يديه إلى قيام الساعة إلا ذكرها لنا ولا ترك من قائد فتنة يكون معه ثلاثمائة فصاعدا إلا سماه لسا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته فأعلمنا أحفظنا» الحديث . فصلى الله وسلم وبارك عليه ما أحرصه على الخير لأمته وإنقاذها من الهلكة ، ولقد كان قبل وفاته بنحو شهر في مجلس جامع فجعل يقول : يا أيها الناس سلوني ، ويكر ذلك ، فهابوا أن يسألوه فأنزل الله الروح الأمين جبريل عليه السلام فجعل يسأله وطفق صلى الله عليه وسلم يجيبه ، وكان في ذلك إجمال الدين كله . وقد روى هذه القصة البخارى ومسلم في صحيحهما وغيرهما ، وتلخيصها على ما يؤخذ من عدة روايات أنه صلى الله عليه وسلم بعد ما كرر عليهم أن يسألوه وسكتوا إذا هم قد طلع عليهم رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منهم أحد ، فوقف على المجلس ونادى . يا رسول الله : السلام عليكم أذنوا ؟ فرد عليه السلام وأذن له بالدنوفدنا واستأذن في الجلوس فأذن له فجلس فقال : ما الإيمان ؟ فقال هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبلقائه وتؤمن بالبعث الآخر وتؤمن بالجنة والنار ، وبالصراط والميزان ، وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومهره من الله تعالى فقال صدقت ، فمجبوا كيف يسأله ويصدقه . ثم قال : ما الإسلام ؟ قال هو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلوات المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً وتعتمر وتغتسل من الجنابة وتسبغ الوضوء . قال فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم ؟ قال نعم ، قال صدقت . ثم قال : ما الاحسان ؟ قال : هو أن تعبد الله - وفي رواية - أن تخشى الله - كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك» الحديث ، وفي آخره أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم : « أتدرون من هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : هذا جبريل جاء يسألني لتعلموا دينكم » . وما انتقل عليه الصلاة والسلام من الدنيا حتى تركهم على الملة بيضاء نقية ليلها كنهارها ، لا يضل عنها إلا هالك . وقد قام أصحابه الكرام بعده خير قيام بما عهد إليهم من نشر العلم

وتبليغ الشرع وتعليم السنن حتى كان الكتاب العزيز محفوظ اللفظ معروفة المعنى وكانت الدولة بحمد الله لهذه الأمة من أول عهدنا ، فقاموا بأمر الله وأنفذ الله لهم وعده الصادق في قوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) الآية . وحقق لهم سبحانه قول رسوله الكريم ﷺ « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله » الحديث . وقد مر في المقدمة متنا وتخريجا ، وليعلم المطلع على كتابنا هذا أننا لم نضع فيه حديثا موضوعا ولا شديد الضعف والحمد لله على فضله .

فقام أولئك السادات جيلا بعد جيل لاظهار الدين وبيان السنن ، حتى إذا ظهر خارجي أو تكلم في الدين مبتدع أو تلاعب زنديق قام العلماء رضى الله عنهم بما وجب عليهم من البيان ، وكثيراً ما ظاهرهم بالحكام بالسيف والسنان فكان هذا الدين بحمد الله في كل عصر ظاهراً جلياً ، والعلم المنزل في كل أوان واضحا غير خفي ، وكان من آثار ذلك أن عرفت الفرق الضالة بأرائها وأسماؤها ، وهي كما سبق أول الرسالة أقليات إن تقوى بعضها حيناً فما أسرع ما يؤيد الله أهل السنة بنصره ويظهر سنة نبيه ﷺ ، وسير أصحابه الكرام والسلف المظام رضى الله عنهم . ولكننا أصبحنا في زمان قد ساد فيه الجهل بما كان قبلنا يمد من بديهيات العلم ، وانتشرت الدعوى حتى ادعى الاجتهاد المطلق من لم يكن يصلح في الازمان القريبة منا للجلوس بين طلبة الكتب المتوسطة ، فالتبس الحق بالباطل واشتبه على الناس الايمان بالكفر ، والطاعة بالمعصية ، حتى إن كثيراً ممن يعدون أنفسهم أو تعدم العامة من العلماء والمتنورين ليرمون بالكفر من نادى رسول الله مستغنياً أو سأل الله مستشفعاً به ﷺ ، وهو يعلم أنه عبد الله ورسوله قد جعله الله منبع كل خير ، ومظهر كل بركة ، وقرن قضاء الحوائج بذكره والاستشفاع به والصلاة عليه ، واتخاذ ﷺ وسيلة إليه عز وجل ، فترى من النصيح لك أيها

الأخ في دين الله أن نرجع بك إلى المفزع عند التنازع ، وهو الرد إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله فتنظر ما حقيقة الإيمان والاسلام فيهما ، وما هي حقيقة العبادة شرعاً ، ثم نقف بك بين يدي الكتاب والسنة وما عليه أ كابر الأمة في هذه المسألة وما يتصل بها ، على قدر ماتسمه هذه العجالة ، فاذا انتهينا من القول في ذلك أريناك أين نبتت هذه التهو يثات . وإلى الله المشتكى وهو المستعان .

﴿ وصل ﴾

الإيمان على ما دل عليه حديث جبريل السابق ويرشد إليه استقراء الكتاب العزيز هو تصديق النبي ﷺ فيما علم مجيئه به من عند الله علماً ظاهراً مشتهراً بحيث يشبه ما علم بالضرورة إجمالاً فيما علم مجيئه به إجمالاً ، وتفصيلاً في غيره على وجه مخصوص ، وهو أن يكون بحيث ترضخ له النفس ولا تأنف من إعلانه وترضى بتبعية هذا الرسول ولا تتكبر عنها ، فهو أخص من مطلق التصديق الذي هو المعنى اللغوي ، كما هو الشأن في المعاني الشرعية مع المعاني اللغوية ، وأخص أيضاً من التصديق المنطقي كما لا يخفى ، وخرج بالقييد الأخير إيمان أهل الكتاب الذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وتكبروا عن متابعتهم ، وأنفوا عن الدخول في دينه حسداً و بغياً ، وكتبوا ما علموا من الحق ، فاذا قوى هذا التصديق تفرع عنه التحلي بأداء الأوامر والتخلي عما نهى عنه من الرذائل ، فالأعمال الصالحة تكملة ولذلك عطفت عليه في الآيات (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) وهو في القرآن كثير (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) سماهم كما ترى مؤمنين ، وقد يطلق على بعض الأعمال مجازاً مرسلات من إطلاق اسم السبب على المسبب ، كقوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي صلاتكم كما يعلم من سبب نزولها ، وقد يطلق مجازاً أيضاً على ما يشمل التصديق بالجنان

والاقرار باللسان والعمل بالاركان إطلاقاً للفظ على جزئى خاص من جزئيات
معناه من حيث خصوصه . وهذا الجزئى الخاص هو الفرد الكامل (وهو
التصديق المصحوب بما ذكر ، وهذا الاطلاق كثير فى كلام السلف رداً منهم
على المبتدعة القائلين بعدم اعتبار الأعمال أصلاً وعدم ضرر المعاصى رأساً ، لا
قولا منهم بتكفير مرتكب الكبيرة - كما هو قول الخوارج - ولا قولاً بتخليده
فى النار وإن لم يكن كافراً ولا مؤمناً كما هو قول المعتزلة ، فان السلف والخلف من
أهل السنة قائلون بأنه لا يخلد فى النار إلا الكافر ، ويجوز العفو عن مرتكب
غير الكفر بشفاعته من ارتضى و بدونها ، وأما الإسلام فهو النطق بالشهادتين
فان واطأ فيه القلب اللسان أنجاه دنيا وأخرى من الخلود فى عذاب الله ،
وإلا أجريت عليه الأحكام الدنيوية وكان خالداً مخلداً فى عذاب الله أبداً .
وهؤلاء هم الذين قيل فيهم (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) الآية .
وبهذا تعلم أن الإسلام المنجى لا ينفك عن الإيمان محققاً ، وقد ينفك الإيمان
عن الإسلام بالمعنى المذكور من صدق بقلبه بما سبق واخترته المنية قبل
التمكن من النطق أو عاجله عارض خرس ، وقد يطلق الإسلام على جميع
الأعمال الظاهرة المأمور بها وترك المنهيات ، وقد يطلق على الدين كله الشامل
لجميع الأحكام ، وعليه قوله تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) وكل من
الأول والثالث إطلاق على طريق الحقيقة الشرعية ، والثانى على سبيل المجاز
المرسل . والإسلام إذا أطلق على ما يشمل النطق وغيره فالمراد به الفرد
الكامل . والصحيح من أقوال العلماء أن ما عدا النطق والتصديق مكملات له ،
والتقصير فيه ينقصه ولا يفوته ، فاذا فقد التصديق أو ترك النطق كبراً
وعناداً فانت النجاة ، والعياذ بالله تعالى . ولهذا المقام بسط وتتميم تجدهما
فى المطولات .

فلنتقل بك إلى معنى العبادة شرعاً ، وأرجو أن تعطى هذا المقام فضل

تنبه فان الغلط فيه هو المزلة الكبرى والمزلة العظمى ، التي استحلّت بها دماء لا تحصى وانتهكت بها أعراض لا تعد ، وتقاطعت فيها أرحام أمر الله بها أن توصل ، عياداً بالله من المزالق والفتن . ولا سيما فتن الشبهات . فاعلم أنهم فسروا العبادة بالاتبان بأقصى غاية الخضوع ، وأرادوا بذلك المعنى اللغوي ، أما معناها الشرعي فهو أخص من هذا كما يظهر للمحقق الصبار على البحث من استقراء مواردها في الشرع ، فانه الاتيان بأقصى غاية الخضوع قلباً باعتقاد ربوبية المخضوع له ، أو قلباً مع ذلك الاعتقاد - وأوفيه للتقسيم - فان انتفى ذلك الاعتقاد لم يكن ما أتى به من الخضوع الظاهري من العبادة شرعاً في كثير ولا قليل مهما كان المأني به ولو سجوداً . ومثل اعتقاد الربوبية اعتقاد خصيصة من خصائصها كالاستقلال بالنفع والضرر ، وكنفوذ المشيئة لا محالة ولو بطريق الشفاعة لعابده عند الرب الذي هو أكبر من هذا المعبود . وإنما كفر المشركون بسجودهم لأنهم ودعائهم إياهم وغيرها من أنواع الخضوع لنحقق هذا القيد فيهم ، وهو اعتقادهم ربوبية ما خضعوا له ، أو خاصة من خواصها كما سيأتيك تفصيله . ولا يصح أن يكون السجود لغير الله فضلاً عما دونه من أنواع الخضوع بدون هذا الاعتقاد عبادة شرعاً ، فانه حينئذ يكون كفراً ، وما هو كفر فلا يختلف باختلاف الشرائع ، ولا يأمر الله عز وجل به (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) (ولا يرضى لعباده الكفر) وذلك ظاهر إن شاء الله . وها أنت ذا تسمع الله تعالى قد قال للملائكة : (اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس استكبر) وقال : (أنا خير منه) . وقال : (أسجد لمن خلقت طيناً) . والقول بأن آدم كان قبلة قول لا يرضاه التحقيق ويرفضه التدقيق في فهم الآيات كما ينبغي أن تفهم ، فان قصر فهمك عن هذا فهذا نبي الله يعقوب وامراته وأولاده الأحد عشر قال الله فيهم (وخرّوا له سجداً) أي ليوسف صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ ابن كثير في تفسيرها : « أي سجد له أبواه وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلاً ، وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم إذا سلّموا على

الكبير يسجدون له . ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام ، فحرم هذا في هذه الملة ، وجعل السجود مختصاً بجناب الرب تعالى . هذا مضمون قول قتادة وغيره . وفي الحديث « أن معاذاً قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم فلما رجع سجد لرسول الله ﷺ ، فقال : ما هذا يا معاذ ؟ فقال : إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحق أن يسجد لك . قال : لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » . وفي حديث آخر « أن سلمان لقي النبي ﷺ في بعض طرق المدينة - وكان سلمان حديث عهد بالاسلام - فسجد للنبي ﷺ فقال : لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحى الذى لا يموت » والغرض أن هذا كان جائزاً في شريعتهم اه . وقال الامام أبو جعفر في تفسيرها نحواً من هذا . وقد علمت أن ما هو كفر لا يختلف باختلاف الشرائع ولا يأمر الله به في حين من الأحيان . فلم يكن سجود الملائكة لآدم ولا السجود ليوسف عليهما الصلاة والسلام مع خلو الساجدين من اعتقاد خصيصة من خصائص الربوبية بمن سجدوا له كفراً ، بل هو من الملائكة عبادة لله الذى أمرهم سبحانه ، ومن سجد ليوسف تحية جائزة ، ونسخ الجواز في شريعتنا ، وإنما حكم العلماء بالكفر على من سجد لشمس أو قمر أو وثن من أجل أنه أماراة على الكفر الذى هو إنكار ما علم من الدين بالضرورة كما حكموا بالإيمان - وهو معنى قلبى كما علمت - لمن نطق بالشهادتين من أجل أنه دليل عليه ، لا لأن الاول بمجرد كفر والثانى بمجرد إيمان . فان تعسر عليك فهم هذا وهو ليس بعسير إن شاء الله تعالى ، فانظر إلى نفسك فانه قد يقضى عليك أدبك مع أبيك واحترامك له أن لا تسمح بالجلوس أو الاضطجاع بين يديه ، فتقف أو تقعد ساعة أو فوقها ، ولا يكون ذلك منك عبادة له ، لماذا ؟ لانه لم يقارن هذا الفعل منك باعتقاد شئ من خصائص الربوبية فيه . وتقف في الصلاة قدر الفاتحة وتجلس فيها قدر التشهد وهو قدر دقيقة أو

دقيقتين فيكون ذلك منك عبادة لمن صليته ، وسر ذلك هو أن هذا الخضوع الممثل في قيامك وقعودك يقارنه اعتقادك الربوبية لمن خضعت له عز وجل . وتدعو رئيسك في عمل من الأعمال أو أميرك أن ينصرك على باغ عليك أو يغيثك من أزمة نزلت بك وأنت معتقد فيه أنه لا يستقل بجلب نفع أو دفع ضرر ، ولكن الله جعله سببا في مجرى العادة يقضى على يديه من ذلك ما يشاء فضلا منه سبحانه ، فلا يكون ذلك منك عبادة لهذا المدعو وأنت على ما وصفنا ، فان دعوته وأنت تعتقد فيه أنه مستقل بالنفع أو الضرر أو نافذ المشيئة مع الله لا محالة ، كنت له بذلك الداء عابداً ، وبهذه العبادة أشركته مع الله عز وجل ، لأنك قد اعتقدت فيه خصيصة من خصائص الربوبية ، فان الاستقلال بالجلب أو الدفع ونفوذ المشيئة لا محالة هو من خصائص الربوبية ، والمشركون إنما كفروا بسجودهم لأصنامهم ونحوه لا اعتقادهم فيها الاستقلال بالنفع أو الضرر ونفوذ مشيئتهم لا محالة مع الله تعالى ، ولو على سبيل الشفاعة عنده ، فانهم يعتبرونه الرب الأكبر ولعبوداتهم ربوبية دون ربوبيته ، وبعثضى ما لهم من الربوبية وجب لهم نفوذ المشيئة معه لا محالة . ويدل لما قلنا آيات كثيرة كقوله تعالى (أم من هذا الذي هو جنود لكم ينصركم من دون الرحمن ؟ إن الكافرون إلا في غرور) وقوله (أم لهم آلهة عندهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) والاستفهام في الآيتين إنكارى على سبيل التوبيخ لهم على ما اعتقدوه . وحكى الله عن قوم هود قولهم له عليه السلام (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) وقوله لهم (فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون . إني توكلت على الله ربي وربكم . .) الآية وكقوله تعالى موبخا لهم يوم القيامة على ما اعتقدوه لها من الاستقلال بالنفع ووجوب نفوذ مشيئتها (أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) وقولهم وهم في النار يختصمون يخاطبون من اعتقدوا فيهم الربوبية وخصائصها (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم

رب العالمين) فانظر إلى هذه التسوية التي اعترفوا بها حيث يصدق المكنوب ، ويندم المجرم حين لا ينفعه ندم . فان التسوية المذكورة إن كانت في إثبات شيء من صفات الربوبية فهو المطلوب ، ومن هذه الحيثية شركهم وكفرهم ، لأن صفاته تعالى تجب لها الوجدانية بمعنى عدم وجود نظير لها في سواه عز وجل ، كما مر مفصلا في المقصد . وإن كانت التسوية في استحقاقها للعبادة فهو يستلزم اعتقاد الاشتراك فيما به الاستحقاق ، وهو صفات الألوهية أو بعضها ، وإن كانت في العبادة نفسها فهي لا تكون من العاقل إلا لمن يمتد استحقاقه لها كرب العالمين ، تعالى الله عما يشركون . وكيف يُبنى عنهم اعتقاد الربوبية بأهلهم وقد اتخذوها أندادا وأحبوها كحب الله كما قال تعالى فيهم (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) والأنداد جمع ندي وهو على ما قاله أهل التفسير واللغة المثل المناوي ، فهذا ينادى عليهم أنهم اعتقدوا فيها ضربا من المقاومة للحق تعالى عما يقولون . أما قوله تعالى فيهم : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) ونحوه فليس معناه أنهم لا يثبتون لأهلهم ربوبية ولا خاصة من خواصها ، بل معناه أنهم إذا نوقشوا اعترفوا بالحق الذي فطر الله عليه النفوس ، ودلت عليه الكائنات ، ثم ما أسرع ما يرجعون إلى اعتقاد الربوبية الباطلة في آلهتهم ، فينتكسون ويرتكسون كما قال عنهم في آية أخرى : (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) وكقوله تعالى في طائفة منهم (كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها) وليس ذلك بمعجيب ممن اتخذ إلهه هواه وإنك لتشاهد بين أهل الأهواء من تناقشه في بدعته ويصغى إليك فيقتنع بالحجة وقت المناقشة ويعترف بمخالفته للحق وتظهر فيه مخايل الأنياب ، فإذا انقضى المجلس عاد إلى ما ألف من الهوى ، وارتكس في بدعته كأن لم يكن بينك وبينه نقاش - إلا من رحم الله - وقد رأينا ذلك كثيرا في كثير من لفينا من أهل الأهواء - نسأل الله العافية بفضله - على أنه لو سلم أنهم لم يعتقدوا

لا آلهتهم خلقا ولا رزقا ولا تدبيراً للأمر ، فهم يعتقدون فيها غير ذلك من خصائص الألوهية وهو وجوب نفوذ مشيئتها ، فأنهم يرون أن شفاعتها مقبولة لا ترد وليست متوقفة على إذنه تعالى عما يقول الجاهلون به علوا كبيرا . ولذلك قال الله تعالى في سيدة آي القرآن رداً على هذا الزعم (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) قال القاضي ناصر الدين البيضاوي في تفسيرها : بيان لكبرياء شأنه ولأنه لا أحد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريد شفاعته واستمكانه فضلاً أن يعارضه عنادا ومناصبة . اهـ . فانظر إلى قوله « يستقل بأن يدفع ما يريد شفاعته » تجده صريحا في اعتقاد وجوب مشيئتها معه عز وجل ، ووجوب نفوذ المشيئة من خصائص الربوبية كما لا يخفى . وهذا النوع من الشفاعة هو الشفاعة الشركية وهي التي أبطلها القرآن ، فان اعتقادها كفر ، كما قال تعالى ، (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) الآيتين . فانظر إلى قوله (من دون الله) وكما قال الله تعالى (قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة) أما الشفاعة التي يعتقدها أهل التوحيد وجاء بها الكتاب والسنة فهي بعيدة من هذا بعد الإيمان عن الكفر والنور عن الظلمة ، وهي دعاء الشافع للمشفوع فيه فيستجيب بفضله لمن شاء ، وهو معنى الاستثناء في قوله تعالى (إلا بإذنه) والمراد هنا بالإذن الرضا كما قال في الآية الأخرى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وكقوله : (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وبهذا يتبين لك الفرق بين ما أثبتته القرآن من الشفاعة وبين ما نفاه منها ، وهو ما كان بغير إذنه ورضاه ، جل أن يكون في ملكه إلا ما يشاء ، أما الشفاعة بإذنه ورضاه من عباده المصطفين الأخيار لعصاة الموحدين فهي جائزة بل واقعة لثبوتها بالتواتر وليس فيها محذور ، واعتقادها من الدين ، فانها من باب الدعاء وهو تعالى يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله . وعسى أن يكون قد وضح لك إن شاء الله ما هو معنى العبادة شرعا ، وحينئذ تعلم أنه ليس

من عبادة غير الله في شيء أن يبتغي المسلم إلى الله الوسيلة ، فلننقل الكلام إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام ومن تبعهم باحسان من العلماء سلفا وخلفا في ابتغاء الوسيلة فنقول وبالله التوفيق وعليه الاعتماد لا رب غيره . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) وهي كل ما جعله الله سببا في الزلفى عنده ، ووصلة إلى قضاء الحوائج منه ، واتخاذ الوسيلة يسمى توسلا ، والتوسل إليه تعالى إما بأسمائه وصفاته وهو ثابت من فعله ﷺ مروى في السنن والمسانيد ، غنى بشهرته عن ذكر شواهد في هذا المختصر ، داخل في الآية الكريمة . وإما بالأعمال الصالحة المأمور بها شرعا ، وإما بالذوات المرضية عنده من الأنبياء والملائكة والصالحين ثم التوسل بالعمل المأمور به على قسمين (أحدهما) : فعله والاتباع به على الوجه الذي أمر به من أداء شرائطه وأركانه وآدابه وتجنب ما يفسده أو يُخلُّ به توسلا بذلك إلى قربه سبحانه ورضاه والفوز بما وعد به عباده الصالحين فضلا منه ورحمة . ولا خفاء في أن هذا النوع من التوسل هو ما عليه النبيون والمرسلون والملائكة المقربون وجميع عباد الله الصالحين ، ولا ينكره إلا خارج على الأديان السماوية والكتب المنزلة ، وهو من أول ما تشمله الآية الكريمة . والقسم الثاني أن يدعو الله بعمله إذا وقع في شدة كما وقع للثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فسال السيل فألقى على الغار صخرة مدت فمَه فصاروا لا يستطيعون الخروج ، فقال بعضهم لبعض : يا هؤلاء إنه لا يُنجيكم مما أنتم فيه إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح ما عملتم عسى أن يفرج الله عنكم ما نزل بكم ، فدعا كل منهم بصالح ما يرجو قبوله من عمله ، فحقق الله رجاءهم وفرج كربتهم بفضلهم . وليس هذا من القسم الأول كما لا يخفى ، فانهم في الغار لم يعملوا هذه الأعمال بل دعوا بما عملوا ، فكان ما نالوا من الفرج ليس مسببا عن العمل نفسه بل عن الدعاء متشفعين إلى الله به . وحديث قصتهم صحيح بل مشهور مستفيض أخرجه البخاري في صحيحه وغيره من الأئمة ، فالآية الكريمة تشمله أيضا .

وأما التوسل بالذوات الفاضلة النبي ﷺ فمن دونه من المرضيين عنده تعالى فهو على ثلاثة أنواع نذكر منها ، (النوع الاول) أن يسأل الله مستشفعا بهم كأن يقول : اللهم إني أسألك بنبيك محمد أو أتوجه إليك به أو أتوسل أو أتشفع به أو بجاهه أو بقدره أو بجرمته أو بحقه ، ويريد من الحق ما تفضل الله به عليه من الكرامة وعلو المنزلة لديه ، أو بالانبياء والملائكة والصالحين ، فقد وردت به الأحاديث الصحاح فتعنه الآية الكريمة ، وهو من فعل النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بأحسان ، قبل وجود المتوسل به في حياته الدنيا وبعده في أثنائها وفي حياته في البرزخ : أخرج البيهقي في دلائل النبوة وهو الكتاب الذي قال فيه الذهبي : عليك به فكله هدى ونور ، والطبراني في المعجم الصغير ، والحاكم في مستدركه على الصحيحين أو أحدهما عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقك ؟ قال يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك . ولولا محمد ما خلقتك اه ولفظ الطبراني في المعجم : « إلا غفرت لي » بدل « لما » وهو بمعناه ، وفيه أن آدم عليه السلام قال : تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فاذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلت أنه ليس أحد أعظم قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك ، فأوحى الله عز وجل إليه يا آدم إنه آخر النبيين من ذريتك وإن أمته آخر الأمم من ذريتك ولولاه يا آدم ما خلقتك . قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب . وذكر الحاكم مع هذا الحديث أثراً عن ابن عباس وصححه : « أوحى الله إلى عيسى عليه السلام يا عيسى

آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا ما خلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن ، ورواه كذلك أبو الشيخ في طبقات الاصفهانيين وأقره السبكي في شفاء السقام ، والبلقيني في فتاويه ، ومثله لا يقال رأيا فحكمه الرفع . ذكره الزرقاني في شرح المواهب . وفي هذا الأثر أن الله تبارك وتعالى قد جعل في اسمه البركة فما الظن بسماء صلى الله عليه وسلم . وقد تعقب الذهبي وتبعه ابن تيمية فحكم بوضع هذا الحديث من أجل عبد الرحمن بن زيد أحد رواة ، وقد جازف في هذا الحكم كما دلتهم فيما لم يوافق أهواءهم ، فإن عبد الرحمن بن زيد لم يتهمه أحد من النقدة بالوضع وإنما طعن فيه لسوء حفظه وغفلته مع قول الكثير فيه إن عبد الرحمن صالح في نفسه وهو من رجال الترمذي ، وقال فيه ابن عدي له أحاديث حسان وهو ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه ، وقال أبو حاتم الرازي هو أحب إلي من ابن أبي الرجال ، وقد علم أهل الخبرة بهذا الفن أن الرجل يكون فيه سوء الغلط والغفلة في سن دون سن ، وفي الرواية عن رجل دون رجل ، وعبد الرحمن قد روى هذا الحديث عن أبيه والرجل في الرواية عن أبيه أبعد عن الغلط وأقرب إلى الضبط ، ولعل هذا من القران التي قامت عند الحاكم على القول بتصحيح حديث عبد الرحمن هذا ، وقد سمعت قول ابن عدي فيه : إن له أحاديث حسانا فلا يبعد إذن تصحيح الحاكم لهذا الحديث كما لا يخفى . وقد روى القاضي عياض بالسند الصحيح إلى الإمام مالك أن أبا جعفر المنصور استفتاه في استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الدعاء عند الزيارة الشريفة . قال ومالك لا تستقبله وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم . وما أبدع ما قال العلامة المحقق الألويسي في تفسيره في قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات) بعد أن ذكر وجهين في تفسير (كلمات) : لا وقيل رأى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع به . وإذا أطلقت الكلمة على عيسى عليه السلام فلتطلق الكلمات على الروح

الاعظم والحبیب الأکرم ﷺ فما عيسى بل وما موسى بل وما وما إلا بعض من ظهور أنواره وزهرة من رياض أنواره اه . وكأنه لم يطلع على حديث الحاكم وهذا الأمر فحكاه بقيل ، أو أن ذلك من زيادة ابنه السيد نعمان عفا الله عنه فتدحدثنا الثقة أنه زاد في تفسير والده شيئاً مما وافق أهواء ابن تسمية

وأخرج الحاكم في المستدرک والبيهقي في الدلائل من طريق عبد الملك بن هارون عن ابن عباس وله طريق أخرى عن عطاء عن الضحاك عن الخبر رضى الله عنه أخرجه منها أبو نعيم في الدلائل أن يهود كانوا إذا قاتلوا غطفان وأسده وغيرهما من مشركي العرب من قبل أن يبعث محمد ﷺ يستفتحون الله يدعوون على الدين كفروا يقولون : اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأسمى إلا نصرتنا عليهم فينصرون (فلما جاءهم ما عرفوا) يريد محمداً ﷺ ولم يشكوا فيه (كفروا به) قال العلامة المحدث الشريف الحسيني عبد الله بن محمد بن الصديق الغباري في كتابه الذي سماه « إتحاف الأذكياء بما ورد في التوسل بسيد الأنبياء وغيره من الصالحين والأولياء » ووجه الدليل من هذا الأمر ظاهر فإن الله تعالى أقرهم على توسلهم بالنبي ﷺ ولم يندمهم عليه . وإمامهم على جحودهم وكفرهم به بعد ما شاهدوا من بركة التوسل به مالا ينكره إلا من كان مثلهم أعمى القلب والبصيرة عافانا الله من ذلك بحق نبيه . اه ، وأخرج الترمذي في جامعه ومصححه والحاكم في المستدرک ومصححه وأقره الذهبي والبيهقي في الدلائل ومصححه وغيرهم عن عثمان بن حنيف - بالتصغير - أن رجلاً ضرباً أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني قال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك . فقال يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ثم يدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي ، اللهم فشفعه في - أي أقبل تشفعي به - قال عثمان بن حنيف فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وقده

أبصر كأنه لم يكن به ضرر ، وأخرج أبو نعيم في المعرفة والديلمى في مسند الفردوس عن ابن عباس بسند قال السيوطى هو حسن والطبرانى واللفظ له في معجميه الكبير والاوسط بسند قال فيه نور الدين الهيثمى فى كتابه مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح إلا واحدا وثقه الحاكم وابن حبان . قال وفيه ضعف ، قلت : ولكنه قد جبر بروايته من عدة طرق عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على رضى الله عنهما دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال رحمتك الله يا أمى ، كنت أمى بعد أمى تجوع عيني وتشبعيني ، وتعمرين وتكسينني وتمنعين نفسك طيبا وتطعمينني ، تريدن بذلك وجه الله والدار الآخرة ثم أمر أن تغسل ثلاثا ثلاثا . فلما بلغ الماء الذى فيه الكافر سكبته رسول الله ﷺ بيده ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقها ، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون فخفروا وقبرها ، فلما بلغوا اللحد حفروه رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ، وقال : الله الذى يحيى ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فانك أرحم الراحمين ، وكبر عليها أربعاً وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضى الله عنهما » : وأخرج الطبرانى فى معجميه الكبير والصغير بسنده عن عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته فلقى ابن حنيف فشكا إليه ذلك فقال له عثمان بن حنيف إيت الميضاة فتوضأ ثم أتت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل : « اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك فيقضى حاجتى - وتذكر حاجتك - وروح حتى أروح معك ، فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان بن عفان رضى الله عنه فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه على

الطَّنْفِيسَةَ فَقَالَ مَا حَاجَتِكَ ؟ فَذَكَرَ حَاجَتَهُ وَقَضَاهَا لَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ مَا ذَكَرْتَ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَ السَّاعَةَ . وَقَالَ مَا كَانَتْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَاذْكُرْهَا ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَ عَثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ فَقَالَ لَهُ جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى حَتَّى كَلَّمْتَهُ فِي ، فَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ وَاللَّهِ مَا كَلَّمْتَهُ وَلَكِنْ شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ فَشَكَاَ إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ ، وَسَاقَ الْقِصَّةَ الْمَتَقَدِّمَةَ فِي حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ الَّذِي سَبَقَ قَرِيبًا . ثُمَّ قَالَ وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ وَقَالَ الْعَلَامَةُ الْمُحَدِّثُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي كِتَابِهِ السَّابِقِ لَمْ يَنْصَحْ فِي مَعَايِمِهِ عَلَى تَصْحِيحِ حَدِيثٍ غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ وَأَقْرَبُهُ عَلَى هَذَا التَّصْحِيحِ الْحَافِظَانِ زَكِيُّ الدِّينِ الْمَنْدَرِيُّ وَنُورُ الدِّينِ الْهَيْثَمِيُّ أَه . وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَافِظُ ابْنُ خَزِيمَةَ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الدَّعَاءِ وَأَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَاللَّفْظُ لَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا فَإِنِّي لَمْ أَخْرَجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا رِيَاءً وَلَا مَعَمَّةً وَخَرَجْتَ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، فَاسْأَلُكَ أَنْ تَعِيدَنِي مِنَ النَّارِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ » قَالَ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي الْمَغْنَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ : إِنَّهُ حَسَنٌ وَأَخْرَجَهُ ابْنُ السَّنِيِّ فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَنْ بِلَالٍ مُؤَدِّنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ آمَنْتُ بِاللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ » الْحَدِيثُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ مُخْرَجِي بَدَلَ مَمْشَايَ ، وَقَالَ بَعْدَ أَنْ تَعِيدَنِي مِنَ النَّارِ وَتَدْخُلَنِي الْجَنَّةَ . قَالَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ مَرْتَضَى الزُّبَيْدِيُّ فِي شَرْحِهِ لِلْأَحْيَاءِ فِي تَفْسِيرِ السَّائِلِينَ : هُمُ الْمُتَضَرِّعُونَ إِلَى اللَّهِ بِمَخَالِصِ طَوِيَّاتِهِمْ ، وَهَذَا أَحْصَى أَوْصَافَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَنَفَعْنَا بِهِمْ . أَه . وَكَفَى بِهَذِهِ الْإِحَادِيثِ حُجَّةً عَلَى الْعَمَلِ بِهَذَا النَّوْعِ وَشَمُولِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لَهُ لِمَنْ أَنْصَفَ . وَالنَّوْعُ الثَّانِي مِنَ التَّوَسُّلِ بِأَهْلِ الْفَضْلِ هُوَ أَنْ يُطْلَبَ التَّوَسُّلُ مِنَ التَّوَسُّلِ بِهِ أَنْ

يشفع إلى الله في حوائجه بأن يدعو الله له في قضائها ، فإنه لا معنى لشفاعة عند
الموحدين إلا هذا . والنوع الثالث هو أن يطلب نفس الحوائج منه وهو يريد أن
يتسبب في قضائها من الله تعالى بشفاعته فيها عند الله سبحانه ودعائه ربه في
قضائها للتوسل ، فيرجع إلى النوع الثاني كما لا يخفى . وظاهر أن كلا النوعين
لا يتصور إلا بعد وجود المتوسل به وكل منهما ثابت من فعل الصحابة معه
ﷺ في حياته الدنيا وبعد وفاته في حياته في البرزخ ، فلا وجه لإخراجها من
الآية الكريمة ، أما ما كان منهم معه في حياته الدنيا صلى الله عليه وعليهم فهو
مشهور مستفيض بل متواتر امتلأت به كتب الأحاديث كلها ، لا يرتاب فيه
سني ولا مبتدع ، وقد كانوا رضي الله عنهم يفرعون إليه عند النوائب ولا بأس
بذكر شيء من ذلك تبركا . أخرج البخاري في أبواب الاستسقاء من صحيحه
عن أنس بن مالك رضي الله عنه من طرق قال « بينا النبي **ﷺ** يخطب يوم
الجمعة إذ دخل رجل من باب المسجد فاستقبل النبي **ﷺ** قائما فنادى يا رسول
الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يفتينا ، فرفع يديه **ﷺ** فقال :
اللهم أغثنا ، ثلاثا . قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحب فطرنا
يومنا هذا والذي يليه إلى الجمعة الأخرى ، فجاء ذلك الرجل أو غيره . وقال يا رسول
الله تهدمت البيوت وتقطعت السبل وهلك المواشي ، فرفع يديه **ﷺ** وقال : اللهم
حوالينا ولا علينا ، وجعل يشير بيده فلا يشير إلى ناحية إلا أنجاب عنها
السحاب ، وخرجنا نمشي في الشمس . وأخرجه مسلم وفيه « فجعلت تمطر حول
المدينة ولا تمطر بالمدينة قطرة ، فنظرت إلى المدينة وإنما مثل الأكليل . » وأخرج
البيهقي في الدلائل أن أعرابيا جاء إلى النبي **ﷺ** فقال يا رسول الله أتيناك ومالنا
بغير يسط ولا صبي يسط ثم أنشده شعرا يقول فيه :

أتيناك والمذراء يدمى لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

إلى أن قال

وليس لها إلا إليك فرارنا وأين فرار الناس إلا إلى الرسل
فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه فقال : اللهم اسقنا . . وذكر دعاء
إلى أن قال : فما رد النبي ﷺ يده حتى ألقت السماء بأرواقها ، وجاء الناس يضحجون
الغرق الغرق . فقال النبي ﷺ « حوالينا ولا علينا » فأنجبت السحاب عن المدينة
وضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه . ثم قال لله در أبي طالب ، لو كان حيا
قوت عيناه . من ينشدنا قوله ، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا رسول الله
كانك تريد قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وتواصل
وقوله (يئط) بفتح فكسر وطاء مشددة من الأظيط وهو هنا صوت البعير
من ثقل الحمل . ويفط كيئط ، من الفطيط وهو صوت النائم ، والكلام كناية عن
شدة الفقر والجوع والقحط . ويدي كيسي واللبان بالفتح - الصدر ، وهو كناية
عن الجهد ، وأرواق السحاب مياهها الصافية جمع روق بفتح فسكون . وأخرج
البخاري عن عبد الله بن مسعود أن قریشا أبطؤا عن الإسلام فدعا عليهم النبي
ﷺ فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام . فجاءه أبو سفيان
فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وإن قومك هلكوا فداع الله تعالى ، فدعا
رسول الله ﷺ فسقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعا وشكا الناس كثرة المطر قال
الله حوالينا ولا علينا . فأنحدرت السحابة عن رأسه فسقوا والناس حولهم قال
الحافظ في الفتح والظاهر أن ذلك كان بمكة . وأخرج عن أبي هريرة « أنه شكا
إليه ﷺ النسيان لما يسمع من حديثه الشريف ، وهو يريد أن يزول عنه ذلك ،
فأمره ﷺ أن يبسط رداءه فبسطه فقف يده الشريفة من الهواء في الرداء ثم
قال ضمه فضمه قال أبو هريرة فما نسيت شيئا بعد . وثبت أنهم شكوا إليه
الحى « فدعا الله فحوها عنهم » وصح أن قتادة أصيب بسهم في عينه فسالت علي

عنده فالتفت إلى رسول الله فقال عيني يارسول الله « فخيره بين الصبر وبين أن يدعو له فاختر الدعاء فردها عليه الصلاة والسلام إلى موضعها وقال: اللهم اجعلها أحسن عينيه فعادت أحسن ما كانت » وهذا بحر واسع لاسبيل إلى استقصائه . والاحاديث والآثار صريحة في النوعين جميعا . تارة يقولون ادع يارسول الله ، وتارة يرفعون إليه ما يريدون ويطلبون منه الحاجة وهم يريدون الشفاعة فيها إلى الله والدعاء والتسبب بما أقدره الله عليه ، فاذا الحاجة قد قضيت بأذن الله تعالى . وأخرج البخارى عن عبد الله بن عمر : ربما ذكرت قول الشاعر - يعنى قول أبى طالب المار - وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقى فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب . وعن أنس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . وذكر الحافظ فى الفتح عن الزبير بن بكار بأسناده عن عبد الله بن عمر قال استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة - بفتح الراء وتخفيف الميم - بالعباس بن عبد المطلب ثم خطب الناس فقال إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ فى عمه العباس ، واتخذوه وسيلة إلى الله . وكان من كلام العباس لما استسقى به عمر أن قال : اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث . فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الارض وعاش الناس . قال الحافظ ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة ، وفيه فضل العباس وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفة بحقه اه . ومن دعاء العباس الذى ذكرناه لك تعرف أن العباس إنما توسل فى دعائه بالنبي ﷺ ، ألا ترى إلى قوله « وقد توجه القوم بى إليك لمكانى من نبيك » أى لقرابتي منه . فكأنه قال بعد هذه اللفظة « فاحفظ اللهم نبيك فى

« بل روى التصريح بها . ومن خطبة عمر السابقة تعرف جلياً أنه إنما أراد إظهار فضل أهل بيته صلى الله عليه وسلم وعليهم ، وتوقير العباس اقتداء به عليه الصلاة والسلام في توقيره . وتعليم الناس ذلك . وفي قوله رضى الله عنه « واتخذوه وسيلة إلى الله » بمحضر الصحابة أن الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا يفهمون من قوله تعالى (وابتغوا إليه الوسيلة) قصر الوسيلة على الأعمال كما يتشدد به جهلة العصر تبعاً لمن غلط قبلهم في ذلك، وفي رواية بعد قول عمر فاسقنا أنه أمر العباس بالدعاء فقال ادع يا عباس ، فدعا العباس بما سبق . وفي هذا الاثر الصحيح الجمع بين النوعين الأولين والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته على أبلغ وجه - وأما ما كان من الصحابة الكرام معه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فمنه ما أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح كما في الفتح ، والبيهقي في الدلائل بسند صحيح أيضاً عن مالك الدار - وكان خازن عمر - قال : أصاب الناس قحط في زمان عمر فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لأمتك فأنهم قد هلكوا ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم الرجل في المنام فقال : إيت عمر فأقرئه السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس ، فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر رضى الله عنه وقال : يارب ما آلو إلا ما عجزت عنه ، وهو مضارع إلا أى قصر وترك . وذلك الرجل هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة الكرام . وقوله « الكيس » بفتح الكاف وسكون الياء المثناة - النشاط والاجتهاد . وأخرج الدارمي بسند صحيح في (باب ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم بعد الموت) من كتاب السنن له عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله التابعي الجليل قال قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، قال ففعلوا فطرتنا مطراً حتى نبت العشب وسمت الأبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق - وكأنها رضى الله عنها أرادت المبالغة في الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم . وقولها : اجعلوا منه ، أى مما يجازيه

من سقف الحجرة الشريفة كما هو ظاهر . والكوى جمع كوة كقوة والمراد بها
النوافذ الصغيرة - فأنت ترى في أثر بلال بن الحارث الصحابي أنه نادى النبي
ﷺ عند قبره مستغيثا به للأمة أن يستسقى لها ، ولم ينكر عليه أحد ذلك ،
وفي حديث عثمان بن حنيف أن النبي ﷺ علم الضير أن يسأل الله به وأن يناديه
وهو غائب عنه بقوله يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي ، ثم علم عثمان بن حنيف هذا
الدعاء بعد وفاته ﷺ للرجل الذي شكاه إليه إبطاء الخليفة عثمان بن عفان عن
حاجته ففعل الرجل وأخبره ، ولما ظن أن حاجته قضيت بسبب كلامه مع الخليفة
بادر ابن حنيف بنفى ذلك وحدثه بقصة الضير التي شهدها ليثبت له أن حاجته
إنما قضيت بسبب ما علمه من التوسل برسول الله ﷺ وندائه إياه واستغاثته به
وأكد ذلك بالخلف له فإنه قال والله ما كلمته ولا كنى شهدت رسول الله ﷺ ، إلى
آخر ما مر . ومن الضروري أن يعلم هذا الرجل هذا الدعاء لأحبائه ويشيع هذه
البركات التي نالته بسبب توسله بالنبي ﷺ واستغاثته به . والمهد عهد الصحابة
والتابعين . ولم ينقل عن أحد من السلف والذين رووا هذا الحديث أن أحدا
توقف في حله فضلا عن أن جعله مكرها فضلا عن أن يكون حراما فضلا عن
أن يكون شركا ، والكتب المذكور فيها هذه الآثار والأحاديث هي لأكابر
متقدمين قد تداولها علماء الأمة لاسيما طلبة الحديث وقد كانوا في تلك العهود
جل أهل العلم ، ولا يظن ظان أن أهل العلم في تلك العهود كانوا من الجهل بفن الحديث
على ما يرى في هذا الزمان . ومن أراد أن يعرف قدر عنايتهم بجمع الحديث
حفظا وكتابة ومدارسة فليرجع إلى التاريخ فسيجد أن الأجزاء الصغيرة ، فضلا
عن السنن والمسانيد والمعاجم والجوامع والمستخرجات والمستدركات كانت بينهم
مشهورة متداولة محفوظة في الصدور حفظها في السطور ، أفيعقل أن يكون فيها
الشرك . أثورا عن الصحابة والتابعين ويسكتون عن بيان وضع تلك الأحاديث
والآثار ! حاشا وكلا ، فالتوسل بالنبي ﷺ والصالحين سواء كان من النوع

الأول وهو أن يسأل الله الحاجة بهم ، أو النوع الثاني وهو طلب الدعاء منهم ، أو الثالث وهو رفع الحاجة إليهم بعد وفاتهم لم يزل بين العلماء متعارفا سلفا وخلفا يرجون بركته ويحقق الله رجاءهم في الأعم الأغلب ، ولا يجدون في صدورهم حرجا من ذلك ، فأنهم إنما يطلبون حوائجهم من الله ويسألونه ، ويعلمون أنه الخالق لأرب غيره ، وأن النبي ﷺ وصالحى أمتة في حياتهم وبعد وفاتهم قد جعلهم الله أسبابا لقضاء حوائج عباده بشفاعتهم ودعائهم فضلا منه ورحمة . ونداء الصالح حيا أو ميتا حاضرا أو غائبا ليتوجه إلى الله في شأن المنادى الموحد ليس إلا استفتاحا لرحمة الله تعالى ببعض ما جعل من مفاتيحها له والمستغيث برسول الله ﷺ ليس طالبا منه أن يخلق مع الله شيئا ولكنه طالب منه أن يدعو له ، والأنبيا أحياء في قبورهم ، يطلعهم الله على ما شاء من أحوال هذا العالم - وقد جمع الحافظ البيهقي جزءا في حياة الانبياء . وقد ثبت أن النبي ﷺ تعرض عليه أعمال أمتة كل يوم ، بكرة وعشيا ، ويبلغ صلاة المصلين عليه في أقطار الأرض عقب انتهائهم منها ويدعو لهم . واجتماع الأنبياء به عليه وعليهم الصلاة والسلام في الأرض والسماء ودعاؤهم له مشهور في الأحاديث الصحاح . وفيما أظهر الله في هذا الزمان من سماع المصرى في مصر صوت الأمريكى وهو فى أمريكا بواسطة التيار الكهربي المادى المتبادل ما يقرب للجاهلين ما قال أهل البصائر فى أمر العالم الروحاني وسماعه من الأحياء فى هذا العالم لا سيما الأرواح العليا المحبوبة للحق جل وعلا والتسبب به ﷺ ورجاء بركة الله بالتعلق به هو من أقوى ما يستجلب به الخير ولا يفسد التوسل بالأنبيا والصالحين إلا أن يجعلهم أربابا من دون الله ويتخذ هذا الجمل وسيلة إليهم أن يشفعوا له ، فهذا لا ينفعه شيء من التوسل ولا غيره لأنه باعتقاد الربوبية أو شيء من خواصها لغيره تعالى صار كافرا مشركا كما فعل النصارى مع المسيح اتخذوه ربا ليشفع لهم عند أبيه تعالى الله عما قالوا وكما فعل الوثنيون فيما حكى الله عنهم من قولهم (ما نعبدكم إلا

ليقربونا إلى الله زلفى) والعبادة شرعا كما مر لا تتحقق إلا إذا اعتقد الربوبية
فيعن خضع له وليس في المسلمين كلهم أثر من هذا . أما من لم يعبد إلا الله وحده ثم
امتلا بتعظيم حبيبه المصطفى وكُمّل أتباعه وتوسل إلى الله بهم على أى نحو من
الأنحاء السابقة فهو أهل أن يحقق الله رجاءه ، وهو حال المسلمين المتوسلين من
الخاصة والعامّة في كل عصر بحمد الله ، لا يعرفون خلافة وهو سبيل المؤمنين
والعلماء العاملين من أهل السنة قديما وحديثا . ولم نر أحدا أنكر ذلك إلا رجلا
في القرن الثامن وتعصب له ناس ابتلوا بما ابتلى به فجعل يلبس على العامّة
وتصدى علماء عصره لردّ بدعته هذه ولرد بدعه الأخرى ، ذلك الرجل هو
(ابن تيمية) وكان هذا الرجل أولا متشبها بالصالحين ثم انسلخ عن ذلك إلى
التشنيع على علماء الأمة بتفسيقهم وتكفيرهم . وأنقل لك عبارات بعض
الأفاضل فيه وأبدأ بعبارة الذهبي من نصيحة بعث بها إليه . قال فيها يخاطبه :
طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وتبا لمن شغله عيوب الناس عن عيبه ،
إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك ، إلى كم تمدح نفسك
وشقاشتك وعباراتك وتذم العلماء . . . إلى أن قال : كان سيف الحجاج ولسان
ابن حزم شقيقين فواخيتهما . ثم قال : إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد
يا خيبة من اتبعك فانه معرض للزندقة والانحلال ، لا سيما إذا كان قليل العلم
والدين باطوليا شهوانيا لكنه ينفك ويجاهد عندك بيده ولسانه ، وفي الباطن
عدو لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط ، خفيف العقل أو عاى
كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوى المكر ، أو ناشف صالح عديم الفهم
فان لم تصدقني ففتسهم زنتهم بالعدل . . إلى كم تصادق نفسك وتعادى الأخيار
إلى كم تصادقهم وتزدرى الأبرار إلى كم تعظمها وتصغر العباد إلى كم تخالها
وتقت الزهاد إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح — والله — بها أحاديث
الصحيحين ، يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك ، بل فى كل وقت تغير

عليها بالتضعيف والأهدار ، أو بالتأويل والانكار ، أما آن لك أن ترعوى أما
حان لك أن تتوب وتنيب ؟ أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل ؟ إلى
أن قال : فما أظنك تقبل على قولي ولا تصغى إلى وعظي ، بل لك همة كبيرة في
نقض هذه الورقة بمجلدات ، وتقطع لي أذنان الكلام ولا تزال تنتصر حتى أقول
البتة سنكت ، فاذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحب الواد ، فكيف
حالك عند أعدائك ، وأعدائك والله فيهم صلحاء ، وعقلاء وفضلاء ، كما أن
أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة ، وبطلة وعور وبقر . اه ما أردنا نقله منها ،
وقد نقلها بتامها العلامة المحقق الزاهد الكوثري في كتابه (التكملة على شرح
شيخ الاسلام تقي الدين علي السبكي) وقد كان شيخ الاسلام التقي معاصرا
للذهبي وابن تيمية وولي مشيخة دار الحديث وخطابة الجامع الأموي بدمشق
ومدحه الذهبي بقوله

ليهن المنبر الاموي لما علاه الحاكم البحر التقي
شيوخ العصر أحفظهم جميعا وأخطبهم وأقضاهم على
فهذه شهادة الذهبي على ابن تيمية ولشيخ الاسلام التقي ، فانظر ما قال
شيخ الاسلام التقي في ابن تيمية حين أظهر بدعة تحريم الزيارة المحمدية وإنكار
التوسل والاستغاثة بحضرته عليه الصلاة والسلام في كتابه (شفاء السقام) قال
رضي الله عنه

﴿ الباب الثامن في التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ ﴾
اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه
سبحانه وتعالى ، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين المعرفة
من فعل الانبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام من المسلمين ،
ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ، ولا سمع به في زمن من الأزمان ، حتى جاء ابن
تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار ، وابتدع ما لم يسبق

إليه في سائر الاعصار . إلى أن قال : وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثه والتوسل قول لم يقله عالم قبله ، وصار به بين أهل الاسلام مثله . ثم قال وأقول : إن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم جائز في كل حال قبل خلقه و بعد خلقه في مدة حياته في الدنيا و بعد موته في مدة البرزخ و بعد البعث في عرصات القيامة والجنة . ثم ذكر الأنواع الثلاثة وفصلها نوعا نوعا مبينا مستدلا ، إلى أن قال : والنوع الثالث من التوسل أن يطلب منه ذلك الأمر المقصود بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم قادر على التسبب فيه بسؤاله ربه وشفاعته إليه فيعود إلى النوع الثاني في المعنى ، وإن كانت العبارة مختلفة . ومن هذا قول القائل للنبي صلى الله عليه وسلم : أسألك مرافقتك في الجنة . قال : « أعني على نفسك بكثرة السجود » . قلت : أخرجه مسلم . قال : ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك إلا كون النبي صلى الله عليه وسلم سببا وشافعا ، . إلى أن قال وليس المراد نسبة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الخلق والاستقلال بالأفعال ، هذا لا يقصده مسلم ، فصرف الكلام إليه ومنعه من باب التلبيس في الدين والتشويش على عوام الموحدين . وإذ قد تحررت هذه الأنواع والأحوال في الطلب من النبي صلى الله عليه وسلم وظهر المعنى فلا عليك في تسميته توسلا أو تشفعا أو استغاثة أو تجوها أو توجها ، لأن المعنى في جميع ذلك سواء « اه وقال الامام القدوة ، حامى السنة وقامع البدعة ابن الحاج المعاصر لابن تيمية أيضا ، وقد توفي بعده بتسع سنين في كتابه (المدخل) في فصل زيارة القبور : « وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي إليهم الزائر ويتعبد عليه قصد من الأماكن البعيدة ، فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل ، والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار والخضوع ، ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره ، لأنهم لا يبأون ولا يتغيرون ، ثم يثنى على الله تعالى بما هو أهله ، ثم يصلي عليهم ويترضى عن أصحابهم ، ثم يترحم على التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين ، ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء ما ربه ومغفرة ذنوبه

ويستغث بهم ويطلب حوائجهم منهم ، ويجزم بالاجابة ببركتهم ، ويقوى حسن ظنه في ذلك ، فانهم باب الله المفتوح ، وجرت سنته سبحانه وتعالى بقضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم . ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم ، ويذكر ما يحتاج اليه من حوائجهم ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك ، فانهم السادة الكرام ، والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل بهم ، ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم . هذا الكلام في زيارة الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً . قال رضى الله عنه ﴿ فصل ﴾ وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه فكل ما ذكر يزيد عليه أضافه أعنى في الانكسار والذل والمسكنة ، لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا ينحيب من قصده ، ولا من نزل بساحته ، ولا من استعان أو استغاث به ، إذ أنه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال ، وعروس المملكة ، ثم قال : فمن توسل به أو استغاث به أو طلب حوائجهم منه فلا يرد ولا ينحيب لما شهدت به الملائكة والآثار ، ويحتاج إلى الأدب الكلى في زيارته عليه الصلاة والسلام . وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم . إن الزائر يشمر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته ، إذ لا فرق بين موته وحياته - أعنى في مشاهدته لأئمة ومعرفة بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لا يخفاء فيه - إلى أن قال : فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حظ أحوال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا ، لأن بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمتها عنده ربه لا يتعاضد بها ذنب ، إذ أنها أعظم من الجميع ، فليستبشر من زاره وليلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام من لم يزره . اللهم لا تحرمنا من شفاعته بمحرمته عندك آمين يارب العالمين ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم . اه بحروفه .

وقال الامام الفقيه المجمع على جلالاته وفضله شهاب الدين ابن حجر الميسي

في كتابه « الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم » فان قلت :
كيف تحكى الاجماع السابق على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها ؟ وابن
تيمية من متأخري الحنابلة منكر لمشرعية ذلك كله كما رآه السبكي في خطه ، وأطال
أعنى ابن تيمية في الاستدلال لذلك بما تمججه الاسماع وتنفر عنه الطباع ، بل زعم
حرمة السفر لها إجماعاً ، وأنه لا تقصر فيه الصلاة وأن جميع الاحاديث الواردة
فيها موضوعة ، وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه ؟ قلت : من هو ابن
تيمية حتى ينظر إليه أو يعول في شيء من أمور الدين عليه ؟ وهل هو إلا كما قال
جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى أظهروا
عوار سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته كالعز بن جماعة : عبد أضله الله تعالى وأغواه
وألبسه رداء الخزي وأرداه ، وبوأه من قوة إلفتراه والكذب ما أعقبه الهوان
وأوجب له الحرمان . وقال في فتاواه الحديثية نحواً من هذا حين سئل عنه .
وبالجملة فهذا الرجل ينطبق عليه كل الانطباق ما أخرج أبو نعيم بسند جيد عن
حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن مما أتخوف عليكم رجلاً
قرأ القرآن حتى إذا ريئت عليه بهجته ، وكان رداءً للإسلام غيره الله إلى ما شاء
فانسلخ منه ونبذه وراء ظهره وخرج على جاره بالسب ورماه بالشرك قلت : يا رسول
الله أيهما أولى بالشرك ؟ الرامى أم المرمى ؟ قال : بل الرامى » قوله ريئت بمعنى
رؤيت وكذلك كان هذا الرجل ، بدأ حياته بطلب العلم على ذكاء وتصالح ، ورفق
به أ كابر العلماء لأن أباه كان رجلاً هادئاً ، وكان من بيت علم ، فساعده وشجعوه
وأثنوا عليه خيراً ، حتى إذا أقبل عليه الناس بدأ يظهر بالبدع وأبطرته الغرة
قمادى في التعصب لآرائه ، وما زال يتلاعب به الهوى حتى كان مجموعة بدع
شنعاء ودائرة جهالات وأباطيل شوهاه ، منها ما سبق به ومنها ما لم يسبق إليه
فتجده في مسائل من علم التوحيد حشواً كرامياً ، يقول في الله بالاجزاء والجهة
والمكان ، والنزول والصعود الحسين وحلول الحوادث بذاته تعالى ، ومن ناحية

أخرى تجد فيه حضيضة الخوارج ، يكفر أكابراً الأمة ويخطئ أعظم الأئمة وقال :
من نذر شيئاً للنبي ﷺ أو غيره من النبيين والأولياء من أهل القبور أو ذبح له
ذبيحة كان كالمشركين الذين يذبحون لأوثانهم وينذرون لها فهو عابد لغير الله
فيكون بذلك كافراً ويطلق في ذلك الكلام - واغتر بكلامه بعض من تأخر عنه
من العلماء ممن ابتلى بصحبته أو صحبة تلاميذه وهو منه تلبيس في الدين ، وصرف
إلى معنى لا يريد مسلم من المسلمين . ومن خبر حال من فعل ذلك من المسلمين
وعدم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للميتين من الأنبياء والأولياء إلا الصدقة
عنهم ، وجعل نوابها إليهم ، وقد علموا أن أجماع أهل السنة منعقد على أن صدقة
الاحياء نافعة للأموات ، واصلة إليهم ، والاحاديث في ذلك صحيحة مشهورة
فمنها ما صحح : عن سعد أنه سأل النبي ﷺ قال يا نبي الله إن أمي قد اقلنت
وأعلم أنها لو عاشت لتصدقت أفأن تصدقت عنها أينفعها ذلك ؟ قال : نعم .
فسأل النبي ﷺ أي الصدقة أنفع يا رسول الله ؟ قال الماء فحفر بئراً وقال : هذه
لأم سعد . فهذه الملام هي الداخلة على الجهة التي وجهت إليها الصدقة لاعلى
المعبود المتقرب إليه ، وهي كذلك في كلام المسلمين ، فهم سعديون لا وثنيون ،
وهي كاللام في قوله إنما الصدقات للفقراء ، لا كاللام التي في قول القائل صليت
لله ونذرت لله فاذا ذبح للنبي أو المولى أو نذر الشيء له ، فهو لا يقصد إلا أن يتصدق
بذلك عنه ، ويجعل نوابه إليه فيكون من هدايا الأحياء للأموات المشروعة
المناب على إهدائها والمسألة مبسطة في كتب النكح وفي كتب الرد على هذا الرجل
ومن شايعه ، وقال من طاف بقبور الصالحين أو تمسح بها كان مرتكباً أعظم
المعاصي وأتى بكلام ملتبس فمرة يجعله من الكبائر وأخرى من الشرك إلى مسائل
من أشباه ذلك قد فرغ العلماء المحققون والفقهاء المدققون من بحثها وتدوينها قبل
أن يولد هو بقرون ، فيأبى إلا أن يخالفهم وربما عصى الاجماع على ما يقول وكثيراً
ما يكون الاجماع قد انعقد قبله على خلاف قوله كما يعلم ذلك من أنعم النظر في

كلامه وكلام من قبله وكلام من بعده ممن تعقبه من أهل الفهم المستقيم والنقد
السلام . وإليك مثالا التمسح بالقبر أو الطواف به من عوام المسلمين فأهل العلم
فيه على ثلاثة أقوال الجواز مطلقا والمنع مطلقا على وجه كراهة التنزيه الشديدة
ولكنها لا تبلغ حد التحريم . والتفصيل بين من غلبه شدة شوق إلى المزور
فتنتى عنه هذه الكراهة ومن لا فالأدب تركه وأنت إذا تأملت في الأمور التي
كفر بها المسلمين وجعلها عبادة لغير الله وجدت حجته ترجع إلى مقدمتين صدقت
كبراهما وهي : كل عبادة لغير الله شرك وهي معلومة من الدين بالضرورة ثم يسوق
عليها الأدلة والآيات الواردة في المشركين . وكذبت صغراهما وهي قوله كل نداء
لميت أو غائب أو طواف بقبر أو تمسح به أو ذبح أو نذر لصاحبه الخ الخ فهو
عبادة لغير الله ثم يسوق الآيات والأحاديث الصحاح التي لم يفهمها أو تعمد
تأويلها على غير وجهها ثم يخرج من هذا القياس الذي فسدت إحدى مقدمتيه
بنتيجة لا محالة كاذبة وهي أن جمهور المسلمين إلا إياه ومن شايعه مشركون كافرون
وقد أجاد تلخيص هذا المذهب وأدلته وتزييفها منطقيًا وأصوليًا كل الاجادة سيد
أهل التحقيق وتاج أهل التدقيق الامام أبو عبد الله محمد بن عبد المجيد الفاسي
المتوفى سنة تسع وعشرين ومائتين وألف في مؤلف رد به على ذلك المذهب
ينطق بعلو كعب هذا الامام وتفوقه على كثير من الاعلام في المعقول والمنقول
وهذا مجمل من القول قد فصله العلماء قبلنا بما لا مزيد عليه فيما صنوه لرد
مقرياته شكرا لله سبحانه . ولولا ما قاموا به من ذلك لانقلبت البلاد الاسلامية
كلها إلى براكين من الاخطار التي لا يعلم مدى أضرارها إلا الله عز وجل
ولقد تعدى هذا الرجل حتى على الجناب المحمدي ، فقال : إن شد الرحال
إلى زيارته معصية . وأن من ناداه مستغينا به عليه الصلاة والسلام بعد وفاته فقد
أشرك ، فتارة يجعله شركا أصغر وأخرى يجعله شركا أكبر ، وإن كانت
المستغيث ممثلي القلب بأنه لا خالق ولا مؤثر إلا الله ، وأن النبي صلوات الله إنما ترفع

إليه الخواص ويستغاث به ، على أن الله جعله منبع كل خير ، مقبول الشفاعة مستجاب الدعاء ﷺ ، كما هي عقيدة جميع المسلمة مهما كانوا من العامة .
و بنى القول : في تكفير المسلمين بما كفرهم على أن توحيد الربوبية لا يستلزم التوحيد في العبادة ، وأن الرسل إنما جاءوا بالثاني ولفقوا الألفاظ إلى الأول الذي كان عليه المشركون ولم يتفطن إلى ما اعتبره الشرع في معنى العبادة الذي قدمناه . ولا إلى ما امتلأت الأرض به من القول بالتثنية والتثليث والتربيع فما فوقه للأرباب ، ولا إلى ما أجمع عليه العقلاء وأفاده الكتاب العزيز بوضوح والأحاديث الصحاح من التلازم بينهما . وقد قدمنا ذلك . فارجع إليه إن شئت وقد أوضح ذلك كل الإيضاح قبلنا أكبر جهابذة لاسيما علم أعلام هذا العصر حامل لواء الحكمة الإسلامية وأحد جماعة كبار العلماء بحق الشيخ يوسف الدجوي فيما كتبه في مجلة الأزهر أدام الله تأييده بروح منه وجلله بالعافية من لدنه . وهذه البدعة من مبتكراته قد اغتر بها ناس فقالوا بكفر من عداهم من جماهير المسلمين وسفكت في ذلك دماء لا تحصى . وقد ألفت الكتب الكثيرة في رد هذه البدعة وفروعها بين مطول قد جوده صاحبه ، ومختصر أفاد مؤلفه وأجاد ، ومن عجيب أمر هذا الرجل ، أنه إذا ابتدع شيئا حكى عليه إجماع الأولين والآخرين كذبا وزورا ، وربما تجد تناقضه في الصفحة الواحدة ، فتجده في منهاجه مثلا يدعي أنه ما من حادث إلا وقبلة حادث إلى ما لا نهاية له في جانب الماضي ، ثم يقول : وعلى ذلك أجمع الصحابة والتابعون ، وبعد قليل يحكى اختلاف لحق الصحابة في أول مخلوق ما هو ؟ أهو القلم أم الماء ؟ ؟ وبينما تراه يتكلم بلسان أهل الحق المنزهين إذا بك تراه قد انقلب جهويا وسمى كل من لا يقول بذلك معطلا وزنديقا وكافرا ، وقد جمع تلميذه ابن زفيل سفاهاته ووساوسه في علم أصول الدين في قصيدته النونية ، وبينما تراه يسب جهما والجهمية إذا بك تراه يأخذ بقوله في أن النار تفتى وأن أهلها ليسوا خالدين فيها أبدا ، على حين يعيب ابن العربي

الحاتمي بقوله إن العذاب ينقلب عذبا على الكفار والنار كما هي أبدا وهم خالدون فيها أبدا ، كما قال القرآن ، ويبدعه بذلك القول ، فأى الرجلين أدخل في البدعة احكم منصفنا ، وفتح أبواب استباحة الفروج فنقل الثقات عن خطبه القول بأن الطلاق الثلاث إذا جمع في لفظة واحدة لا يقع أصلا والمشهور عنه القول بأنه يقع واحدة ، ويحكي على ذلك الاجماع ، وقد علم أهل العلم أن الاجماع من عهد عمر إلى زمانه منعقد على خلافه : قال الحافظ بن حجر في الفتح بعد ما ذكر أجوبة العلماء عن الحديث الذي تمسك بظاهره هذا المبتدع ، وبعد ما حكى خلافا عن بعض الناس قال في آخر البحث « وفي الجملة فالذي وقع في هذه المسألة نظير ما وقع في مسألة المتعة سواء ، أعني قول جابر : إنها كانت تفعل في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وصدر من خلافة عمر ، قال ثم نهانا عمر عنها فأنهينا ، فالراجح في الموضعين تحريم المتعة وإيقاع الثلاث للاجماع الذي انعقد في عهد عمر على ذلك ، ولا يحفظ أن أحداً في عهد عمر خالفه في واحدة منهما ، وقد دل إجماعهم على وجود ناسخ وإن كان خفي عن بعضهم قبل ذلك حتى ظهر لجميعهم في عهد عمر ، فالخالف بعد هذا الاجماع منابذ له ، والجمهور على عدم اعتبار من أحدث الاختلاف بعد الاتفاق ، اهـ بحروفيه .

ولم يكتف - أعني ابن تيمية - في باب الطلاق بهذا القدر ، بل قال : إن الطلاق المعلق على وجه اليمين ولو ثلاثا كأن دخلت الدار فأنت طالق . وحكى عن الصحابة أنهم لم يتكلموا في المسألة فضلا عن أنها وقعت منهم ، ولا يخجل من أن البخاري ذكر في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم عن ابن عمر أنه سئل عن رجل قال لامرأته أنت طالق البتة إن خرجت ، فقال : إن خرجت فقد بانت منه ، وأن لم تخرج فليس بشيء . وصح عن ابن مسعود أنه سئل عن قال لامرأته : (إن فعلت كذا وكذا فهي طالق) ففعلته قال : هي واحدة وهو أحق بها ، وكذلك رويت آثار صحاح عن علي في القول بوقوع الطلاق المعلق عند وقوع المعلق

عليه ، وكذلك صح عن أبي ذر علقه تعليقا ، ومن العجيب أنه بعد ما حكى عن الصحابة أنهم لم يتكلموا في هذه المسألة بحكى عنهم أنهم قائلون بقوله ، ويعمد إلى آيات يتأولها على غير وجهها ، يضل بها العامة والقرابين من درجاتهم من أهل العلم ، ويحكي الخلاف في وقوع الطلاق المعلق على وجه اليمين كذبا وزورا ، وقد حكى الاجماع على وقوع الطلاق المعلق مطلقا - الامام الشافعي ، والامام أبو عبيد القاسم بن سلام ، والامامان أبو بكر بن المنذر وأبو جعفر الطبري . والامام محمد بن نصر المروزي والحافظ ابن عبد البر في كتابيه التمهيد والاستذكار ، في آخرين يطول ذكرهم .

وليس من غرضنا بسط الكلام في بدع هذا الرجل فقد كفانا العلماء شكر الله سعيهم من عصره إلى هذا العهد الموثق بالتصانيف الممتعة في الرد عليها ، وإنما أردنا أن نذبحك أيها الاخ المشفق على دينه على خطر هذا الرجل وشدة جراته على الله ورسوله وكتابه . وعلماء هذه الامة وأئمتها . وقد سبق للمحاكمة مرارا فتارة ينكر ، وأخرى يعترف ويعلم رجوعه ثم لا يلبث أن ينقض عهده . وكان كثير من أهل العلم يتوقفون في أمره وينفون عنه كثيرا مما هو قائل به لاختفاء مصنفاته ، حتى إذا رفع الجهل رأسه في عصرنا هذا انتدب ناس من شيعته لطبع الكثير من كتبه وكتب تلميذه ابن زفيل ، ففضحوا الرجل وشهروا به عند المحققين من أهل الفقه في الدين ، وتبينت صحة نسبة ما كان يتورع العلماء عن نسبته إليه ، حسن ظن بالرجل . وإن نصيحتي التي أسديتها لكل مسلم نصيحة الله ورسوله وكتابه ، وأئمة المسلمين وعامتهم هي لزوم جماعة المسلمين في أصول الدين وفروعه كما أسلفنا الإشارة إليه في المقدمة .

ولولا أنني أشفق على القارى أن يمل لتحدثت إليه طويلا فيما أصاب الأسلام والمسلمين من عظام هذا الرجل ، ولبسطت له ما قاله كبار العلماء فيه وفي شيعته ، ولكنى أرجو أن يكون ما قدمناه كافيا لذوى النهى - وأحمد الله

الذي تفضل علينا بالنجاة من بدعه مع كثرة ما قرأنا من كتبه ، وكتب شيعته
قديما وحديثا ، ونسأله أن يديننا على السنة ويتوفانا عليها غير محرفين ولا
منحرفين هداة مهتدين بجاه أفضل أنبيائه وخاتم رسله وأجل أصفائه ، وبجاه
سائر أنبيائه الكرام ، وسائر الصالحين من أهل السموات والأرضين ، على
نبينا وعليهم من الصلوات أفضاها ، ومن التسليماتأكملها — والحمد لله
رب العالمين .

وكان الفراغ من هذه الرسالة ليلة الخميس السادس من ربيع الثاني
سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف من هجرة حامل لواء
العز والشرف صلى الله عليه وعلى آله وسلم
كلما ذكره الذاكرون وغفل عن
ذكره الغافلون

﴿ كلمة لصاحب الامضاء ﴾

يستطيع الإنسان أن يدرك سر جمال الكون ويخترق بنظراته تلك الحجب الكشيفة فيرى عظمة هذا الملكوت ، ويشاهد في صفحته ما تنطوي عليه قائقه وجلالته فينظر إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت مما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم ، فاذا أعوزك الشعور إلى السعادة فانظر ببصرك و بصيرتك إلى هذه الرسالة الربانية ، والنفحة الإلهية (فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان) فانك ترى فيها آيات قد فصلت ومعان قد أحكمت وأسرارا قد نشرت وحكما قد ظهرت وتدرك فيها كأنها خطاب السماء إلى الأرض ووحيه إلى العباد يهدي بها من يشاء إلى الحق وإلى طريق مستقيم ولا غر وفانها مظهر من خواطر ذلك القطب الرباني وآية من آيات ذلك النور الروحاني (أستاذنا ومولانا الشيخ سلامة العزامي) ذلك الذي اتصل قلبه بجلال الخالق وجمال توحيده حتى أصبح سرا من الأسرار وصوره من الروح تعجز عن وصفها العقول وتحار في كنهها الأفتدة فما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ما

وإني مع عجزى وتقصيري أقف عند قولى

سل عن (سلامة) قاصيها ودانها	تستلهم النفس ما يجلو غواشيها
لابدع إن هم في الأيام يصرفها	عن غيبها وبنور الله يهديها
يفيض علما وآيات مفصلة	كأنها روح وحى الله تنزيها
لم يطلب المجد في الدنيا بدعوته	بوجه الروح للرحمن توجيهها
بقوة الحق قد أدى رسالته	وما يزال يؤديها ويذكيها
وهذه آية الفرقان شاهدة	تشع نورا على الدنيا ومن فيها
أدامه الله مشكاة وتبصرة	وللحنيفة حصنا من أعاديها
محمد الفقى . من علماء الأزهر الشريف	بدار الكتب المصرية

فهرس الفرقان

ص	ع	ص	ع
٦	خطبة الكتاب	١٣	وفاة الامام أبي منصور الماتريدي
٧	وفاة السيد محمد البرزنجي		وأبي الحسن الأشعري
٨	بيان حالة المدعين لخدمة الدين	١٤	بيان أن الأئمة الاربعة والمبرزين
	وسبب انتشار هذه الدعوى		من أتباعهم هم الحاملون للفقاه الشرعي
٩	معجزة النبي باقية في كل عصر	٠٠	وفاة الجنيد وأبو القاسم القشيري
١٠	فصل مامن بدعة إلا وفي كتاب	٠٠	نصيحة قيمة في التحذير من بدع
	الله وستة رسوله الرد عليها		مدعى السلفية وبيان أخطر هذه البدع
١٠	بيان أن أهل العلم ليسوا سواسية	١٥	استغلال المتسلفة لجهل الناس بالفرق
٠٠	الحجر على غير الفقيه أن يخوض	٠٠	فصل إن من أراد فهم هؤلاء الفرق الخ
	فيما رواه	١٦	وفاة مقاتل بن سليمان وما شهد به
١١	الكلام على حديث لا تقوم الساعة		إمام الأئمة أبو حنيفة فيه وفي جهم
١١	الكلام على حديث يحمل هذا العلم	٠٠	جواب الامام مالك ومارواه اللالكائي
٠٠	بيان أن بعض الحفاظ وقع في الخطأ	١٧	بيان في أن العالم لا يحدث فوق
	نحوه فيما لا يحسنه		ادراك المخاطب
١٢	الكلام في أن من أحسن فنا الخ	٠٠	كلام الشافعي في معنى الآيات المتشابهة
٠٠	وفاة الامام مسلم بن الحجاج	٠٠	كلام فخر الدين الرازي في ابن خزيمة
١٣	الكلام في أن تاج الدين السبكي	١٩	فصل في بيان كتاب البيهقي الخ
	لم يتبع شيخه الذهبي في آرائه الخاصة	٢١	المقدمة
١٣	الكلام عن ابن خزيمة في حفظه الخ		فصل في أقسام الحكم العقلي
٠٠	وفاة الأستاذ أبو سهل الصعلوكي	٢٣	الكلام على قوله تعالى أفى الله شك
٠٠	وفاة الامام فخر الدين الرازي	٢٤	بيان أن الشيء قد يكون موجودا الخ
٠٠	إن الله حافظ دينه بتوفر الاخصائين	٢٥	فصل في أن الاسباب المتوقف بعضها

موضوع	صحيفة	موضوع	صحيفة
واجب الوجود		على بعض على اقسام	
بيان التوكل على الله	٣٩	٢٦ تأويل كل شيء هالك إلا وجهه	
مطلب في إبطال الاعتذار بالقدر	٤٠	٢٧ تكذيب أن المادة وحركتها الخ	
الجواب على كلمة لم لم يجعل الكل	٤٢	٢٨ الكلام على قوله تعالى ما	
موفقين		أشهدتهم الخ	
فصل في فضل الايمان بالغيب	٥٠	٢٩ الكلام في الرد على من قال ان النبي	
بيان أن اتباع ما جاء به المصطفى الخ	٤٥	صلى الله عليه وسلم ليس له معجزة	
بيان أن القرآن قبل أن يسوق لك	٤٦	إلا القرآن	
النظرية الكلية يقدم لك الجزئيات		٣٠ إنما أمره إذا أراد شيئاً الآية	
التجريبية		٥٠ فصل في تحقيق معنى قوله تعالى	
تنوير في تفسير اقربت الساعة	٤٩	(ولن نجد لسنة الله تبديلاً)	
المقصد في الصفات المختصة بالخلق	٥٢	٣٢ بيان أن الجهل بهذه المسألة خطر	
والصفات المختصة بالحق		٥٠ فصل في أنه سبحانه هو الفاعل	
تمهيد في أن العلم بما في هذا المقصد	٥٠	للوجود	
أعز العلوم وأسنها		٣٣ بيان أن المتوقف عليه الممكن الخ	
كلام الاستاذ القشيري في	٥٣	٣٤ تفسير قوله تعالى يا أيها الناس أنتم	
رسالته		الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد	
فصل في أن لهذا العالم كله عاليه	٥٠	٣٥ بيان أن النوع الانساني هو المقصود	
وسافله ربا واحداً لا شريك له		٣٦ تفسير قوله تعالى ومن كل شيء	
فصل في أن كل مقدر بقدر ومحدود	٥٩	خلقناز وجين	
بمحدود فهو حادث		٣٧ بعض وجوه إعجاز القرآن	
تفسير ابن جرير فاما الذين في قلوبهم	٦٣	٥٠ فصل قد بان لك أن البرهان القاطع	
زيغ		ناطق بأن ما وجد ويوجد من الذوات	
قد اتفقت عقول المحققين من الأولين	٦٦	والصفات لا يهيبه الوجود ونوابعه إلا	

صحيفة	الموضوع	صحيفة	الموضوع
	والآخرين والسلف والخلف على أن الصورة والاتصاف بالاجزاء من سمات الحدوث ولم ينكر ذلك سوى ابن تيمية	٨٢	فصل فيم يختص به عز وجل من الصفات الواجبة له على ما يدل عليه القرآن العظيم ويشهد به كل ذى عقل سليم
٦٧	فصل في نقول مهمة عن كبار السلف زيادة تبصير وتنوير في الموضوع	٨٥	فصل في الوجدانية وأن دليل القرآن عليها برهاني لا خطابي
٧٢	تتمة تشتمل على نص سؤال إلى شيخ الاسلام فضيلة الشيخ سليم البشرى تغمده الله برحمته في رجل يعتقد الفوقية المحدودة	٨٧	مطلب في بيان أن توحيد الربوبية وتوحيد الالهية متلازمان لا ينفك أحدهما عن صاحبه
٧٧	عبارة شيخ الاسلام التقي في هذا المبتدع الغوى في خطبة كتابه الدرر المضية في الرد على ابن تيمية	٨٩	بيان أن الشركة في الالهية تستلزم الشركة في الربوبية عند المشركين لا محالة
	في قوله بعدم وقوع الطلاق المعلق على وجه اليمين	٩٠	بيان أن الدليل القرآني على الوجدانية برهاني تام
٧٨	فصل في أن صفات المحدثات على قسمين	٩٣	فصل فيما يوهم التشبيه عند الغامة من ظاهر الكتاب والسنة
٧٩	مطلب في بيان وحدة الوجود	٩٥	فائدة مهمة في أن أكثر السلف يقولون
٨٠	تنبيه مهم في بيان عبارات السلف من أن له وجهها لا كالوجوه ويبدأ لا كالأيدي		بالصرف عن الظواهر وعدم الخوض في بيان المعنى المراد وهل هذا يسمى تأويلاً أم لا
٨١	بيان ما يندفع به الوهم عن مذهب السلف وأن الذهبي ينقل ما هو عليه ظاناً أنه له مع توضيحه	٩٧	بيان ما دعى الكثير من علماء السلف والخلف إلى تعيين المعنى المراد . بيان أن التأويل بلا قيد ولا شرط وكذا الجمود على الظاهر وترك

الموضوع	صحيفة	الموضوع	صحيفة
وأنها إما أن تكون بالأعمال الصالحة أو بالذوات الفاضلة		التأويل والتفويض ضلال وفسق.	
بيان التوسل بالذوات الفاضلة	١١٧	٩٧ نصيحة للذين تأهلوا للغوص على	
وأنها على أنواع ذكر منها ثلاثة		درر الكتاب والسنة أن يقرءوا	
حديث ابن عباس في أن المشركين كانوا يتوسلون إلى الله ويدعونه قبل مجيء الإسلام بالنبي الامي <small>ﷺ</small> ثم أنكروه بعد الرسالة	١١٩	كتاب الاسماء والصفات للحافظ البيهقي .	
توسل عمر بن الخطاب بالعباس عم النبي	١٢٣	٩٨ كلام ابن جرير الطبري في الاستواء على العرش .	
استغاثة بلال بن الحارث بالنبي <small>ﷺ</small> بعد وفاته في خلافة عمر .	١٢٥	٩٩ كلام ابن جرير في العلو .	
الاستدلال على أن النبي <small>ﷺ</small> تعرض عليه أعمال أمته وهو في قبره الشريف .	١٢٧	١٠٠ الكلام على معنى العرش .	
بعض ما ذكر من رسالة الذهبي لابن تيمية ينصح به .	١٢٨	١٠٢ بيان أن العلو المعنوي من المجاز الشائع في كلام العرب .	
ثناء الذهبي على الامام التقى وكلامه في التوسل	١٢٩	١٠٣ معنى قوله تعالى والله واسع عليم .	
ما قاله قانع البدعة ابن الحاج المعاصر لابن تيمية في التوسل من كتاب المدخل .	١٣٠	١٠٦ خاتمة نسأل الله حسنها .	
كلام الامام الفقيه المجمع على فضله ابن حجر في الزيارة ورد كلام	١٣٢	١٠٩ وصل في معنى الايمان والاسلام .	
		١١١ معنى العبادة شرعا والتدليل على أن سجود الملائكة لا دم وسجود والدي يوسف وإخوته له ليس عبادة لا دم ولا ليوسف بل الأول عبادة لله والثاني تحية ليوسف .	
		١١٣ بيان بطلان الاستشفاع بما كان يعبد من دون الله وأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه من خلقه وذكر الأدلة على ذلك .	
		١١٦ الكلام في معنى الوسيلة إلى الله	

الموضوع	صحيفة	الموضوع	صحيفة
فتوى ابن تيمية بان الطلاق الثلاث	١٣٦	ابن تيمية	
يقع واحدة وكلام ابن حجر في الفتح		الكلام على حديث إن مما أتخوف	١٣٢
دعوى ابن تيمية بان الطلاق المعلق	٠٠	عليكم إلى آخره .	
لم يقع في عهد الصحابة وتناقضه		الكلام على النور والتدليل	١٣٣
حكاية الشافعي للأجماع بوقوع	١٣٧	على صحتها .	
الثلاث المجموعة		اقوال الفقهاء في التمسح	٠٠
(تم الفهرس)		تناقض ابن تيمية وقوله بفناء النار .	١٣٥

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نظرة في كتاب الاسماء والصفات

وكلمة عن مؤلفه الحافظ أبي بكر البيهقي رحمه الله

للمحدثين ورواة الأخبار منزلة عليا عند جمهرة أهل العلم لكن بينهم من تعدى طوره وألف فيما لا يحسنه فأصبح مجلبة العار لطائفته بالغ الضرر لمن يسايره ويتقلد رأيه ومن هؤلاء غالب من ألف منهم في صفات الله سبحانه فدونك مرويات حماد بن سلمة في الصفات تجدها تحتوى على كثير من الاخبار التالفة يتناقلها الرواة طبقة عن طبقة مع أنه قد تزوج نحو مائة امرأة من غير أن يولد له ولد منهم وقد فعل هذا الزواج والتنكاح في الرجل فعله بحيث أصبح في غير حديث ثابت البناني لا يميز بين مروياته الأصلية وبين مادسه في كتبه أمثال ربيبه ابن أبي العوجاء وربيبه الآخر زيد المدعوب ابن حماد بعد أن كان جليل القدر بين الرواة قويا في اللغة فضل بمروياته الباطلة كثير من بسطاء الرواة ومجد المطالع الكريم نماذج شتى من أخباره الواهية في باب التوحيد من كتب الموضوعات المبسوطة وفي كتب الرجال وإن حاول اناس الدفاع عنه بدون جدوى، وشرع الله، أحق بالدفاع من الدفاع عن شخص ولا سيما عند تراكم التهم القاطعة لكل عذر. وفعلت مرويات نعيم بن حماد أيضا مثل ذلك بل محمسه الساك ادى به إلى التجسيم كما وقع مثل ذلك لشيخ شيخه مقاتل بن سليمان ومجد آثار الضرر الوبيل في مروياتهما في كتب الرواة الذين كانوا يتقلدونها من غير معرفة منهم لما هنالك فدونك كتاب الاستقامة لخشيش بن

(ب)

لمصرم والكتب التي تسمى السنة لعبد الله وللخلال ولابي الشيخ وللعسال ولابي بكر بن عاصم وللطبراني والجامع . والسنة والجماعة لحرب بن اسماعيل السيرجاني والتوحيد لابن خزيمة . ولابن منده والصفات للحكم بن معبد الخزاعي والنقض لعثمان بن سعيد الدارمي والشريعة للآجري والابانة لابن نصر السجزي ولابن بطة وابطال التأويلات لابن يعلى القاضي . وضم الكلام والفاروق لصاحب منازل السائرين تجد فيها ما ينبذه الشرع والعقل في آن واحد ولا سيما النقض لعثمان بن سعيد الدارمي السجزي المجسم فانه اول من اجترأ من المجسمة بالقول « ان الله لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقامت به بقدرته فكيف على عرش عظيم » وتابعه الشيخ الحراني في ذلك كما تجد نص كلامه في غوث العباد المطبوع سنة ١٣٥١ بمطبعة الحلبي وكم لهذا السجزي من طامات مثل اثبات الحركة له تعالى وغير ذلك وكم من كتب من هذا القبيل فيها من الاخبار الباطلة - والاراء السافلة بما الله به عليم فاتسع الخرق بذلك على الراقع وعظم الخطب إلى ان قام علماء أمناء برأب الصدع نظراً ورواية وكان من هؤلاء العلماء الخطابي وأبو الحسن الطبري وابن فورك والحلي وأبو إسحاق الاسفرايني والاستاذ عبد القاهر البغدادي وغيرهم من السادة القادة الذين لا يحصون عدداً لكن كان بينهم من غلب عليه النظر على قلة خبرة منه بعلم الاثرويينهم من كان على عكس ذلك ولذلك رأى الحافظ البيهقي أن إهمال أحد الجانبين لا يجدي نفعا في استنقا جمهرة الرواة عما تورطوا فيه من الجهل بالله سبحانه فقام بتأليف كتاب (الاسماء والصفات) ساعياً في استقصاء ما ورد في الابواب من الاحاديث مع تبين الصحيح والسقيم منها وتثبيت وجه الكلام في النصوص الواردة في الاسماء والصفات ناقاً عن قادة النظر وسادة التأويل المعاني المرادة منها فأحسن جد الاحسان واجا كل الاجادة الا في مواضع يسيرة مغمورة في بحر افضاله المواجه فالله سبحانه يكافئه على هذا العمل المبرور جزاء من أحسن عملاقه بعمله هذا انتشل عقلا

(ج)

الرواة من أهل عصره ومن بعده مما تورطوا فيه من الزيغ وعرف أهل النظر
الأخبار الصالح التي لا يسوغ لهم إنكارها من الروايات الكاذبة الواجب ردها
فشقي وكفى وأما مؤلفه فهو الحافظ الكبير الفقيه الأصولي النقاد أبو بكر أحمد
ابن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري الخسر وجردي
الفقيه الشافعي ولد في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في قرية (خسر وجردي)
بضم الخاء وسكون السين وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون الراء
آخرها اللال المهملة من قرى بهيق (على وزن صيقل) وبيهق قرى مجتمعة في
نواحي نيسابور وسمع الحديث من نحو مائة شيخ أقدمهم أبو الحسن محمد بن
الحسين العلوي وقد تنقل في بلاد خراسان ورحل إلى العراق والحجاز والجلال
لسماع الحديث وتخرج في الحديث على الحاكم صاحب المستدرک فمن شيوخه
أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي والحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري ،
وأبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي وأبو الحسين علي ابن محمد بن
عبد الله بن بشران ، وأبو عبد الله إسحاق بن محمد بن يوسف بن يعقوب
السوي . والقاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري ، وأبو أحمد عبد الله
ابن محمد بن الحسن المهرجاني ، وأبو نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن عثمان بن
قتادة ، وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمى الصوفي صاحب
الطبقات ، والاستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، والاستاذ
أبو إسحاق الأسفرايني المتكلم ، وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم ،
وأبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي . وأبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان ، وأبو
الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل القطان ، وأبو علي الحسين بن محمد بن
علي الروذباري ، وأبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش الزياتي راوي المسلسل
بالولية ، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ ، وأبو محمد الحسن بن علي بن
المؤمل ، ومحمد بن موسى بن الفضل ، وأبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب ،

وأبو عبد الله الحسين بن عمر بن برهان ، وأبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار
 السكري ، وأبو محمد عبد الله بن يوسف الاصبهاني ، وأبو عبد الرحمن محمد بن
 عبد الرحمن بن محمد بن محبوب الدهان وأبو محمد الحسن بن احمد بن فراس ،
 وأبو الحسن محمد بن محمد بن أبي المعروف المهرجاني وأبو إسحاق سهل بن أبي
 إسحاق المهراني ، وأبو الحسين محمد بن علي بن حشيش المقرئ ، وأبو القاسم
 عبد الخالق بن علي المؤذن ، وأبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ
 ابن الحماني وأبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار ، وأبو سعيد عبد الملك بن
 أبي عثمان الزاهد ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي طاهر الدقاق ، وأبو القاسم
 عبد الواحد بن محمد بن إسحاق بن النجار المقرئ ، وأبو يعلى حمزة بن عبد العزيز
 المهلبى الصيدلاني ، وأبو أحمد الحسين الاسدي وأبو القاسم عبد الرحمن بن
 عبيد الله الحربى - ويقال له أيضا الحربى بضم الحاء وسكون الراء وبالفاء لكونه
 يتاجر فى البرور وهم من نسبه إلى بلد بالانبار وصحف من نسبه خرقيا والحربى
 لا يلبس - وأبو سعد أحمد بن محمد الماليتى الهروى ، وأبو زكريا يحيى بن إبراهيم
 ابن محمد بن يحيى المزكى ، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي الاسفراينى ابن
 السقا ، وأبو سهل أحمد بن محمد بن إبراهيم المهراني ، وأبو بكر أحمد بن محمد
 ابن الحارث الاصبهاني ، وأبو صادق محمد بن أبي الفوارس ، وأبو صالح بن أبي
 طاهر العنبرى ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمى ، وأبو محمد عبد الرحمن
 ابن محمد بن أحمد بن بالويه المزكى ، وأبو القاسم علي بن محمد بن علي الايادى ، وأبو
 القاسم نذير بن الحسين بن جناح المحاربى ، وأبو الفرج الحسن بن علي بن أحمد
 التميمى الرازى ، وأبو عثمان الامام ، وأبو حامد أحمد بن محمد بن موسى النيسابورى
 ومنصور بن عبد الوهاب الشالنجى وأبو سهل محمد بن نصرويه المروزى ، وأبو
 الحسن علي بن أحمد بن محمد الرزاز ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج
 وأبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن شبانة الهمداني ، وأبو محمد الحسن بن علي المؤمل

وأبو حاتم أحمد بن محمد الخطيب وأبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس البغدادي
وأبو ذر محمد بن أبي الحسين بن أبي القاسم وأبو بكر أحمد بن محمد الاشناني ،
وأبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف المصري ، وأبو سعيد محمد بن موسى
الصيرفي ، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، وأبو جعفر الفرابي ، وأبو
القاسم زيد بن أبي هاشم العلوي ، وأبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي
صاحب اللسان والسنان في نصر المذهب . والشريف أبو الفتح ، وأبو سعيد بن
أبي عمرو ، ومحمد بن نصر النيسابوري وأبو عمر محمد بن الحسين البسطامي ،
وأبو منصور بن أبي أيوب ، وأبو الفتح العمري ناصر بن محمد المروزي وأبو
عبد الله محمد بن يعقوب النيسابوري ، وغيرهم من شيوخ العلم في خراسان والجلال
والحرمين والكوفة والبصرة و بغداد قال الذهبي في طبقات الحفاظ في ترجمة البيهقي
الامام الحافظ العلامة شيخ خراسان كان عنده مستدرك الحاكم كما كثر عنه وعنده
عوال وجورك له في عمله لحسن مقصده وقوة فهمه وحفظه وعمل كتابا لم يسبق
إلى تحريرها منها الاسماء والصفات وهو مجلدان والسنن الكبير عشر مجلدات
والسنن والآثار أربع مجلدات وشعب الايمان مجلدان ودلائل النبوه ثلاث
مجلدات والسنن الصغير مجلدان والزهد مجلد والبعث مجلد والمعتقد مجلد والآداب
مجلد ونصوص الشافعي ثلاث مجلدات والمدخل مجلد والدعوات مجلد والترغيب
والترهيب مجلد ومناقب الشافعي مجلد ومناقب احمد مجلد وكتاب الاسراء وكتب
عديده لا اذكرها اه . وقال اليافعي في مرآة الجنان عن البيهقي : الامام الكبير
الحافظ النحرير الفقيه الشافعي وأحد زمانه وفرد أقرانه في الفنون من كبار اصحاب
الحاكم أبي عبد الله بن البيع في الحديث الزائد عليه في أنواع العلوم له مناقب
شهيرة وتصانيف كثيرة بلغت الف جزء نفع الله تعالى بها المسلمين شرقا وغربا
وعجبا وعربا لفضله وجلالته واتقانه وديانته نعمه الله برحمته غلب عليه الحديث
واشتهر به ورحل في طلبه إلى العراق والجلال والحجاز وسمع بخراسان من علماء

(و)

عصره وكذلك بقية البلاد التي انتهى اليها وأخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي وهو أول من جمع نصوص الشافعي في عشر مجلدات اه وقال التاج السبكي : وفي كلام شيخنا الذهبي أنه أول من جمع نصوص الشافعي وليس كذلك بل هو آخر من جمعها ولذلك استوعب أكثر ما في كتب السابقين ولا أعرف أحداً بعده جمع النصوص لأنه سد الباب على من بعده اه . لكن لا يرد هذا على الذهبي لأنه قال أول من جمع في عشر مجلدات يعني بهذا التوسع وهو حق وقد وقع مثل هذا الكلام في كتاب ابن خلكان ومن قبله بهذا النص ثم قال التاج وقال شيخنا الذهبي كان البيهقي واحد زمانه وفرد أقرانه وحافظ أوانه قال ودأثرته في الحديث ليست كبيرة بل بورك له في مروياته وحسن تصرفه فيها لحذقه وخبرته بالأبواب والرجال وقال إمام الحرمين ما من شافعي إلا وللشافعي في عنقه منة إلا البيهقي فان له على الشافعي منة لتصانيفه في نصرته مذهبه واقاويله اه وقال عبد القادر القرشي في طبقاته : فوالله ما قال هذا من شم توجه الشافعي وعظمته ولسانه في العلوم ولقد أخرج الشافعي بابا من العلم ما اهتدى اليه الناس من قبله وهو علم الناسخ والمنسوخ فعليه مدار الاسلام مع ان البيهقي إمام حافظ كبير نشر السنة ونصر مذهب الشافعي في زمنه اه . قال ابن الوردي : كان أكثر الناس نصراً لمذهب الشافعي اه وقال ابن العماد في شذرات الذهب : الامام العلم الحافظ صاحب التصانيف . . قال ابن قاضي شعبة قال عبد الغافر كان على سيرة العلماء قانعا من الدنيا باليسير متجملا في زهده وورعه وذكر غيره أنه سرد الصوم ثلاثين سنة وقال في العبرتوفى في عاشر جمادى الاولى بنيسابور سنة ثمان وخمسين واربعمئة ونقل تابوته إلى بيهق وعاش أربعاً وسبعين سنة اه أعلى الله منزلته في الجنة وأغدق عليه سحب رضوانه وقال ابن خلكان في ترجمة البيهقي : واحد زمانه وفرد أقرانه في الفنون من كبار أصحاب الحاكم في الحديث ثم الزائد عليه في أنواع العلوم أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر المروزي غلب عليه الحديث واشتهر

(ز)

به أخذ عنه الحديث جماعة منهم زاهر الشحامى ومحمد الفراوى وعبد المنعم
القشيري وغيرهم اه واثني عليه ابن عساكر في تبين كذب المفترى وقال كتب
إلى الشيخ أبو الحسن الفارسي : الامام الحافظ الفقيه الاصولى الدين الورع
واحد زمانه في الحفظ وفرد أقرانه في الاتقان والضبط من كبار أصحاب الحاكم
أبى عبد الله الحافظ والمكثرين عنه ثم الزائد عليه في أنواع العلوم كتب الحديث
وحفظه من صباه إلى أن نشأ وتفقّه وبرع فيه وشرع في الاصول ورحل إلى العراق
والجبال والحجاز ثم اشتغل بالتصنيف والى من الكتب ما لعله يبلغ قريبا من
الف جزء (أى الجزء الحديثى ومعيار ذلك أن تبين كذب المفترى عشرة
اجزاء) مما لم يسبقه اليه أحد جمع في تصانيفه بين علم الحديث والفقه وبيان
علل الحديث والصحيح والسقيم وذكر وجوه الجمع بين الاحاديث ثم بيان الفقه
والاصول وشرح ما يتعلق بالعربية استدعى منه الأئمة في عصره الانتقال إلى
نيسابور من الناحية لسماع كتاب المعرفة (وهو السنن الاوسط) وغير ذلك من
تصانيفه فعاد إلى نيسابور سنة إحدى واربعين واربعمائة وعقدوا له المجلس
لقراءة كتاب المعرفة وحضره الأئمة والفقهاء وأكثروا الثناء عليه والدعاء له في
ذلك لبراعته ومعرفته وإفادته وكان رحمه الله على سيرة العلماء قانعا من الدنيا
باليسير متجملا في زهده وورعه وبقي كذلك إلى أن توفى رحمه الله بنيسابور
يوم السبت العاشر من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين واربعمائة وحمل إلى
خسر وجرده اه وكلمة عبد الغافر هذه هى أم ترجمة البيهقي في كتب التراجم زاد
فيها من زاد ونقص من نقص كما نقلت نصوص المترجمين له فيما سبق . وكتاب
الاسماء والصفات هذا لم يؤلف مثله كما يقول التاج ابن السبكي وكتاب السنن
الكبرى طبع حديثا في حيدرآباد في عشر مجلدات ومعه الجوهر النقي في نقد
مواضع الانتقاد منه وهو من أوسع ما ألف في أدلة الشافعية بل لا يستغنى عنه أهل
مذهب من المذاهب يكثرفيه جدا عن الحاكم صاحب المستدرک مباشرة وعن

(ح)

أبي منصور علي بن حمشاد صاحب تلك الكتب الضخمة في السنن والاحكام بواسطة وقد هذبه الذهبي في نحو نصفه في كتاب سماه (المهذب) وهو من محفوظات دار الكتب المصرية ، والسنن الوسطى له هي المعروفة بمعرفة السنن والآثار وهي أجمع ما صنف في نصوص الامام الشافعي رضي الله عنه وقد ركب فيها كل مركب في نصره المذهب ولها أهميتها عند المشتغلين باحاديث الاحكام ونقدها وليس هذا موضع بيان لطريقته فيها ، وكتاب دلائل النبوة له كتاب مبارك في غاية النفع وقد بلغني أنه طبع في الهند حديثا ولم أتأكد من ذلك بعد ونسخة مخطوطة منه موجودة بدار الكتب المصرية وكتاب المدخل له مهم ألفه ليكون مدخلا لكتاب دلائل النبوة . وكتاب مناقب أحمد له يدفع فيه مانسب إليه بعض أصحابه من الكلمات الموهمة ومن جملة ما قال فيه نقلا عن الامام أبي الفضل التيمي رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها : أنكر أحمد علي من قال بالجسم وقال إن الاسماء مأخوذة من الشريعة واللغة وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذى طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله سبحانه خارج عن ذلك كله فلم يجوز أن يسمى جسما لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجزى في الشريعة ذلك فبطل إنتهى بحروفه وقال البيهقي فيه أيضا وأنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو ابن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعت عمي أبا عبد الله يعني الامام أحمد يقول احتجوا على يومئذ يعني يوم نوتر في دار أمير المؤمنين فقالوا تجيء سورة البقرة يوم القيامة ونجى سورة تبارك فقلت لهم إنما هو الثواب قال الله تعالى (وجاء ربك) إنما تأتي قدرته وإنما القرآن أمثال ومواظاه قال البيهقي هذا إسناد صحيح لا غبار عليه ثم قال وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة إنتقالا من مكان إلى مكان كجى ذوات الاجسام ونزولها وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته فانهم لما زعموا أن القرآن لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجوز عليه المجيء والاتبان

(ط)

فاجابهم أبو عبد الله بانه إنما يجيء ثواب قراءة التي يريد إظهارها يومئذ فعبّر عن إظهاره إياها بمجيئه . وهذا الجواب الذي أجابهم به أبو عبد الله لا يهتدى إليه إلا الخذاق من أهل العلم المنزهون عن التشبيه إنتهى ما ذكره البيهقي في مناقب أحمد وأما كتاب الأسماء والصفات فكتاب لا نظير له كما سبق تراه لا يلوم من يقول إن الله في السماء أو يقول إن الله على العرش بناء على بعض الاحاديث الواردة الناطقة بذلك لكن مجرد الكون في السماء أو على العرش عن جميع معاني التمكن على خلاف معتقد المشبهة كما نجد نص كلامه عند الكلام على الاستواء وعلقنا هناك على هذا الكلام ما يجب لفت النظر إليه فالقائل بانه في السماء إن كان يريد أنه متمكن فيها فهو زائغ عن الصراط السوي وأما إن كان يريد أنه في غاية من علو الشأن والمكانة بدون اعتقاد مكان له تعالى فلا غبار على كلام هذا القائل من ناحية اللغة وأما من جهة الشرع فهناك ظواهر تسيغ ذلك لكن حيث كانت الاحاديث التي وردت في ذلك لا تخلو من كلام مثل حديث أبي رزين وحديث الاوعال فالاحوط أن لا ينطق به حتى مع التصريح بهذا التنزيه بل الواجب عدم النطق به أصلاً سداً لباب التشبيه بمرة واحدة وليست هناك أحاديث صريحة صحيحة وحديث الجارية فيه اضطراب عظيم يحول دون التمسك به في باب الاعتقاد من تمسك بقوله تعالى (أأمنتم من في السماء) في هذا الباب فلا حجة له أصلاً كما نشرح ذلك فيما نعلق على الكتاب في موضعه إن شاء الله تعالى والحاصل أنه ليس في قول البيهقي وأمثاله من تجويز القول (بانه في السماء) بمعنى علو الشأن والمكانة ، ما يسر القائلين باثبات المكان والعلو الحسي أصلاً . والبيهقي ينص على ذلك في مواضع من هذا الكتاب فنقل كلمة البيهقي وأمثاله في باب إثبات العلو الحسي تغفل ظاهر وما نسبوه إلى أبي حنيفة في سنده نعيم بن حماد وأبو أمه وما عزوه إلى مالك فيه عبد الله بن نافع الاصم صاحب المناكير عن مالك وما أسندوه إلى الشافعي فيه أبو الحسن الهكاري وابن

(ى)

كادش والعشارى وأحوالهم معلومة عند النقاد رغم انخداع بعض المغفلين برواياتهم فلا يصح عز والقول بانه فى السماء إلى الأئمة الفقهاء أصلاً . والحافظ البيهقى يكثر جداً فى الاسماء والصفات عن الامام سيف النظر والمتكلمين أبى عبد الله الحسين بن الحسن الحلیمى البخارى شيخ الشافعية بما وراء النهر وهو من أركان علم أصول الدين ومن تخرج على القفال الكبير والادنى وكتاب شعب الايمان له فى ثلاث مجلدات سماه بالتهاج وهو يدل على مبلغ غوصه فى علم الكلام وهو أحد القائلين بتجرد الروح من أئمة السنة ومختصره موجود بدار الكتب المصرية والأصل بالأستانة وولد الحلیمى هذا سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وتوفى سنة ثلاث وأربعمائة وهو من شيوخ الحاكم . ويكثر فيه أيضاً عن الامام أبى سليمان أحمد بن إبراهيم الخطابى ومنزله فى العلم أشهر من نار على علم جمع بين الحديث والفقہ والادب ومعرفة الغريب ولو لم يكن له غير ما كتبه على البخارى وعلى سنن أبى داود الكفى فى معرفة مقداره العظيم فى العلم وعلو كعبه فى الفهم وهو مترجم فى طبقات الحفاظ للذهبي توفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وهو أيضاً من شيوخ الحاكم . ويكثر المصنف أيضاً عن الامام أبى بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم وهو من شيوخ المصنف مباشرة وكتابه فى تأويل أحاديث الصفات معروف لكن لو اقتصر على الاحاديث الثابتة بدون تعرض للواهيات لما أبعد فى التأويل . وصولته وردوده على الكرامة مما أدى إلى أن سموه فمات شهيداً سنة ست وأربعمائة وجلالة قدره لا تنكر وإن كان لكل صارم نبوة رحمه الله تعالى ويكثر المصنف فى الاسماء والصفات عن كتاب أبى الحسن على بن محمد ابن مهدى الطبرى صاحب الاشعري . وينقل أيضاً عن الاستاذين الجليلين أبى إسحاق إبراهيم بن محمد الاسفراينى المتوفى سنة ٤١٨ هـ وعبد القاهر البغدادى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ وكنا نود لو أكثر عنهما لجلالة قدرهما فى علم أصول الدين * ولا نود التوسع بأكثر من هذا الاستطراد والله سبحانه أعلى منزلة المصنف فى

(ك)

الجنة وغفر لنا وله وحفظنا من نزعات التعصب ونزوات النفس الامارة بالسوء
وجعلنا ممن ينزل الناس منازلهم وسلك بنا سواء السبيل وختم لنا بالخير ، وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله
وصحبه أجمعين ما

تحريراً في ١٥ صفر الخير سنة ١٣٥٨

كتبه الفقير إليه سبحانه

محمد زاهد الكوثري عفي عنه

﴿ ومن شعره أيضاً ﴾

من اعتز بالمولى فذاك جليل * ومن رام عزا عن سواه ذليل
ولو أن نفسى مذبرها ملىكها * مضى عمرها فى سجدة لقليل
أحب مناجاة الحبيب بأوجه * ولكن لسان المذنبين كليل

﴿ فهرست كتاب الاسماء والصفات ﴾

ص	ع	ص	ع
٢	خطبة الكتاب .	٩٤	باب ما جاء في حروف المقطعات
٣	باب إثبات أسماء الله تعالى ذكره		في فوائح السور أنها من أسماء الله عز وجل .
	بدلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة		
٤	باب عدد الأسماء التي أخبر النبي	٩٥	باب ما جاء في فضل الكلمة الباقية
	ﷺ أن من أحصاها دخل الجنة		في عقب إبراهيم عليه السلام وهي
٤	باب بيان الأسماء التي من أحصاها		كلمة التقوى ودعوة الحق لا إله إلا الله
	دخل الجنة .	١١٠	باب جماع أبواب إثبات صفات
٦	باب بيان أن لله جل ثناؤه أسماء أخر		الله عز وجل .
٨	باب جماع أبواب معاني أسماء الرب	١١١	باب ما جاء في إثبات صفة الحياة .
	عز ذكره .	١١٤	باب ما جاء في إثبات صفة العلم .
٩	باب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات	١٢٤	» » » » القدرة
	الباري جل ثناؤه والاعتراف	١٢٩	» » » » القوة وهي القدرة
	بوجوده جل وعلا .	١٣٠	» » » » العزة لله عز وجل
١٤	باب جماع أبواب ذكر الاسماء التي	١٣٤	» » في الجلال والجبروت
	تتبع إثبات وحدانيته عز اسمه .		والكبرياء والعظمة والمجد .
١٦	باب جماع أبواب ذكر الاسماء التي	١٣٩	جماع أبواب إثبات صفة المشيئة
	تتبع إثبات الأبداع والاختراع له		والارادة لله عز وجل .
٣١	باب جماع أبواب ذكر الاسماء التي	١٣٩	باب قول الله عز وجل ونقر في
	تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى جده		الارحام ما نشاء .
٤٧	باب جماع أبواب ذكر الأسماء التي	١٤١	باب قول الله عز وجل (وما تشاؤز
	تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه .		إلا أن يشاء الله)
٩١	فصل والله جل ثناؤه أسماء سوى	١٤٥	باب قول الله عز وجل (وما كانوا
	ما ذكرنا .		ليؤمنوا إلا أن يشاء الله)

الموضوع	صحيفه	الموضوع	صحيفه
واحد	١٥١	باب قول الله عز وجل (يريد الله	١٥١
١٨٩	باب ماجاء في إثبات صفة التكليم	ليبين لكم)	
والتكلم والقول سوى مامضى	١٥٧	باب قول الله عز وجل (والله مافى	١٥٧
باب قول الله عز وجل (وما كان	١٩٢	السموات وما فى الأرض يغفر لمن	
لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو		يشاء ويعذب من يشاء)	
من وراء حجاب الآية	١٥٨	باب قول الله عز وجل (إن الله	١٥٨
٢٠٠	باب ماجاء فى إسماع الرب عز وجل	يفعل ما يشاء	
بعض ملائكته كلامه وبيان		١٦٠	باب ما شاء الله كان وما لم يشأ لم
حديث إذا قضى الله الأمر فى السماء		يكن	
للمعلق	١٦٤	باب قول الله عز وجل (ولا تقولن	١٦٤
٢٠٥	باب إسماع الرب جل ثناؤه كلامه	لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن	
من شاء من ملائكته ورسله وعباده		يشاء الله	
٢٠٨	باب رواية النبي صلى الله عليه وسلم	١٧١	باب ماجاء عن السلف رضى الله
قول الله عز وجل فى الوعد والوعيد		عنهم فى إثبات المشيئة	
والترغيب والترهيب سوى ما فى		١٧٣	باب ماجاء فى قول الله عز وجل
الكتاب		(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم	
٢١٥	باب قول الله عز وجل (لمن الملك	اليسر	
اليوم لله الواحد القهار)		١٧٥	باب ماجاء فى إثبات صفة السمع
٢١٦	باب قول عز وجل (يوم يجمع الله	١٧٨	» » » » البصر
الرسول فيقول ماذا أجبتكم) وبيان		والرؤية وكتنهما عبارتان عن معنى	
القبض والطي للمعلق		واحد	
٢٢١	باب قول الله عز وجل (الاخلاء	١٨١	باب ماجاء فى إثبات صفة الكلام
يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا		١٨٨	» » » » القول
المتقين) الآية		وهو والكلام عبارتان عن معنى	

الموضوع	صحيفه	الموضوع	صحيفة
شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم)	باب ما ذكر في الذات ٢٨٢	باب قول الله عز وجل (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا)	٢٢٢
باب ما ذكر في النفس ٢٨٣	» » » ٢٨٩	باب قول الله عز وجل (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش)	٢٢٥
باب ما جاء في إثبات الوجه صفة لامن حيث الصورة لورود خبر الصادق به	» » » ٣٠١	باب قول الله عز وجل (الله الامر من قبل ومن بعد)	٢٢٨
باب ما جاء في إثبات العين ٣١٢	» » » ٣١٤	باب ما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين رضوا الله عنهم في أن القرآن كلام الله غير مخلوق	٢٣٩
باب ما ذكر في اليمين والكف ٣٢٣	» » » ٣٣٣	باب الفرق بين التلاوة والمتلو	٢٥٨
» » » ٣٤١	» » » ٣٤٤	باب قول الله عز وجل (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم) الآية	٢٦٩
» » » ٣٤٨	» » » ٣٦١	جماع أبواب ما يجوز تسمية الله سبحانه ووصفه به سوى ماضى في الابواب قبلها وما لا يجوز وتأويل ما يحتاج فيه إلى التأويل وحكاية قول الأئمة فيه	٢٧٦
» » » ٣٦١	» » » ٣٦٨	باب قول الله تعالى (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)	٢٧٧
» » » ٣٧٠	» » » ٣٧٢	باب قول الله عز وجل (قل أي	٢٨١

الموضوع	صحيفة	الموضوع	صحيفة
	والهرولة	على حماد بن مسلمة عن أبي المهزم	
باب ما روى في الوطأة بوج	٤٦١	في إجراء الفرس	
» » » النفس وتقدر النفس	٤٦٢	٣٧٤ جماع أبواب إثبات صفات الفعل	
ما روى أن الله سبحانه وتعالى قبل	٤٦٥	٣٧٤ باب بدء الخلق	
وجه المصلى ونحو ذلك		٣٩٠ » ما جاء في قول الله عز وجل (أم	
ما جاء في الضحك	٤٦٧	خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)	
باب ما جاء في الفرح وما في معناه	٤٧٦	٣٩٢ باب ما جاء في العرش والكرسي	
باب ما جاء في النظر	٤٧٩	٤٠٥ » » في قول الله عز وجل (الرحمن	
باب ما جاء في الغيرة	٤٨٢	على العرش استوى)	
باب ما جاء في الملل	٤٨٣	٤١٥ باب قول الله عز وجل (وهو القاهر	
باب قول الله عز وجل قالوا إنا معكم	٤٨٥	فوق عباده)	
إنما نحن مستهزئون		٤٢٠ باب قول الله عز وجل (أأنتم	
باب قول الله سنفرغ لكم أيها الثقلان	٤٩٠	من في السماء)	
باب ما جاء في التردد	٤٩٠	٤٢٤ باب قول الله عز وجل لعيسى عليه	
» قول الله عز وجل والله ذو	٤٩٥	السلام (إني متوفيك ورافعك إلى)	
الفضل العظيم		٤٣٠ باب ما جاء في قول الله عز وجل	
باب قول الله تعالى قل إن كنتم	٤٩٨	(وهو معكم أينما كنتم)	
تحبون الله فاتبعوني		٤٣٩ باب ما جاء في قوله عز وجل (إن	
باب قول الله رضى الله عنهم ورضوا عنه	٥٠٢	ربك لبالمرصاد	
» ما جاء في الصبر	٥٠٤	٤٣٣ ثم دنا فتدلى	
» » إعادة الخلق	٥٠٥	٤٤٧ باب ما جاء في قول الله عز وجل	
» قول الله عز وجل فظن أن	٥٠٩	(هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في	
لن نقدر عليه		ظلل من الغمام والملائكة الآية .	
(تم الفهرس)		٤٥٧ باب ما روى في التقرب والاتبان	

(ع)

أهم الأخطاء في التعليقات ووجه الصواب فيها

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧١	٢٢	يعلم	أعلم
٢٠٢	١٢	إني - مال	أن - مالا
٢٠٢	١٤	الاستلال	الاستدلال
٢١٦	٢٢	المراد	للمراد
٢٢٣	٢٠	وإنمالا	وإنما
٢٤٣	٢٠	موثوق	موثق
٢٥١	١٦	في	إلى القدرح في
٢٦٨	٢٢	لمحد	لمحمد
٣٣٦	٢٥	وابن	وابن الجوزي والقرطبي وغيرهم
٣٣٧	١٩	الاصابع	على أن الاصابع
٣٥٤	٢٢	عن مخلد	بن مخلد
٣٥٦	٢٣ و ١٧	الدسقي	الدسقي
٣٥٦	١٩	وحدث عن	وحدث به من
٤٠٢	١٤	(١)	(٢)
٤٠٢	٢٢	عبادة	عباد
٤٤٣	١٨	وابن عبد الرحمن	وعبد الرحمن
٤٤٣	٢١	بالمعبوث	بالمبعوث
٤٤٥	١٨	من تحمسهم	تحمسهم
٤٥٥	١٩	فمقببات	فمقبقات
٤٦٠	١٩	يذكرها	يذكران
٦٨٤	١٥	ود	ورد
٤٦٨	١٧	الذين	الذي
٤٩٣	٢٢	صدر	صدد